

مكتبة

٥/١٧

٥/١٧

٥/١٧

الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

منهج الشيخ محمد بن أبيه
في تفسيره تيسير التفسير

عميد كلية الدراسات العليا



اعداد الطالب :

محمد مصطفى درويش الخواجا

اشراف فضيلة الدكتور

أحمد فريد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة

الماجستير في التفسير بكلية الدراسات العليا في

الجامعة الأردنية

أيار / ١٩٩٤م

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٧ / ذي الحجة / ١٤٠٤ هـ الموافق
١٨ / ٥ / ١٩٩٤ م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة :

التوقيع

الاسم



مشرفاً .

الدكتور / أحمد فريد

عضواً .

الدكتور / أحمد نوفل

عضواً .

الدكتور / محمد الخطيب

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره على ما أولانا من نعمة وتوفيقه ، ثم أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى استاذي الفاضل الدكتور أحمد هريه الذي أشرف على هذه الرسالة والذي كان له الفضل بعد الله (تعالى) في اخراجها فكم بذل من جهد وكبح من جماح ؛ فجزاه الله خير الجزاء

كما أتقدم بالشكر إلى عضوي لجنة المناقشة :

الدكتور أحمد نوفل

والدكتور محمد الخطيب

الذين تفضلا بقبول مناقشتي وتوجيهي للصواب فلهما مني الدعاء ومن الله الأجر والثواب وأذكر بالفضل والعرفان فضل اساتذة كرام جلست إليهم على مدى سني دراسني وأخص بالذكر فضيلة استاذنا الدكتور فضل حسن عباس الذي وجهني لهذا الموضوع .

كما أشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة بأسداء رأي أو إعارة مرجع أو نصيحة أو كلمة طيبة وأخص بالشكر الاخوة الإباحيين الذين لم ييخلوا على بملاحظاتهم .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
شكر وتقدير	ج
فهرس الموضوعات	د
ملخص باللغة العربية	ز
الفصل الأول الفكر الإباضي	١
المقدمة	٢
المبحث الأول : نشأة المذهب الإباضي	٤
المبحث الثاني : الإباضية والفرق الإسلامية	١٢
المبحث الثالث : الأصول الأساسية عند الإباضية	١٨
المبحث الرابع : بعض المسائل الخلافية	٢٩
الفصل الثاني : حياة الشيخ الإمام محمد إطفيش	٣٥
المبحث الأول : نشأته ، وصفاته	٣٦
المبحث الثاني : فروع الشيخ وفكره ونشاطه	٣٨
المبحث الثالث : آثاره ومؤلفاته ووفاته	٤٥
الفصل الثالث : مدخل إلى تفسير الشيخ محمد إطفيش	٥٠
المبحث الأول : التفسير في القرن الرابع عشر الهجري	٥١
المبحث الثاني : حركة التأليف عند الإباضية	٥٦
المبحث الثالث : ندره الدراسات القرآنية عند الإباضية	٥٨
المبحث الرابع : تفاسير الإباضية القديمة	٦٠
المبحث الخامس : تفاسير الإباضية الحديثة	٦٦

التصل الرابع :دراسات في المنهج العام لهذا التفسير ٧٥

المبحث الأول : مصادر الشيخ في تفسيره ٧٦

المبحث الثاني : موقف الشيخ من المفسرين السابقين ٨٥

المبحث الثالث : منهجه العام ٩٢

المبحث الرابع : التفسير المأثور.....٩٤

المبحث الخامس : موقفه من الإسرائيليات ١٠٤

المبحث السادس : اعتماده بالأمور التاريخية.....١١٩

الفصل الخامس: قضايا علوم القرآن في هذا التفسير.....١٢١

المبحث الأول : أول ما نزل وآخر ما نزل ١٢٢

المبحث الثاني : أمهات النزول ١٢٤

المبحث الثالث: المناسبة بين الآيات والصور ١٢٨

المبحث الرابع: النسخ والمنسوخ ١٣١

المبحث الخامس: التكرار وموقفه منه ١٣٣

المبحث السادس: الفراءات القرآنية ١٣٥

المبحث السابع : المحكم والمتشابه ١٣٩

المبحث الثامن : إعجاز القرآن ١٤١

الفصل السادس : منهجه العقدي في هذا التفسير.....١٤٤

المبحث الأول : آراء الشيخ التي رجع فيها أصول مذهبه ١٤٧

المبحث الثاني : موقفه من الفرق الأخرى.....١٦٥

المبحث الثالث : تعرضه للديانات والمعتقدات الأخرى.....١٧٠

الفصل السابع:القضايا اللغوية والبلاغية في هذا التفسير ١٧٣

المبحث الأول: مسائل اللفظ والنحو.....١٧٥

المبحث الثاني : البلاغة وفروعها ١٩١

٢٠٨.....	النصل الثامن : منهجه في الأحكام الفقهية
٢٠٩.....	المبحث الأول : عرضه لبعض قواعد أصول الفقه
٢١١	المبحث الثاني : عرضه لآراء الفقهاء وموقفه منهم
٢١٩	المبحث الثالث : موقفه من المسائل الخلافية المذهبية
٢٢٥	الخاتمة
٢٢٩.....	فهرس المصادر والمراجع
٢٤٨.....	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية

ملخص

عنوان الرسالة : منهج محمد بن يوسف بن أطفيش في تفسيره تفسير التفسير

اعداد : محمد مصطفى الخواججا

اشراف : الدكتور أحمد فريد

عنيت هذه الدراسة بتجلية منهج الشيخ محمد أطفيش أحد أعلام التفسير في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين . في التفسير المسمى (تفسير التفسير) . أعطت هذه الدراسة فكرة موجزة عن مذهب الشيخ الذي ينتمي إلى المدرسة الإباضية ، وهدفت من ذلك بيان معالم الطريق منذ البداية من خلال النظرة المنهجية المتجردة .

كشفت هذه الدراسة عن جوانب هامة من حياة الشيخ فَعَرَفَتْ به وبشخصيته وأخلاقه ، وآثاره ، وما قام به من أعمال فكرية ، وتربوية وجهادية خدعة لدينه ومذهبه .

احتوت على عرض موجز لتفسير الإباضية على مدى تاريخهم حتى يومنا هذا ، فَعَرَفَتْ بها وبمؤلفيها وبالطريقة التي تناولوا فيها القرآن بالشرح والتفسير وتناولت أهم المؤلفات التفسيرية في القرن الرابع عشر الهجري وما تميزت به . وسعت هذه الدراسة إلى إظهار الاتجاه الذي سلكه مصنف هذا التفسير ، والمنهج الذي ارتضاه ، وأوضحت موقفه من التفسير بنوعيه : المأثور ، والمعقول ، ومحاولة الجمع بينهما وأبانت عن السمة الغالبة على منهج الشيخ وهي الاستقصاء والتوسع في المسائل التي يبحثها . وأبانت هذه الدراسة عن مدى تأثيره بمن سبقه من المفسرين ، وكيف تعامل معهم ، وما هي المآخذ التي سجلت عليه ، وما هي المجالات التي أبدع فيها .

ركزت هذه الدراسة على القاعدة الفكرية التي انطلق منها الشيخ في معالجته لجميع القضايا التي تطرق إليها ، وعلى تحرير الآراء التي جاء بها ، ومدى اعتماده في ذلك على نصوص الكتاب العزيز ، وتحديث عن مدى اهتمامه بمسائل علوم القرآن الكريم ، واهتمامه بقضايا اللغة والنحو واعتماده عليهما اعتماداً كبيراً ، وأوضحت عن مدى معالجته للقضايا الفقهية والتزامه بمذهبه .

انتهت هذه الدراسة إلى أن الشيخ مفسر جامع يحاول أن يسائر المدرسة الحديثة في التفسير ، وينسج على منوال من سبقه من المفسرين وأوضح أن الشيخ كان داعية لمذهبه مما لم يجعله موضوعاً تماماً . أحياناً وتفسيره يتم عن سعة اطلاعه وتبحره في العلوم المختلفة ، ومع ذلك فهو ليس سهل القراءة من ناحية المضمون ، والشكل ؛ فلا يصلح لمختلف المستويات من القراء . والفئة التي يمكن أن تستفيد منه هم المتخصصون في هذا العلم .

والحمد لله في الأولى والآخرة .

الفصل الأول الفهرس الاباضى

وفيه المباحث التالية :

المقدمة

المبحث الأول :

نشأة المذهب الاباضى .

المبحث الثانى :

الاباضية والفرق الاسلاميه

المبحث الثالث :

الاصول الاساسيه عند الاباضيه

المبحث الرابع :

بعض المسائل الخلافيه

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم النبيين وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين ومن اهتدى بهداه واتبع سنته إلى يوم الدين .

وبعد ،،

فإن خير الأعمال الاشتغال بالعلم الديني ، وأفضله وأعظمه حركة ، معرفة أعظم كتاب عرفته الإنسانية ، إنه كتاب الله تعالى ، الذي لم يكن للامة الإسلامية على مدى أربعة عشر قرناً ملاذ بحمي بقاءها ، وتحقيق به وجودها غيره والذي التحمت به قلوب المؤمنين على تنائي الدهار وتباعد العصور وتفاوت الأفكار على نور من الله ابتغاء مرضاة الله .

فكرة الدراسة : بعد إتمامي للمواد الدراسية ، حان الوقت لأن أكتب بحثاً ، فأخذت أبحث عن موضوع يكون موضوعاً لرسالتي ، وبعد البحث المتواصل ، والجهد المستمر ، والاستشارة المتكررة لاساتذتي الأفاضل وقع الاختيار على تفسير (تيسير التفسير) للشيخ محمد أطفيش ؛ وذلك للأسباب الآتية : .

أولاً : غياب الدراسات العلمية المنهجية حول فرقة الإباضية التي لا تزال مجهولة عند الكثير إلى الآن .

ثانياً : دراسة المنهجية الإباضية في التفسير ، ومحاولة التعرف على الطريقة التي تناولت فيها القرآن الكريم بالشرح والتفسير ، والإضافات التي أضافتها للمكتبة القرآنية .

ثالثاً : ثراء نتائج المؤلف وغزارة علمه ومنزلته في دنيا مذهبه ، وأثره البارز في الدعوة والإصلاح ، لهذه الأسباب وغيرها تم اختياري لهذا الموضوع .

أما الطريقة التي اتبعتها في هذه الدراسة ، فبعد أن تمت الموافقة على هذه الرسالة شمرت عن ساعد الجد والمثابرة وبدأت في جمع وإحضار المصادر والمراجع التي لها علاقة بموضوع البحث ، والاطلاع على فهارس المكتبات العامة والخاصة ، وراست المراكز والجامعات والسفارات داخل المملكة وخارجها ثم قمت بدراسة ما جمعت وتبعت آراء الإباضية الأصولية في كتبهم المعتمدة والكتب المساندة التي نقلت آراءهم ثم قمت بتحليلها وتقويمها واستخراج النتائج منها .

أما خطة البحث فهي مكونة من مقدمة وثمانية فصول وخاتمة على النحو التالي : .

المقدمة اشتملت على فكرة الدراسة وأسباب اختيارها وخطة العمل فيها .

أما الفصل الأول : فجاء في الفكر الإباضي .

الفصل الثاني : حياة الشيخ محمد أطفيش .

الفصل الثالث : مدخل إلى تفسير محمد أطفيش .

الفصل الرابع : دراسات في المنهج العام لهذا التفسير .

الفصل الخامس : قضايا علوم القرآن في هذا التفسير .

الفصل السادس : منهجه العقدي في هذا التفسير .

الفصل السابع : منهجه في مسائل اللغة والنحو .

الفصل الثامن : منهجه في عرض الأحكام الفقهية .

أما الخاتمة فقد أشرت فيها إلى بعض ما سجل على الشيخ من صلبيات وما سجل له من محامد ومحاسن ثم ذكرت بعض التبيّهات والاقتراحات .

أما العقبات التي اعترضت سبيلي في هذا البحث فإنها غير يسيرة فلم يكن اخراج منهج الشيخ أطفيش أمراً سهلاً ، ولا المغامرة في قراءة تفسيره ومراجعة مادته نزهة في بستان فقد كلفني الكثير من الجهد والوقت وأهم هذه العقبات تمرّد إلى :-

١- قلة الدراسات العلمية التي تناولت هذا الموضوع ، فلم أجد أمامي أثراً أتبعه .

٢- أن أكثر المصادر والمراجع الواجب الاطلاع عليها لم يكن الحصول عليها سهلاً .

٣- سوء اخراج الكتاب وطبعته فهو يفتقد عنصر الترتيب وجاء مشحوناً بالاختطأ المطبعية والنحوية ، ويخلو من الضبط وعلامات الترقيم ، وكأنه مسودة لم تبيض أو مخطوط بحاجة إلى تحقيق ، زد على ذلك أسلوب الشيخ وصعوبة عباراته التي يحاكي فيها النحاة القدماء والتي لا تخلو من تكلف فلا يستطيع القارئ الوصول إلى فهمهما إلا بعد عناء ومشقة .

وأخيراً فإن ما بذلته من جهد في هذه الرسالة فهو قدر الوسع والطاقة فما كان منه صواباً فهو من الله وحده وما كان خلافاً فأسأل الله أن يغفر لي والكمال لله وحده . وحسبي أن أقول في ختام هذا البحث أن الكلام في التفسير والحكم على مفسريه دين يحاسب المسلم عليه . لذلك ؛ يشهد الله أنني ما أردت إثارة مسلك أو مذهب معين ، وإنما سلكت في هذا البحث أسلوب البحث العلمي المتجرد ، وسيطر عليه روح البحث عن الحقيقة والصواب في الرأي .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يقع هذا البحث موقع القبول لكل من يفف عليه ويقرأ فيه . ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه إنه جواد كريم .

والحمد لله رب العالمين

أولاً : تنقل المذهب الإباضي

تمهيد : حول موضوع الخلافة اختلطت مفاهيم العقيدة بفضايا السياسة ، فكان لا بد لكل من رام البحث في تاريخ الفرق الإسلامية ، أن يبحث هذه المسألة ،

• فكيف تم اختيار الخلفاء الراشدين الأربعة ؟ .

تكاد الروايات تجمع على وقائع اختيار الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - فعندما التحق النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى ، واختاره الله تعالى لجواره ، ولم تمض تلك الليلة ، وقبل أن يوارى جسده الطاهر ، وتجف الدموع في المآقي ، تمت البيعة لأبي بكر (١) واختاره أهل الحل والعقد ، بطريقة الانتخاب المباشر . بينما كان اختيار عمر (٢) - رضي الله عنه - عن طريق ترشيح أبي بكر له ، وموافقة الأمة على هذا الترشيح . ولما قضى الفاروق ، تم اختيار عثمان (٣) رضي الله عنه - من بين عدد من الأشخاص الذين رشحهم عمر - رضي الله عنه - ممن توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راضٍ . وبعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - ؛ أختير علي (٤) - رضي الله عنه - عن طريق البيعة العامة له من أهل الحل والعقد ، وجمهور المسلمين ، ثم أرسل بالبيعة إلى الآفاق والأمصار ، فجاءته البيعة من كل مكان إلا الشام ، والزعم أن طلحة والزبير - رضي الله عنهما - لم يدخلوا في البيعة ، أو بايعا مكرهين فلا سند له ولا حقيقة . (٥).

بؤادر الخلاف والأصول التاريخية للخوارج :-

قام الإمام علي بإجراء تنظيمات إدارية لإعادة الاستقرار والأمن ، وتم له ما أراد إلا ما كان من أهل الشام ، وواليها معارية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - الذي كان قد وطّده حكمه وبسط نفوذه في الشام ، ثم أخذ يطالب بالانقضاء من قلة عثمان ، ولم يسهل الإمام علياً طويلاً (٦).

(١) المسيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبراهيم ، عبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث ٣٨/٤ . وسشار إليه فيما بعد بسيرة ابن هشام ، للبداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير تحقيق مجموعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت ٣٠٥/٦ وسشار إليه فيما بعد بالإنابة والنهاية ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ الذهبي ، دار الكتاب العربي ٦/١ وسشار إليه فيما بعد بتاريخ الإسلام .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المطبعة الحسينية المصرية بيروت ١٣٣/٦ وسشار إليه فيما بعد بتاريخ الطبري ، البداية والنهاية ١٨/٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٣/٥ ، تاريخ الإسلام الذهبي ٣٠٥/٥ .

(٤) تاريخ الطبري ١٥٢/٥ ، البداية والنهاية ٣٣٧/٧ .

(٥) تاريخ الطبري ١٥٨/٥ .

(٦) المصدر السابق ١٦٣/٥ .

وجرت بينهما مفاوضات ، ولكنها باءت بالفشل ، والتقى جيش علي ، وجيش معاوية في صفين (٣٦هـ - ٦٥٧م) - واستمرت الحرب ، وكثر القتل في جيش معاوية ، ولاحت إمارات النصر لجيش علي ، ونادى الصحابي عمرو بن العاص في جيش معاوية : من كان معه مصحف فليرفعه . وأحب بعض أهل العراق المواقعة ، ورفض علي ذلك ؛ ولكنه اضطر في النهاية إلى قبول التحكيم لزولا على رغبة الغالبية العظمى ممن كانوا معه ، وإن لم يقتنع به (١) وهناك وجهة نظر لمؤرخ إياضي ؛ (٢) إذ يرى أن رفع المصاحف مؤامرة دبرها عمرو بن العاص ، ومعاوية ، والأشعث بن قيس ، وأن الأشعث أجبر عليا على قبول التحكيم ، وأنه هو الذي اختار أبا موسى الأشعري حكماً ، ويرى أن الأشعث هو أصل كل اضطراب ، وفساد كما نص على ذلك ابن أبي الحديد. (٣) ونعود لما قرره كتاب أهل السنة، فبعد قراءة كتاب التحكيم ظهر نزاع في جيش علي حول صيغة التحكيم. (وتباغض القوم وتساووا ، وأقبل بعضهم يتبرأ من بعض). (٤) ثم أمر علي بالرحيل إلى الكوفة ، ولحق معاوية بالشام ، ولما دخل علي الكوفة أنكر عليه بعض من جيشه التحكيم ؛ بعد أن رأوا أنه لم يوقف القتال ، وظهرت بدايات تمرد من قبل بعض الجيش ، ورفعوا شعاراً صاغوه حين ذاك: (لا حكم إلا لله) وطالبوا علياً أن يتوب كما تروي ذلك كتب أهل السنة وكتب الإياضية . (٥) ثم أخذ الأمر يتجاوز هذه القضايا حين حصل أخطر شقاق وأقصى نزاع ظهر في حياة المسلمين بعد معركة صفين ، وانعزلت جماعة من الجيش ونزلوا حروراء ، (٦) وكانوا على ما رواه ابن كثير (٧) ستة عشر ألفاً أو اثني عشر ألفاً.

(١) وهذه وجهة نظر الإياضية ، وهي تنفي إلى حد كبير مع روايات أهل السنة والنصوص التاريخية، فعلي - رضي الله عنه - كان يدرك أن مطلب التحكيم مدعة من قبل المشائين ولكن جهف ألح عليه بذلك وقال تأكلهم كما رواه شيخ المؤرخين الإمام الطبري: (يا علي أسب إلى كتاب الله عزوجل إذا دعيت إليه ، وإلا تدفعك برمك إلى القوم ، أو تفعل كما فعلنا بين عقاب) تاريخ الطبري ٢٧/٦ .

(٢) الخولرج هم أنصار الإمام عني للشيخ سليمان بن داود بن يوسف ، دار البعث الجزائر ص ٨٢ ، ص ١١٧ .

(٣) نهج البلاغة لابن أبي الحديد (وهو مؤرخ فيه نزاع إلى التشيع) تحقيق لجنة إحياء الدخائر بيروت ٤٦٨/١ .

(٤) أنظر مروج الذهب ومعادن الجوهر الطبعة الرابعة ٤٠١/٢ .

(٥) أنظر نليس نليس الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار الفكر ص ٩٣ ، نهج البلاغة ١٠/١ .

(٦) فرية بظواهر الكوفة على بعد ميلين منها / معجم البلدان باقرت الحموي ٢٤٥/٢ .

(٧) البداية والنهاية ٢٩٠/٢ .

وبدأت المناوشات والمناظرات بين علي - رضي الله عنه - وعناصر الانفصال ، وتبادل الفريقان الرغود أملًا في إيجاد حل ، إلا أن هذه العناصر قررت عدم الاعتراف بشرعية الإمام علي ، واستمروا على ضلالهم كما وصفهم الحافظ ابن كثير، (١) ثم اختاروا أميرا لهم وتجمعوا في النهروان ؟ (٢) فخرج إليهم الإمام علي وناقشهم ، فلم يستجيبوا ، واستحلوا دماء المسلمين فقاتلهم الإمام علي ، ولم ينج منهم إلا قلة قليلة. وقرروا الانتقام من علي ، فتل الشهادة - رضي الله عنه - علي يد واحد منهم سنة (٤٠ هـ = ٦٦٠ م) (٣).

حكم المسلمين على الخوارج ومن دان بقولهم -

نقل الإمام الحافظ ابن حجر في الفتح عن ابن بطلال والخطابي وغيرهما : أن المسلمين أجمعوا على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين ، وأنهم لا يكفرون ، ماداموا متمسكين بأصل الإسلام - (٤) وقرر ابن تيمية : أن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفهم علي - رضي الله عنه - لم يكفروا الخوارج .

(١) البداية والنهاية ٢/ ٢٩٠.

(٢) بالفتح وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي من مجمل البلد ان ٣/ ٨٩٤.

(٣) ويرفض صاحب كتاب (الخوارج هم أنصار الإمام علي) ما نسب إلى الخوارج من استحلال دماء المسلمين ، ونقل الإمام علي ، ويرى أن الذي عجم على أهل النهروان ليلاً وهم وقود، الأئمت من قيس، عندما رأى أن علياً مقبلاً على مواصلة الحرب مع معاوية. ويرى أن الخيال علي مؤامرة دبرها الأئمت من قيس، وأن الخوارج برآء من دم علي .

وما ذهب إليه مصنف هذا الكتاب لا دليل عليه ، ولم يرد عند المؤرخين المتقدمين المشهورين، ولم أر أحداً من أهل التاريخ نقله وصاحب هذا الكتاب لم يعلنا مصدر أمتدداً أعده منه هذا ، والأصل في هذه الروايات أن تغف عنها ونحصرها ، فجميع كتب التاريخ تذكر أن الذي قتل علياً هو (ابن ملجم) أما بالنسبة للأئمت وإتهامه بتدبير المؤامرة لقتل علي فلم أر كذلك أحداً من المؤرخين وكتاب الفرق أشار إلى ذلك ولو كان حصل شيء من ذلك لذكره المؤرخون ولم يضافوا عنه بل الذي يذكرونه أن الذي صلى عليه بعد وفاته هو الحسن بن علي قتل كان عند الحسن شبهة في تورط الأئمت في اغتيال أبيه لما صلى عليه وقد ذكر (فلهوون) أن هذه تهمة جاءت نقلاً عن المستشرقين وهو منهم وسير تخميناتهم وقائع وحقق ولهذا لا قيمة لرواياتهم ، ويرى أن الأئمت كان يمثل دورة الوساطة بين علي ومعاوية. أنظر أحزاب المعارضة في صدر الإسلام (فلهوون) . أنظر ترجمة الأئمت : التاريخ الكبير ٤/ ٤٣٤ ، الإصابة ١/ ١٠٥ ، أسد الغابة ١/ ١١٨.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر ، المكتبة السننية ١٢/ ٣٦٤ ، ويشير إليه فيما بعد بفتح الباري.

وناقش من يقول بتكفيرهم (١) ولعل مفتاح الحكم على الخوارج ما نسب إلى علي رضي الله عنه - حين سئل عن أهل النهروان - أمشركون هم ؟ فقال : من الشرك فروا ، قيل : أمتاقون . قال : إن المتأقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، فقليل : فما هم ؟ قال : إخواننا بفوا علينا فقاتلناهم بينهم (٢) وهناك من العلماء من صرح بكفر الخوارج واستدلوا بظاهر الحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله يقول : (يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرعون القرآن لا يجاوز حلقهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الراسي إلى سهمه فيتماري في الفوقية هل علق بها من الدم شيء) وقد أحتج بهذا الحديث كذلك من لم يقل بتكفيرهم فبعد أن وصفهم الحديث بالمروق من الدين قال ينظر الراسي إلى سهمه فيتماري (لأن التماري من الشك وإذا وقع الشك في ذلك لم يقطع عليهم بالخروج من الإسلام لأن من ثبت له عقد الإسلام يثبت لم يخرج منه إلا يقين) (٣) والذي يبدو - والله أعلم - أن الخوارج لا يكفرون - وإن أخطأوا - ؛ لأنهم مقررون بالشهادتين ، إلا إذا أنكروا معلوما من الدين بالضرورة ، وإن بفوا وأفسدوا قولوا بفغيهم وإنسادهم .

نشأة الإباضية :-

كانت معركة النهروان المعركة الوحيدة التي اجتمع فيها الخوارج تحت قيادة واحدة . وبعد ذلك تفرق شملهم ، وانقسموا على أنفسهم ، وأصبحت ظاهرة الانشقاق مألوفة لديهم ، وتميز كل فريق منهم برأي ، وقامت جماعات منهم بثورات متعددة ، وتصادت نشاطها ضد بني أمية ؛ إلا أنها لم تستطع أن تحقق أهدافها التي كانت تنشدها .

(وكانت هناك جماعة انشقت بعد النهروان ، وسكنت البصرة ، وأثرت السلم لعرض أرائها ، وقد تزعم هذه الجماعة أبو بلال ابن أدية ، (٤) وكونت البصرة التي أنتجت ما عرف في التاريخ الإسلامي بالفرقة الإباضية) (٥) . أما ظهور الإباضية كفرقة مستقلة بآرائها ، وأعلامها ، وأتباعها ؛ فكان ذلك تدريجيا استلزم عقدا من الزمن انتهى بإعلان عبد الله بن

(١) المقتنى في منهاج الاعتدال ابن تيمية ، اختصره الحافظ الذهبي - حققه محب الدين الخطيب ، ٣٢٤ .

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب قتال أهل البغي ١٧٣/٨ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٥٦/١ ، وفورده في معركة الجبل ، أما ابن كثير فأورده في أهل النهروان هبة والنهاية ٧٢/٢٠٠ ، وقال : علما ما أورده ابن جرير وغيره في هذا المقام .

(٣) فتح الباري رقم الحديث (٦٩٣١) ١٢/٣١٤ .

(٤) ابن أدية هو أبو بلال مرداس بن جندب بن عامر بن كعب التميمي ابن أدية وأدية أمه ، شهد صفين مع علي رضي الله عنه - وألحقه التحكيم وشهد النهروان ، توفي سنة ٦٦ هـ ، لسان الميزان ١٢/٩ ، الأعلام ٧/٢٠٢ .

(٥) نشأة الحركة الإباضية د. عوض محمد خليفات ٦٤ وما بعدها .

إياض صراحة رفضه الخروج مع المتطرفين ، بعد لقاء (١) عبدالله بن الزبير سنة (٦٥ هـ = ٦٨٤ م). وهذا الموقف تذكره كذلك كتب الإباضية (٢). أما التأسيس والتنظيم لهذه الفرقة فقد كان على يد الإمام جابر بن زيد الذي انضم إلى جماعة أبي بلال بعد مجيئه إلى البصرة ، ومن كان لهم دور أساسي في تنظيم الحركة الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة فقد انتهت إليه رئاسة المذهب بعد وفاة الإمام جابر ، واستطاع أن يضع للإباضية تنظيمًا سريًا خاصاً ، واتبع سياسة اللين والاعتدال في الدعوة وحظي بثقة الحكام الأمويين ، ومنهم كذلك الربيع بن حبيب الذي أصبح زعيماً للمذهب بعد وفاة أبي عبيدة (٣).

سبب التسمية : على الرغم من اضطراب المعلومات حول تسمية الإباضية بهذا الاسم ، إلا أن أغلب المصادر التي ترجمت لهذه الفرقة ، تشير إلى أنها سُميت بهذا الاسم نسبة إلى عبدالله بن إياض (٤) وابن إياض نفسه ، اضطرب المؤرخون في سيرته ، ولم نورد له كتب التراجم - الإباضية وغيرها - إلا معلومات يسيرة ، فلا يعرف بالتحديد سنة ولادته ، ولا وفاته ، ولا مكانهما ولا كيفية اشتباهه إلى هذا المذهب ، وأول إشارة صريحة إلى عبدالله بن إياض ، كانت اشتراكه في الوفد الخارجي ، الذي توجه إلى الحجاز لمشاركة عبدالله بن الزبير في حربه ضد بني أمية ، على الرغم من اختلافهم معه في المبادئ. وعلى أي حال ؛ فإن ابن إياض كان أكثر ظهوراً في الميدان السياسي من غيره. بل الناطق الرسمي باسم هذه الفرقة ، والمسؤول عن مخاطبة الأمة بفكر مذهب ، والمباشر للصراع الفكري مع الحركات الأخرى ، فارتبطت هذه الجماعة باسمه وانتسبت إليه . (٥) ورغم ارتباط هذه الجماعة باسمه فإنهم لا يرونه إمامهم المؤسس ، وأما المؤسس الحقيقي

(١) البداية والنهاية ٨ / ٢٤٣ .

(٢) العمود الفضية في أصول الإباضية سالم بن حمد الحارثي ١٢٢ .

(٣) الإمام جابر وأثره في الدعوة - الصوالي ١٦٩-١٧٥ باختصار .

(٤) انظر - طبقات المشايخ بالمغرب لأبي العباس أحمد بن سعيد الفرجيني ، تحقيق إبراهيم خلّاي ، وهو كتاب في ترجمة مشايخ الإباضية . ويشير إليه فيما بعد طبقات الفرجيني وقد عد الفرجيني عبدالله بن إياض من رجال الطليقة الثانية وهم الذين عاشوا ما بين (٥٠ - ١٠٠ هـ) ٢ / ٢١٤ ، وقال عنه صاحب كتاب (إزالة الرعناء عن أتباع أبي القحطان) لسالم بن محمود بن شمس السبائي - تحقيق د : سيدة اسماعيل كشاشف : - كان رجلاً عراقياً أصله من تميم وله مراسلات مع عبد الملك بن مروان من ٤٩ . وذكره الزركلي في الأعلام ٤ / ١٨٤ .

(٥) إزالة الرعناء عن أتباع أبي القحطان ص ٥٦ .

لهذه الفرقة في المصادر الإباضية فهو : جابر بن زيد (١) أس المذهب ، والإمام الروحي ، والعقل المخطوط ؛ (الشخص الذي يلور الفكر الإباضي بحيث أصبح متميزاً عن غيره من المذاهب) (٢) وإذا كان الإمام جابر بن زيد بهذه المكانة ، فلماذا لم ينسب إليه المذهب ؟. يحاول مؤرخو الإباضية الإجابة على هذا السؤال ، بأن عبدالله بن إياض :

اشتهر بمواقفه الكلامية والسياسية . بقول السَّيَّاسِي : (... كانت له بذلك شهرة أضفت عليه لباس زعامة دينية تبعه عليها أهل الحق فعرفوا به) (٣)

ويقول المؤرخ الإباضي محمد علي دبور : إن الأمويين لا يريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر بن زيد ، حتى لا يجذبوا إليهم الأنظار ، ولا يدون في حالة جابر المشرقة فتحيل إليهم النفوس ، فتسببهم إلى ابن إياض ، وهو أقل منزلة من جابر في العلم ... (٤)

ويرى باحث ثالث ؛ أنه كان يستخدم أسلوب التقية (٥) ، فكان يعمل بالخفاء ؛ لأن أي أمر يكشف ولائه للإباضية فإنه يعرضه للخطر . ومما يجدر التنبيه إليه أن بعضاً من مصادر أهل السنة تورد بعض الروايات تنفي فيها علاقة الإمام جابر بن زيد بالإباضية ، ملاحظتها (أنه قبل لجابر بن الإباضية يزعمون أنك منهم فقال : أبرأ إلى الله منهم) (٦).

وإن صححت هذه الروايات فلملح قال ذلك نقية ، وإلا فإنه لا يمكن لباحث أن يقطع الصلة بين جابر بن زيد والإباضية فمعظم مصادر الفرق الإباضية وغير الإباضية تعتبر جابر بن زيد أحد أسلاف الإباضية (٧).

(١) هو جابر بن زيد الأزدي البصري المعروف بأبي الشعثاء والشعثاء ابنته ، ولد في عمان سنة (٢١ هـ) كان من أبرز التابعين تلقى العلم من هيثم بن عباس وقال فيه : لو أن أهل البصرة تولوا عند قول جابر لا وسعهم علما ، وثقه ابن معين وأبو زرعة ، وروى له البخاري ومسلم في صحيحها ويقال إنه له كتابا يسمى (ديوان جابر) ضمنه آراءه وخلافه وهو مفقود توفي سنة ٩٣ هـ ، وقيل ٩٦ هـ ، وقيل ١٠٣ هـ .

انظر ترجمته : التاريخ الكبير ١/١٠٦ ، تهذيب التهذيب ٢/٣٤٤ ، تذكرة الحفاظ ١/٧٢٢ الاعلام ٢/١٠٤ ، طبقات المرجيني ٢/٢٠٥ ، الإمام جابر بن زيد وآثاره صالح الصواف .

(٢) نشأة الحركة الإباضية - عوض خليفات ص ٨٠ .

(٣) إزالة الوهماء من أتباع أبي الشعثاء ص ٥٦ .

(٤) تاريخ المغرب الكبير محمد علي دبور ٢/٣٩٨ .

(٥) الإمام جابر بن زيد وآثاره - الصواف ١٤٨ ، والثقة عندهم جائزة ، وليست واجبة (منهج الطالبين) ٢/١٨٢ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢/٢٨٨ .

(٧) مقالات الإسلامية ١٥١ نهج البلاغة ٥/٢٦٦ المرجيني ٢/٢٠٥ .

مما يجدر التنبيه إليه أن هناك اختلافا في لفظ الهمزة فبعضهم يفتح همزة (أباض) فتصير النسبة والتسمية (الأباضية) والبعض الآخر يكسر همزة كلمة (إباض) فتصير التسمية (الإباضية) (١)

وأخيرا : فقد كان عليّ أن أقدم هذه الكلمات الموجزة ، وأن ألقى نظرة سريعة ، وفكرة مختصرة عن الملامح التاريخية لهذه الفرقة ونشأتها وأنا بسبيل البحث في منهج تفسير إمام من أئمة هذه الفرقة، دون الدخول في قضايا وتفصيلات قد تخرجنا عن أصل الموضوع .

(١) العقيدة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن والمجاز . سالم بن حمود السبائي ص ٣٥ .

المبحث الثاني الإباضية والفرق الإسلامية الأخرى

أ. الإباضية والخوارج .

ب. الإباضية والمعتزلة .

ج. الإباضية والشيعة .

المبحث الثاني: الإباضية والفرق الإسلامية

فرق الإسلام جميعها على اختلاف مناهجها وتباين مدارسها خدمت الفكر الإسلامي وساهمت في إغنائه ، والحق ليس حكراً على أحد والرأي مشترك ، والذم يلحق كل من لا يطلب الحق أو يظهر له فيعرض عنه ، وهذه إشارة عجيلى لعلاقة الإباضية مع بعض الفرق الإسلامية .

أ- الإباضية والخوارج .

إن مسألة التفريق بين الإباضية ، والخوارج مسألة قديمة حديثة تعددت فيها الآراء ، واختلفت فيها المآخذ ، والمشارب ، حتى في المذهب الإباضي نفسه . والحديث في هذه المسألة يطول ، ولكن الذي أود الإشارة إليه أن موضوع اللبس جاء من تحديد مفهوم الخوارج . فأهل السنة يرون أن كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة فهو خارجي (١) . قال الأشعري : (والسبب الذي سموا به خوارج خروجهم على علي (٢)) .

أما عند الإباضية فالخروج هو : المروق من الدين . أما الخروج على الإمام فلا يحبرونه خروجاً . والخوارج في نظر الإباضية هم الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية الذين استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وكفروهم ، وأبطلوا آيات الكتاب فهم خوارج ؛ لأنهم قتلوا ذلك لا لأنهم انفصلوا عن علي (٣) .

يقول أحدهم : والخروج عن الإسلام يكون بإنكار الثابت القطعي ، وأكثر الفرق الإسلامية إلى هذا المعنى هم الأزارقة ، ومن ذهب مذهبهم . أما أصحاب المقالات ومؤرعو المذاهب الكلامية في القديم والحديث ، فإنهم يعدون الإباضية فرقة من فرق الخوارج (٤) . أما الإباضيون وعاصدة المتأخرون منهم ، فإنهم يعلنون براءتهم من الخوارج ، ويفضون حين يسمعون أحداً ينسبهم إلى الخوارج (٥) . ويعتبرون أن إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية أهل الحق من الدعايات التي نشأت عن التعصب السياسي ، والمذهبي . ويقول علي يحيى معمر : (إن توافق رأي الإباضية مع الخوارج في نقطة لا يجعل الإباضية خوارج ، ولا الخوارج إباضية (٦)) .

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٤٤ - الملل والنحل لابن حزم ٤/٢ . (٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ٥ . (٣) الإباضية في موكب التاريخ ، علي يحيى معمر ٣٤/١ .

(٤) مقالات الإسلاميين الأشعري ١٠٢ ، الفرق بين الفرق للبقاعي ٧٢ ، التبصير في الدين الإسفرائيني ص ٢٢ ، تاريخ المذاهب لمحمد أبو زهرة ٩١/١ ، دائرة المعارف الإسلامية ١٣/١ .

(٥) اسلام بلا مذاهب ، مصطفى الشكعة ١٣٢ . (٦) الإباضية في موكب التاريخ ٢٧/١ .

وهكذا يتبين لنا أن الإباضية في مصطلح أهل السنة يدخلون ضمن فرق الخوارج. أما في اصطلاح الإباضية أنفسهم ، فلا يصنفون ضمن فرق الخوارج.

ولا بد هنا من وقفة يسيرة مع هذا الموضوع . هناك رسالة (١) بحثها من ينتسب إليه المذهب وهو عبدالله بن إباح إلى عبد الملك بن مروان ، وهذه الرسالة ترسم الخطوط العريضة للمذهب الإباضي ، وتشمل الإنكار على عثمان ، وعلي - رضي الله عنهما - وتأييد أهل النهروان ، ووافق الخوارج في خروجهم . ثم يقول : يشهد الله ، والملائكة ، أنا لمن عاداهم أعداء ولعن والاهم أولياء ، نعيش على ذلك ، ونموت عليه ، ونبرأ من الأزرق ، وصنيعه ، واتباعه . (٢) وقد وضع ابن حزم قانوناً ضابطاً لمعرفة الخوارج . فقال : (ومن وافق الخوارج في إنكار التحكيم ، وتكفير أصحاب الكيثر ، وتخليدهم في النار ، والقول بالخروج على أئمة الجور ، والإمامة جائزة في غير فريش ، فهو خارجي (٣) . وللحقيقة وبعد دراسة وإطلاع على ما كتبه مؤرخو أهل السنة ، والإباضية على السواء ، وليس مسaire لأحد ، ولا تعصبا لمذهب ، ومن خلال الإطار الذي خطه عبدالله إباح ، والقانون الذي وضعه ابن حزم . وللمجذور التاريخية ، ولربط الإباضيين أنفسهم بأهل النهروان - وهم نواة الخوارج - . فإن الباحث لا يستطيع أن يخرج الإباضية من فرق الخوارج . وإن اختلف المذهب فيما بعد وهذا الاعتقاد هو القائم عند المؤرخين الذين أروا لهذه الفرقة بشكل عام . ومحاولات التفريق بين الإباضية ، والخوارج يقوم بها غالباً الكتاب الإباضيون أنفسهم . ويدعو أن الإباضية أحياناً يعترفون بهذا الوصف . ويقلونه ، ولكنهم يميزون أنفسهم عن المستطرفين . (بإطلاق لقب خوارج الجور على المتطرفين) (٤) . وفي ثنايا تفاسير الشيخ محمد أطفيش نحصل منه على اعتراف صريح ؛ بأن أصل الإباضية فرقة من فرق الخوارج . فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ... ﴾ البقرة آية (٣) يقول : (واختلفوا - الخوارج - وهم الذين خرجوا على ضلالة علي ، فقالت الإباضية الوهية ، وسائر الإباضية) (٥) وفي تفسير التفسير قال : (ولما قال الصغرية والتجديدية ،

(١) ثم أنشأ علي أحد ذكر هذه الرسالة من مؤرخي أهل السنة.

(٢) نشأة الإباضية نقلاً عن الجواهر المتقاة ١٧٢ - ١٨٠ .

(٣) الملل والنحل - لابن حزم ١١٣/٢ ، الفرق بين الفرق - المقتادي ٧٣ .

(٤) نشأة الحركة الإباضية د. عرض خليفات ص ٨٦ .

(٥) حبهان الزاد إلى دهر المعاد ١/١٩٥ .

والأزارقة بتحليل الدماء والأموال بالذنب خرج عنهم الإباضية الوهية (١) فالواضح من نص الشيخ أن الإباضية فرقة من فرق الخوارج ، وإن انفصلت عنهم فيما بعد.

بـ الإباضية والمعتزلة (٢)

يكاد كتاب الفرق ومؤرخو المذاهب أن يجمعوا على تشابه الفكر الإباضي ، مع الفكر المعتزلي في أهم الأصول العقائدية ، والسياسية ، والفكرية. حتى لا يكاد يمكن التمييز بينهما، مما جعل القدماء بصفون المعتزلة بوصف فيه لمز بهم (٣) . وقد قرر المستشرق الإيطالي نيلنو (ت ١٩٣٨) الصلة بين المعتزلة، والإباضية وأورد شواهد على توافق الفكرين في أهم المسائل ومنها : مسألة خلق القرآن، ومسألة الرؤية ، والوعد والوعيد ، وتأويل آيات الصفات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب الإمامة، وإنكار الشفاعة، وابتغيان في تخليد أصحاب الكباثر في النار. (٤) ومع هذا التوافق والاتقاء إلا أنه كان هناك صراع نكري بين علماء المعتزلة، وعلماء الإباضية. قام على المناقشات الكلامية ، والمساجلات العلمية . خاصة - حول المسائل الخلافية، ومن أهمها : مسألة القدر ، وحرية العبد في أفعاله ، والمعتزلة بين الإيمان والكفر. وكتب تاريخ الإباضية تذكر ما جرى بينهم، وبين المعتزلة من مناظرات، ومساجلات. (٥) وكثيرا ما تعرض لهم الشيخ محمد أطفيش في تفسيره وذمهم. (٦) وهنا لا بد أن نسأل : أي الفريقين تأثر بالآخر ؟ يرى البعض أن الإباضية هم الذين تأثروا بفكر المعتزلة . يقول الأستاذ أحمد أمين عن الإباضية : (ولهم أصول كلامية متأثرة إلى حد كبير بمذهب المعتزلة) (٧) . وقال الملطي : (.. وقد ظهر فيهم مذهب الاعتزال ، فمنهم من

(١) تفسير التفسير ١٢/٣٧٦

الصفرة : سمو بذلك نسبة إلى رئيسهم زياد بن الأصغر ، الفرق بين الفرق ص ٩٠ .

الجدلية : أتياع نجدة بن عامر الحنفي ، الفرق بين الفرق ص ٧٨ .

الأزارقة : وهم أتياع نافع بن الأزرق بن قيس الحمي وهم أكثر الخوارج عددا ، الفرق بين الفرق ص ٨٢ .

(٢) في تفسيرهم المعتزلة قراء كثيرة منها : أن واصل بن عطاء كان تلميذا لحسن البصري فاختلف معه في حكم مرتكب الكبيرة فاعتزل محلسة وصار أس المعتزلة نقبل له ولاتباعه (معتزلة) الفرق بين الفرق البيهقي ص ٢١ .

(٣) وهو أنهم (مخانيث الخوارج) التبصير في الدين الأسفرائيني ص ٤١ ، الفرق بين الفرق ص ١١٩ .

(٤) التراث اليوناني في الحضرة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين ، ترجمها وألف بينها عبد الرحمن بدوي ٢٠٤ . ٢١٠ .

(٥) طبقات المدرجيني - ٢ / ٢٤٦ .

(٦) سير شيء من ذلك في الفصل السابع .

(٧) ضحى الإسلام ٣ / ٣٣٣

ترك مذهبه وقال بالاعتزال (١) وهناك رأي آخر يقرر ، أن المعتزلة ، هم الذين تأثروا بالإباضية يقول أحد علمائهم لوأما المعتزلة فغالب مذهبهم في الأمة مكتسب من مذهب الخوارج (٢) (أما ابن الجوزي فيرى ، أن المعتزلة كانت لهم أقوال معتمدين فيها على ما أخذوه من الخوارج) (٣). وبشهادة الإباضية بتلقي المعتزلة الفكرة منهم يسبق نشأتهم بدليل أن إمام الإباضية متقدم على إمام المعتزلة وعليه فإن فلسفة الإباضية تبلورت قبل أن يظهر واصل بن عطاء ومذهبه (٤).

والحقيقة أن النشأة التاريخية لم تكن يوماً من الأيام دليلاً على التبعية الفكرية ، ثم إن الفرق جميعها - وعلى اختلاف مسالكها - لم يستقل أمرها ، ويمكن لهم أقوال كلامية شاملة مقعده حتى بداية القرن الثاني الهجري. ويدعو - والله أعلم - أن القضية قضية تأثير متبادل ، وتلاقح فكرين رديفين ، وأن كلا منهما أخذ عن الآخر ، وأثر بعضهم في بعض. فقد استقوا جميعاً من مصدر واحد ، وأما الخلاف فإنه يمكن إن يقال: إنه يتسق تمام الاتساق مع أصول كل منهما ، وفي النهاية فهو خلاف داخلي في حدود مدرسة واحدة - وهي المدرسة العقلية - وهي تضم مجموعات من الطلاب ، وهؤلاء الطلاب ليسوا على مستوى واحد ، وإنما يجمعهم المنهج العام لهذه المدرسة.

ج- الإباضية والشيعة (٥)

أبرزت معركة (صيفين) (٦) صفتين في جيش علي - رضي الله عنه - ، فصف واقعه وهم الشيعة ، وصف مخالفه وهم الخوارج ، فأول فرق الإسلام هم الشيعة ، والخوارج ، ويقرر مؤرخو الفرق أن الخوارج - ومنهم الإباضية - ، والشيعة على طرفي تقيض (٧) ، فالأولى : تكفر علياً ، والحكمين ، والثانية : تغلو في حب علي حتى انتقدت ، وترى أنه مصيب في

(١) التبيه والرد - الماطي ٥٤ (٢) منهج الميعاد نفاً من كراء الخوارج ص ١٨٦ .

(٣) تليس إبليس ص ٩٩ .

(٤) مما يحذر التنبيه إليه مراجعته الباحثون من أن حركة الاعتزال بدأت في أوائل المائة الثانية للهجرة أي في بداية القرن الثاني ، المعتزلة زعمدي جبار الله ص ١٢ .

(٥) الشيعة : تعني الأنباخ والأنصار. وشيعة الرجل : أتباعه وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً . (القاموس المحيط ٤٩/٣) . أما الشهرستاني : فيرى أن الشيعة هم الذين تاهبوا علياً على الخصوص ، وقالوا بإمامته ، وعلاقته نصاً ووصفاً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم تكون من غيرهم ، أو بتقية من عنده الملل والنحل - الشهرستاني ١٤٦/١ .

(٦) موقع عند الغاء الشام بالقرب من الرقة على شاطئ الفرات . من الجانب العربي - وهي اليوم شمال سوريا - معجم البلد إن - ياقوت

(٧) ضحى الإسلام - الأستاذ أحمد أمين ٣٣١/٣ .

التحكيم ، ونحط من شأن باقي الصحابة. يقول عبد الرحمن بقوي في تقديمه لكتاب (فلهوزن) : (... الخوارج والشعة نشأتا في حضن حزب واحد، ثم تعادينا فيما بينهما، ثم شاعت ظروف الخصومة المشتركة ضدّهما ، أن يحالفا معا على مضض ، ولكن مبادئ كل منهما منذ البداية في تعارض تام مع مبادئ الأخرى) (١) . والحاصل أنه وإن لم يسجل التاريخ بينهما صراعات دامية كثيرة، وكان بين الطائفتين ما يشبه الهدنة، لوجود العدو المشترك . فإنهما يختلفان من حيث الأساس. والمداوة بينهما قائمة. ويدر أن هناك اقترابا وتداخلا بين الإباضية والشيعة ، خاصة في الآراء الكلامية ، والعقليات الحدلية، التي يلصقها الباحث لأفكار الإباضية . تجددها عند الشيعة ، ولعل ذلك يعود إلى تلاقح فكري الطائفتين مع المعتزلة . يقول د. عبد الحليم محمود : (وأكثر الشيعة يوافق المعتزلة في أكثر الأصول ، ولا يخالفهما إلا في مسائل قليلة تتعلق بالإمامة) (٢).

بهذه المحاولة نكون قد أعطينا فكرة مختصرة وعلى قدر وسعنا عن الملامح التاريخية والأصول العقائدية للإباضية وعلاقتهم مع الفرق الإسلامية الأخرى ، وبهذا نتمكن من الاسهام في توضيح حالة هذه الفرقة التي لم تحظ بالدراسة الكافية والتي كنا نجعل الكثير عنها . وهدفنا من ذلك بيان معالم الطريق منذ البداية ، وقد التزمنا بتسجيل معتقداتهم على ضوء ما هي عليه في مصادرهم ، وذلكنا عليها بأرقامها وصفحاتها ليعرف الحق بدليله وليكون أدلة لا مجال فيها للارتباب ، وإن كنت في هذا الفصل لم أتجاوز سبيل الدراسة الوصفية والوقوف على الأصول المقررة لديهم معتمداً على أوثق المراجع وأمتن الأسانيد دون أن نفتح باب الجدل والنقاش ، فلا داعي أن نخوض غمار هذا المحترك ، وما سجلناه عليهم ليس من باب التعصب والتجريح ولكن ليتسم البحث بالعلمية والموضوعية وهذا هو الهدف الذي سعت إليه هذه الدراسة والحق أحق أن ينبع .

والله المستعان وعليه التكلان.

(١) أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة) يوليو فلهوزن ص ١٣ .

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام - عبد الحليم محمود ص ١٠٢

المبحث الثالث : الأصول الأساسية عند الإباضية

تمهيد :

من المعلوم أن لكل فرقة أسساً فكرية ، تعد بمثابة المرجع الذي يحدد منهج معتقديها بما يضي عليها شخصية مستقلة . وبحكم أن الإباضية فرقة إسلامية لها أصولها ، ولأئمتها اجتهاداتهم ، فيحسن بي أن أبين أهم هذه الأصول ، والاجتهادات على ضوء ما جاء في كتب القوم - وما توفر لدي منها - وما قرره أئمتهم لتعرف على آرائهم وتصوراتهم عبر مؤلفاتهم ؛ لأعرف الحقيقة بأدلتها لا بالتقليد والتعصب ، والحكم على النيات والمقاصد . والأمانة العلمية تقتضي الأخذ بالدليل ، وتحرير الآراء والتقويم ، مع وافر الحرمة والتقدير لأئمة العلم والدين . ولن أتعرض للأصول التي أئنف عليها أهل الملة الإسلامية ، مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وإنما أبين الأصول التي وقع فيها الخلاف أو كان هناك شبه خلاف . وإتماماً للفائدة أشير إلى منهج أهل السنة ، وبعض الفرق الأخرى ؛ لتعرف على الموضوع من كافة زواياه وأبعاده ، كل ذلك مع الإيجاز التام ، والبعد عن الاستطراد :-

الأصل الأول : التوحيد :-

نستطيع القول : إن أهم ما يحتاج به الإسلام عن غيره هو التوحيد ، وهو أصل تشترك به جميع الفرق الإسلامية ؛ ولكن بعض الفرق تفسره تفسيراً خاصاً وتصور له مفهوماً معيناً . ومن النصف في القول أن منهج الإباضية في التوحيد يعتبر من القضايا التي لم يتأثر فيها المذهب بمؤثرات غير إسلامية ، كما هو الشأن عند فرق تنسب للإسلام ؛ ولكنها ليست منه ، كالباطنية ، وأهل الحلول والاتحاد . فالتوحيد عند الإباضية : هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية ؛ فهو مكنسب من أدلتها اليقينية. (١) وقبل أن ندخل في تفصيل هذا الأصل ، يجدر بنا أن تنوه إلى أن جمهور الإباضية يتفقون على وسيلة معرفة التوحيد ، وأنها بالشرع لا بالعقل ، فالعقل ليس كافياً لتقام به الحجة بين الناس . يقول السالمي وهو عالم ضليع في المذهب الإباضي : (وذهب الجمهور منا إلى أن العقل لا حكم له في شيء من الوجوب الشرعي ، وهو ما يترتب عليه الثواب والعقاب ، فلا وجوب عندنا قبل الشرع في

(١) ملاحظات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي للشيخ سالم بن حمود تأسس السبائي ص ١٠٥

شيء من الأصوليات والفرعيات ، لا فرق في ذلك بين التوحيد وغيره ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ الإسراء (١٥) وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ طه (١٣٢) ولم يقل : (أَوَلَمْ لُكِّبْ فِيهِمْ عَقُولاً) (١) . فمصدر التلقي عند الإباضية كما يفهم من كلام السالمي هو : النقل لا العقل ؛ وإثبات هذا الأصل والمبدأ من أهم الركائز المشتركة التي تلتقي فيها الإباضية ، مع أهل السنة . وأهم ميّحت في التوحيد هو الأسماء والصفات ؛ الاسم والصفة عند الإباضية بمعنى واحد ، والذات والصفات شيء واحد ، والصفات عين الذات . يقول السالمي : (ذهب أصحابنا إلى أن أسماء الله وصفاته الذاتية هي عين ذاته) (٢) .

والصفات عندهم قسمان :

١- صفات فعلية . ٢- صفات ذاتية .

فالصفات الفعلية : هي كل صفة جاز أن تجامع ضدها في الوجود عند اختلاف المحل (٣) مثال ذلك أن يعطي لفلان الرزق ويلبسه عن الآخر ، أو يهب لواحد ذكراً والآخر أنثى . وهذه الصفات عندهم تنفي عن الله في الأزل ؛ أي لا يتصف بها في الأزل ، وإنما يتصف بها فيما لا يزال ، فهو خالق باعتبار ما سيخلق ، ورازق باعتبار ما سيرزق ، فيصح عندهم أن الله - تبارك وتعالى - كان ولم يرزق ولم يخلق .

أما الصفات الذاتية : فهي كل صفة لا تجامع ضدها في الوجود ، ولو اختلف المحل : كالعلم ، والقدرة ... فلا يقال : قدر على شيء وعجز عن شيء ، كما لا يقال : علم كذا أو جهل كذا . (٤) وهي عندهم اعتبارية أي ؛ لا وجود لها في ذاتها ولا في ذاته ، والمقصود نفي تضادها المستحيلة في حقه - تبارك وتعالى - . فوصف الله - عز وجل - بالعلم نفي ضدها عنه ، فهو عليم لا يعلم هو غيره ، فهو - سبحانه - عالم بذاته ؛ يعني أن ذاته منكشف لها جميع المعلومات من غير قيام صفة قديمة ؛ فالله - سبحانه - غني عن كل معنى قديم زائد عليه قائم به ، ولو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية . (٥) وقول الإباضية هنا يشابه قول الخوارج ، والمعتزلة ، فالتوحيد عند المعتزلة : هو من أصولهم الخمسة ، ويدور على نفي القدماء ، فلا قديم مع الله - سبحانه - ولا يملك الله - سبحانه - صفة خارجة عن ذاته ، وقالوا : جميع الصفات هي أي ذاته (٦) إلا أن الإباضية تخالف المعتزلة في الإرادة ؛ فالله - سبحانه -

(١) مشارق أنوار العقول تأليف نور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد السالمي ، علق عليه وصححه الشيخ أحمد الخليلي ، ط ٢ ومبشار إليه عند وروده بمشارق السالمي ص ٤٢ . (٢) المصدر السابق ص ١٧٧

(٣) مشارق السالمي ١٧٣ . (٤) مشارق السالمي ص ١٨٠

(٥) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار لعقبن عثمان زرزور ص ١٨٢ .

(٦) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ١٢٤ عني بتصحيحه علموت دهر . ط ٣

عند الإباضية لم يزل مريدا لمعلوماته التي تكون أن تكون ، والتي لا تكون أن لا تكون ، والمعتزلة ينكرون ذلك أما الأشاعرة فذهبوا إلى أن لله - عز وجل - صفات قائمة بذاته زائدة عليه ، فهو - سبحانه - عالم بعلم ، قادر بقدر ، فالعلم صفة ثابتة قديمة ، ولكنها ليست ذاته ولا غيره . (١) أما منهج السلف : فإنهم يشترط ما أثبتته الله لنفسه ، من غير تشبيه ولا تمثيل ، ويرون وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة ، في الأسماء والصفات على ظاهرها ، وحملها على حقيقتها اللائقة بالله - عز وجل - ، ويرون أن الصفات زائدة على الذات . (٢) وفي الحقيقة أن الإباضية ، ومن قال بمثل قولهم في الصفات ، قد تسفروا في التأويل ، وحملوا النصوص ما لم تحتمل ، ونهجوا نهجا عقليا خالفوا فيه المنهج الذي قرروه عند وسيلة معرفة التوحيد ، من تقديم الشرع على العقل . وهذا منحرف خطير ، إذ كيف نجعل لأنفسنا قاعدة نصبة عقلية ثم نتكبد لها ، ونصطنع حججا عقلية ، وأصولا كلامية لم نرد عن الله - عز وجل - ولم تثبت عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

- الإباضية وكلام الله عز وجل :

أدخل المتبع التأويلي على المسلمين أسئلة كثيرة من بينها مسألة كلام الله المنزل هل هو حادث أم قديم ؟ وهل القرآن مخلوق ؟ وكانت هذه المسألة من أهم المسائل التي خاض فيها المتكلمون ، حتى اتخذت مظهرا عنيفا في فترة من فترات التاريخ الإسلامي . (وذلك في زمن المأمون والمعتصم من سنة (٢١٨ هـ = ٢٣٤ هـ) واختلقت الفرق في الإجابة على هذا السؤال ، وغدوا شيعا وأحزابا كل منهم يؤول الأدلة بما يتفق ومذهبه . أما الإباضيون : فجمهورهم يقرر أن القرآن كلام الله ، ووحيه مخلوق له تعالى ، (٣) ويرون أن صفات القرآن دالة على الحدوث ، وكل حادث مخلوق . والله - سبحانه - وحده هو الذي يوصف بالقدم . فلو كان القرآن قديما ، لما كان الله متفردا بالقدم . ويرون أن حروف القرآن هي نفس حروف كلام العرب ، فلو كان القرآن قديما للزم قدم كلام الناس (٤) .

ويجتهدون في الامتناد لال لتأييد ما قرروه بالأدلة العقلية ، والعقلية الجدلية ، ويحاولون

(١) المؤلف في علم الكلام لعبد الله والدين عبد الرحمن الأبيحي من ٢٧٩ .

(٢) شرح المفيدة للطحاوية لابن أبي المبر الحنفى تحقيق جماعة من العلماء ط ١ المكتبة الإسلامية من ١٣٠ وسيتار إليها عند ورودها بالمفيدة للطحاوية .

(٣) الكشف والبيان - القلاني ١ / ٢٩٥

(٤) الحق النسخ - أحمد الخليلي ١٦٣ - ١٦٥ .

الرد على أدلة مخالفيهم، ويرونها متناقضة. والذي يبدو أن الإباضيين أنفسهم ليس لهم منهج واحد، فلم يجمعوا على قول حول هذه المسألة. فإباضية المشرق يرون أن القرآن غير مخلوق (١). وأمر علماء المشرق الإمام بالشد على من قال: إن القرآن مخلوق وقال أحدهم لا تقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق، وتقول: إنه كتاب الله أنزله. (٢) وعقد صاحب (٣) قاموس الشريعة وهو (إباضي) باباً في الرد على من يقول بخلق القرآن، وناقش القائلين بذلك بأدلة عقلية وعقلية، وأثبت أن كلام الله قديم، ثم صرح بأنه لا يلزم الناس معرفة هذه المسألة. وقد أشار السالسي في مشاركته إلى هذا الاختلاف بقوله: (ذهب الأشعرية، وطائفة من المشاركة إلى أنه قديم؛ لأنه صفة ذات، وصفات الذات قديمة) (٤). إلا أن بعض دعاة الإباضية، وعلمائهم يحاولون تعليل موقف المشاركة، وتأويل ما أحجروا به. أما المخاربه فيتعصبون لمذهبيهم ويقولون: (ليس منا من قال: إن القرآن غير مخلوق). وقول إباضية المغرب يوافق قول الخوارج، والشيعة، والمعتزلة. (٥) أما الأشاعرة فيرون أن كلام الله قديم، قدم الذات الإلهية، ملازم له أزلاً وأبداً، فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو: معنى أزلي قائم بالنفس ليس يحرف، ولا صرت (٦)، بينما الحرف والصوت محدث. أما السلف: فيقررون أن القرآن غير مخلوق. منه بدأ واليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة. وبالحكمة فأهل السنة من السلف، والخلف متفقون على أن كلام الله غير مخلوق (٧)

— عقيدتهم في رؤية الله عز وجل :

هذه المسألة هي إحدى قضايا الخلاف بين الفرق الإسلامية، وذهب فيها الطوائف مذاهب متعددة، ووجد كل منهم دليلاً بسهولة من القرآن الكريم. أما الإباضيون: فيجزمون (٨) بنفي الرؤية في الدنيا والآخرة، وينكرونها ويرونها مستحيلة نقلاً وعقلاً، ويجاهدون في دحض أدلة المثبتين لها، ويؤولون النصوص الدالة على إمكانية الرؤية، مثل: قوله تعالى: ﴿وَجِوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾. القيامة الآيات (٢٣، ٢٢) قالوا: أي منتظرة ويورد الربيع بن حبيب عدة أحاديث في مسنده (كلها مرسل) تدل في ظاهرها على نفي الرؤية. (٩) ويتوا رأبهم كذلك على أنه من غير المعقول أن يرى شيء بالعين إلا إذا كان له جهة

(١) منهج الطالبين - الرستائي ١/٢٠٣. (٢) المصدر السابق ١/٢٠٥.

(٣) قاموس الشريعة - السعدي ١٩٨/٣، ٢٠٨. (٤) مشارق السالسي ٢١٥.

(٥) مقالات الإسلاميين - الأشعري ٥٨٢. (٦) المؤلف للأبجي ٢٩١.

(٧) العقيدة الطحاوية ١٨٨.

(٨) المحقق الدامغ - للشيخ أحمد بن محمد الخليلي ٢٧ - ٩٦.

(٩) ٣٦/٢(٩)

كالأجسام ، والله - سبحانه - منزّه عن التحيز ، والتشكّل ، وأنه ليس بجسم ولا بجهة من الجهات ، وغير ذلك من مقتضيات الرؤية التي تصورها يقول الجبطلاني : (والله منزّه عن الرؤية ، والإدراك بالأبصار ، إذ هو تعالى مقدس عن الجهات والأقطار) (١) . ويقول آخر : (فليس لأحد أن ينظر إليه جبهة لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ومن زعم أنه يرى الله فقد زعم أنه محيط بالله ؛ لأنّ الأبصار إذا رأت شيئاً فقد أحاطت به وحصرته ، وجزأته ، والله لا يجوز عليه ذلك) (٢) ومع محاولة إثباتهم بالأدلة السالبة على نفي الرؤية إلا أنهم يرون أن الأصل هو المنع . يقول السالمى : (واعلم أنه لو لم نذكر دليلاً قط على نفي الرؤية واستحالتها لا كفيها بمقام المنع ؛ لأن الأصل عدمها) (٣) . وينفي الرؤية قالت المعتزلة والخوارج والشيعة (٤) ، وإن كان للمعتزلة قول آخر وهو أن الله سبحانه يرى بالقلوب . قال أبو الهذيل : (وأكثر المعتزلة أن الله يرى بقلوبنا أي نعلمه بقلوبنا) (٥)

الأصل الثاني : العدل :

المسلمون جميعاً مجمعون على تنزيه الله - سبحانه - عن الوقوع في الظلم ؛ وإنما الخلاف بين الفرق يتركز حول قضية حرية الإرادة الإنسانية ، والعدل الإلهي . أما الإباضيون : فقد تزهوا الله في هذا الأصل عن الظلم ، واعتبروا العدل من أسس الفضائل ؛ ومن أهم صفات الفعل الإلهي . فجاء تعريف العدل عندهم بأنه : وضع الأشياء في مواضعها ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وتنزيل كل شخص منزله . (٦)

فوعده الله الطائع بالجنة عدل ، وتوعده العاصي بالنار عدل ، والله منفذ حكمه على الطائع ، والعاصي كما وعد . وقول الإباضية في هذا الأصل : يتفق مع قول المعتزلة (٧) منهجاً وسلوكاً . أما أهل السنة فيجمعون على أنه لا يجب على الله شيء ما ؛ لا ثواب المطيع ، ولا عقاب العاصي . وفي هذا يقول الإمام الجويني : (الثواب عند أهل الحق (أهل السنة) ليس بحق محض ، ولا جزاء مجزوم ، وإنما فضل من الله تعالى ، والعقاب لا يجب أيضاً ...) (٨) ويؤمن الإباضيون بالقضاء والقدر فلقد ارتبطت قضية القضاء والقدر بمصير الإنسان وإرادته ،

(١) فاعلم الخيرات - للجبطلاني ٢٢٧/١ (٢) منهج الطالبين - الرستاقى ٤٩/١ .

(٣) مشاوق السالمى ١٩٧ . (٤) فاعلم والنحل - ابن حزم ٢/٢ .

(٥) مقالات الإسلاميين الأشعري ١٥٧ .

(٦) شرح متن الديانات نقلاً عن المفكر السياسي عند الإباضية ص ٥٥ .

(٧) المعنى في التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ٤٩/٦ . يستخدم المعتزلة لفظة خاصة بهم في هذا الأصل

(٨) الإرشاد للجويني ص ٨٤ .

وهي مشكلة فلسفية حارت فيها العقول ، وكثر فيها الأخذ والرد (ولم يزالوا يعد طول جدال وقوفا حيث ابتدأوا) (١) وقد ظهرت إتجاهات متعارضة في هذه المسألة ؛ سببها الأخذ بظواهر النصوص . فظهر الإتجاه القدري ، وتعرضت مدرسة الإعترال ، وينلخص هذا الإتجاه : في أن الإنسان هو الذي يخلق أفعال نفسه ، فهو يحاسب عليها ، وظهر الإتجاه الجبري وينلخص : في أن الله - سبحانه - هو الذي يخلق العبد وأفعاله ؛ ولذلك كان مجبراً ، وليس مخيراً . وقالت الأشعرية بالكسب وهي : أن للإنسان كسب واختيار يحاسب عليه .

وقد اثبتت الإباضية مع الإشاعة في هذه المسألة ، فالقضاء عندهم هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه . أما القدر فهو : علم الله بمقادير الأشياء قبل إيجادها ، فكل حادث صادر عن علمه ، وقدرته ، وإرادته ، (٢) والإيمان بالقضاء والقدر عندهم أن يؤمن العبد أن الله خالق كل شيء من (٣) خير وشر . ومما يتصل بقضية القضاء والقدر مسألة أفعال العباد . يقول السالمى - وهو أفضل من عالج موضوع الكسب عندهم - : (وذهب أهل الاستقامة (الإباضية) ، والأشعرية إلى التوسط بين الحالين ، فقالوا : إن أفعال العباد خلق لله ، وهي لنا إكساب . فنساب ونعقب على إكسابنا ، لا على خلق الله أفعالنا . بدليل قوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ البقرة (٢٨٦) أي أن الأفعال خلق لله ، وكسب للإنسان في نفس الوقت) (٤) فالإباضية يرون أن للعبد حرية وقدره على الاختيار دون أن يتعارض ذلك مع مشيئة الله - عز وجل - . فأفعال الإنسان مشيئة في القرآن على أنها مخلوقة بواسطة الآلة ، ومكتسبة عن طريق الإنسان في آن واحد ، وإن كان قد خلفها الله .

وقول الإباضية في الاستطاعة يقارب قول الأشاعرة . والاستطاعة : هي القدرة . وقيل (٥) هي عرض يخلق الله في الحيوان يفعل به الأفعال الاختيارية ، وهي عندهم مقارنة للفعل . وقيل (٦) هي التخلف . والإباضيون اعتبروا أنفسهم أهل حق ، واستقامة في هذه المسألة ، ونحسبهم كذلك - إن شاء الله - وقال البغدادي : (وجمهور الإباضية على قول أهل السنة في أن الله خالق أعمال العباد ، وفي أن الاستطاعة مع الفعل) (٧) .

(١) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده تعليق الشيخ محمد رشيد رضا ط ١٨ مكتبة القاهرة ص ٦٢ .

(٢) المذهب الفخاض للفشيخ محمد بن آتفش تحقيق تليق المؤلف أبو اسحق ابراهيم آتفش ص ٢٧ .

(٣) منهج الطالبين وبلاغ الراخين تأليف خميس بن سعيد الرستاق ص ٤٢٧ .

(٤) مشارق السالمي ٣١٢ .

(٥) منهج الطالبين الرستاق ص ٤٦٩ .

(٦) مشارق السالمي ٣٢٤ .

(٧) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٥ .

والذي قاله عامة أهل السنة : (أن للعبد قدرة هي مشاط الأمر وانتهي ، وقد تكون قبله ، ولا يجب أن تكون معه ، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل ، فلا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة) (١) .

الأصل الثالث : الوعد والوعيد :-

وهذا الأصل متفرع عن الأصل السابق ، فالمدالة الإلهية تقتضي إثابة الأعيار ، ومعاينة الأثمرار . والإنسان يستحق على طاعته الثواب ، وعلى معصيته العقاب . ووعد الله هو : ما وعد به أهل طاعته من الثواب في الآخرة . والوعيد هو : ما توعد الله به أهل الكيثر والمعاصي من العقاب في الآخرة . والإباضية ترى أن ما أخبر الله به يجب أن يتحقق ليكون صادقاً في خبره ، وقد أخبر بثواب المطيع ، وعقاب المعاصي . يقول الرستاقى : (قال أهل الاستقامة - يعني الإباضية - في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أن الله وعد من عمل بطاعته الجنة ولا تخلف لوعده ، وأرعد من عصاه النار إذا مات غير تائب عن معاصيه ، وأصر عليها ، ولا تخلف لوعيده . ومن زعم أن الله تعالى أوعد قوماً النار ثم لم يدخلهم إياها فقد كذب على الله . والله تعالى يقول : ﴿ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾ . ق (٢٨) . (٢) وقد رتب الإباضيون على الأصليين السابقين نفي الشفاعة من الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأهل الكيثر ، وأثبتوها للمؤمنين . واستدلوا لذلك بظواهر النصوص من الكتاب والسنة ، مثل قوله تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ . خافر (٨) . وبما رواه الربيع (٣) بن حبيب في مسنده من أحاديث في نفي الشفاعة لأهل الكيثر ، ومنها عن جابر بن زيد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (ليست الشفاعة لأهل الكيثر من أمتي ، يحلف جابر على ذلك ، ما لأهل الكيثر من شفاعة ، لأن الله قد أوعد أهل الكيثر النار في كتابه) (٤) ويقولون : لو صحت الشفاعة لأصحاب الكيثر لتقرب إلى الله المتقربون بالكيثر . أما أهل السنة فإن نصوص الوعيد عندهم تبين وتقرر حكم من فعل هذه الذنوب ، وأما تطبيق الوعيد

(١) العقيدة الطحاوية ص ٤٨٨ .

(٢) منهج الطالبين الرستاقى ٤٢٠ / ١ .

(٣) مسألي الحديث عنه فيما بعد في الفصل الثالث .

(٤) مسند الربيع بن حبيب ٢٢ / ٢ الحديث لم أجده في كتب أهل السنة بعد طول بحث وهو مرسل فحابر تنهي كما تقدم ، والحديث يمارض الآثار الصالح لم تنفق على مسحتها ، أو يروى به الكيثر لفتي تخرج من الاسلام .

وتنفيذه فهو متوقف على شروط لابد من تحقيقها ، وموانع لابد من انتفاؤها (١) . ويرون أن الشفاعة جائزة لأهل الكبائر.

يقول الجويني : (ومذهب أهل الحق أن الشفاعة حق ، وثبت جواز الشفاعة عقلاً ، وشهدت له سنن بلغت الاستفاضة) (٢) ، ثم رد على القائلين بالوعد والوعيد بما يكفي وينفي

الأصل الرابع : الولاية والبراءة:

الولاية والبراءة من أهم الأصول التي طرحها الفكر الإباضي ودرسها دراسة مستفيضة ، ووضع لها قواعد وأحكاماً ، وأنظمة خاصة . الولاية تعني عندهم : القرية ، المؤاخاة والتراحم ، والاستغفار للمؤمنين - (٣)

حكمها : الوجوب (٤) لمن اتصف بصفة الإيمان ، ومن أهم أحكامها : ولاية الجملة ، فعلى كل مكلف أن يوالي جميع المسلمين ، ومن لم يوالي جملة المسلمين أشرك (٥) .

ومنها ولاية المعصومين وهم : من وجبت لهم الجنة كالأنبياء ، والملائكة ، والأولياء ، ومنها ولاية أفراد المذهب ، ومنها ولاية الأئمة ، وتسمى ولاية (البيضة) أي جماعة إمام المسلمين ، ومنها ولاية المخالف لمذهبه أي : المسلم الذي كان يبيع مذهباً إسلامياً معيناً ثم تذهب بالإباضية، فإن كان دعا لمذهب الأول فعليه أن يتوب ، ويخبر من دعاهم أنه أخطأ ، ويعمل لمذهبه الجديد.. ومنها كذلك ولاية الأطفال ، والطفل المشرك يتوقف فيه حتى يحلّم (٦) أما البراءة فهي : البغض ، والشتيم للكافر لكفره (٧) . ويبرأون من العاصي ، ويهجرونه ، بحيث يصير كأنه بمنزل عن العالم إلى أن يتوب .

حكم البراءة : الوجوب (٨) كالولاية ؛ ولها أيضاً قواعد وأقسام : منها براءة الجملة ؛ وتعني وجوب البراءة من المشركين بشكل عام ، فعلى كل إباضي أن يتبرأ من أعداء الله ، من الجن ، والإنس ، أحبباء وأموّات . ومنها كذلك : براءة الحقيقة ؛ وهم المنصوص عليهم

(١) عقائد الإيجي ١٧٥.

(٢) الإرشاد للجويني ص ٣٨١ - ٣٩٢.

(٣) الذهب الخالص لمحمد أظفيش ص ٣٢.

(٤) مشارق السامي ٣٣٨.

(٥) الذهب الخالص ٣٢.

(٦) الجامع لابن جعفر أبي جابر محمد بن جعفر الأزكوي تحقيق عبد المنعم عامر ١/١٤٧.

(٧) الذهب الخالص ص ١٥.

(٨) الذهب الخالص - محمد أظفيش ص ٥٢.

بأسمائهم ، جماعات : كقوم نوح ، ولوط ، وأفرادا كفرعون، وأبي لهب. وهناك براءة تسمى براءة الأشخاص ، كالبراءة من السلطان الجائر، ومن أطاعه في جور، وكالبراءة من المرتد عن الإسلام، إلى الشرك ، أو الخارج من المذهب. وعندهم حالة ما بين الولاية والبراءة ، تسمى الوقوف (١) وهي : فيمن لم يعلم عنه موجب الولاية ، ولا موجب البراءة . توقفوا فيه لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ الإسراء آية (٣٦) .

الأصل الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فرق الإسلام كلها تجتمع على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ آل عمران آية (١٠٤) . ولكنهم يجتهدون في التفاصيل ؛ فالبعض يرى أن الوجوب يكفي فيه القلب، واللسان والبعض الآخر يرى أنه لا بد من استخدام القوة، وحمل السلاح ، ويمتاز المخارج بأنهم أكثر الفرق امتشاقا للسيف.

يقول الأستاذ أحمد أمين : (وكان المخارج في هذا الباب - باب استعمال السيف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - أشد، وأقسى ، وأعنف فمتى اعتقدوا الحق في شيء نفذوه بالسيف) (٢).

والاباضيون يهتمون بهذا الأمر ويحملونه أصلا من أصولهم السياسية والاجتماعية ، والاعتلاقية ويرونه واجبا (٣) والكلام في هذا الأصل جرهم إلى إبداء آرائهم في الامامة فالامامة عندهم واجبة ثبتت بالكتاب والسنة يقول الشيخ محمد أطفيش : (ونصب الإمام العدل واجب ، والدليل توقف الواجب عليه من الامر والنهي ، وإقامة الحدود ، والقيام بالعدل ، وردع المخدي) (٤).

والامامة عندهم عامة لجميع من يصلح لها ، ولم يشترطوا القرشية ، والخروج على الإمام الجائر، مستحسن وجائز، وليس بواجب . يقول الشيخ محمد أطفيش : (ونحن لا

(١) مشارق . السالمي ص ٣٤٦.

(٢) منحنى الإسلام تأليف الأستاذ أحمد أمين ط ٧ / ٣ / ٦٧.

(٣) الفكر السياسي عند الإباضية - هادي جيلان ص ٦٠.

(٤) شرح النيل ونقاء العليل للشيخ محمد أطفيش ٢٧١/١٤

نقول بالخروج على سلاطين الجور الموحدين ، ومن نسب إلينا الوجوب ، فقد جهل مذهبا (١) ومعظم الفرق الإسلامية تلتقي مع الإباضية في ضرورة نصب الإمام (٢).

الأصل السادس : لا منزلة بين المنزلتين -

أهم ملايسات هذا الأصل أنه يعالج قضية الكفر والإيمان ، فالمؤمن إن ارتكب كبيرة من الكبائر هل يفقد صفة الإيمان ؟.

لقد تفرقت الإجابة على هذا السؤال من أصحاب الفرق ، : فقالت الخوارج : هو مشرك كافر ، والمعتزلة لا يعتبرونه مسلما ولا كافرا منزلة بين المنزلتين وعند أهل السنة : هو مسلم عاصي ، فلا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب مالم يستحله .

أما الإباضية فلهم رأي خاص يتلخص : في أن الإيمان والكفر ضدان ، كالحياة والموت ، فلا يعقل أن يكون العبد مؤمنا ، وكافرا في آن واحد (٣) ، فهو إما مؤمنا ، وإما كافرا ، لا منزلة بينها ، ودليلهم في ذلك ظواهر النصوص القرآنية . مثل قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ . سورة التباين آية (٢) . فإذا أفر بالتوحيد ، لكنه ضيع ، وفرط وارتكب شيئا من الكبائر ، فهو موحد ، ليس بمؤمن ، وليس بمشرك ، وإنما هو كافر كفر نعمة ، أو نفاق .

وكفر النعمة : اصطلاح إباضي خاص . فهم يفسمون الكفر إلى قسمين : (٤)

الأول : كفر نعمة ؛ وهو ما نشأ عن تأويل خطأ كاستحلال ما حرم الله - سبحانه - بتأويل الخطأ ، أو ما فعل انتهاكا ، كالقتل ، والزنا والسرقه ، وقد يطلق عليه منافق .

الثاني : كفر الجحود ؛ وهو مطلق النفي لوحيدانية الله - عز وجل - وكفر من عبد مع الله غيره ، أو نفى شيئا من صفاته ، وأفعاله الثابتة ، : كإنزال الكتب ، وبعث الرسل . ويسمى الكافر جحودا مشركا ، وهو الذي يخرج الإنسان من الملة (٥) . ومع تقريرهم هذا الأصل إلا أنهم يهودون فيقررون ، أن النفاق منزلة بين الإيمان ، والشرك ، وهذه الثلاث يستحيل

(١) الذهب المخلص ص ٤٦ والنسخ بقوله هذا مرد على أبي الحسن الأشعري الذي يقول : (والإباضية يرون إزالة أئمة الجور بأي شيء قدروا عليه بالسيف وبغيره) مقالات الإسلاميين ١٢٥ .

(٢) انظر : السبل والنحل - لابن سزم ٨٧/٢ ، مؤلف الأبحي ٣٩٥ .

(٣) دراسات إسلامية في أصول الإباضية - بكر بن سعيد الموشيت ص ٩٤ - ٩٥ .

(٤) الذهب المخلص - ص ٥ ، مشارق انساني ص ٤٠٠ .

(٥) مختصر تاريخ الإباضية - للشيخ أبي الربيع سليمان الباروني ص ٧٤ .

الجمع بينها ، فالمتصف بواحدة لا يوصف بالأخرى ، فالمناقق ليس بمشرك ؛ لأنه موحد ، وليس بمؤمن لأنه عاص والنفاق عندهم مترتب على الفعل . يقول علي يحيى معمر : (لقد استعمل الإباضية كلمة النفاق للدلالة على المعاصي العملية ، وأطلقوها على من ارتكبها في أي زمن) (١) . أما فضية الكبائر وحكم مرتكبها فملخص قول الإباضية في هذه المسألة ، إن أصحاب الكبائر من المسلمين مخلدون في النار ، وكذا غيرهم من الكفار . ويريدون مذهبهم بظواهر نصوص الكتاب ، والسنة ، وعمدتهم في ذلك ما رواه الربيع بن حبيب في مسنده (٢) ، فبعد أن يسوق مجموعة أحاديث وردت فيها الفاظ في ظاهرها تفيد كفر من عمل عملاً محظوراً ، أو ترك واجباً . ثم يقول : وهذه كلها تثبت الكفر لأهل القبلة .

فمصير العبد الذي مات على الكفر ، أو على كبيرة ولم ينب منها عصباناً . جهنم خالداً فيها أبداً ، والأبدية عندهم تعني : اللانهاية . جاء في منهاج الطالبين : (قال أصحابنا : إن كل من عصى الله بصغير من الذنوب ، أو كبير وهو عالم به ، وأصر عليه ، فقد وجبت له نار جهنم خالداً فيها) (٣) ويقول الشيخ أحمد الخليلي : (وعقيدتنا معشر الإباضية أن كل من دخل النار من عصاة الموحدين ، المشركين مخلدون فيها إلى غير أمد .) (٤) أما الصغائر عندهم فهي ما دون الكبائر ، وهي مفقورة بشرط اجتناب الكبائر ، وإذا أصر عليها فهي كبيرة ، وإن لم يتجنب الكبائر أئذنه الله بالكبائر ، والصغائر . وحكمه في الدنيا أنه موحد . ونفى بعضهم أن تكون الصغائر معلومة ، أما الشيخ محمد أطفيش فيرى أنها موجودة معلومة ، ومثل لها باللمب غير المباح ، ودخول البيت بغير إذن . ووافقت الإباضية الخوارج ، والمعتزلة في هذه القضية . أما أهل السنة فهم يرون أن الخلود الأبدي في النار هو للكفار ، وأما أصحاب الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يخلدون فيها والعدل الإلهي يقتضي التمييز بين الموحّد المعاصي ، والمشرك الكافر .

(١) الإباضية بين فرق الإسلام ٣٦٥ - ٣٦٨ ، الإباضية في مركب التاريخ علي يحيى معمر ٨٩/١

(٢) قال الربيع بن حبيب قال حابر بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [الجنة حرام على من كل ذمياً أو ظلمه أو حمله ما لا يطيق وأنا حجاج الذمي تكفب المؤمن] الحديث لم أجده إلا من طريق الربيع بن حبيب وهو مرسل .

(٣) منهاج الطالبين - الرستاق ٢١٠/١ .

(٤) الحق الدامغ ص ٩١ .

المبحث الرابع : بعض المسائل الخلافية :

أ - مفهوم الإيمان والإسلام عند الإباضية .

يقرر الإباضيون أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، وأنهما مترادفان (١)، وأن العلاقة بينهما شرعية لا لغوية، ثم توسعوا في المعنى الشرعي ليشمل الدين كله، فالإسلام اسم لجميع ما تعبد الله عباده بما أمرهم به . ويرون أن جميع ما افترض الله - سبحانه - على خلقه إيمان، وكل طاعة (٢) إيمان فمن أدى جميع ما وجب عليه كان مؤمناً مسلماً . يقول السالمي وهو من حذاق المذهب : إن المعتزلة وافقونا على ترادف الإيمان والإسلام الشرعيين، وإن الشرع نقلهما إلى الإتيان بالواجبات. (٣)

ولنا على صحة قوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ سورة البينة آية (٥) . فسمي إتيان الأمور به ديناً، والدين هو الإسلام، لقوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ . آل عمران آية (١٩) . وما ليس بإسلام فليس بدين . يقول تعالى : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غيريت من المسلمين ﴾ . سورة الذاريات الآيتان (٣٥ / ٣٦) .

ويحاول الجبطلاني (٤) توجيه هذا الدليل حيث يقول : إنه لم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد، فالذي وجد هو الذي أخرج، وهو بيت لوط عليه السلام . ويعتمدون كذلك للتدليل على ما ذهبوا إليه على مجموعة أحاديث ساقها الربيع بن حبيب (٥) في مسنده تدل على أن الإيمان قول وعمل، ومن قال غير ذلك فقد كفر بمقولته . والجبطلاني مع أنه يرى أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، لكنه يعود فيحترف أنهما وردا في الشرع على سبيل الاختلاف والتداخل . قال تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا ... ﴾ سورة الحجرات آية (١٤) ومعناه عندهم

(١) الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية - لابن سلام الإباضي - تحقيق راق شقار تزوسالم بمغرب ص ٩٨ .

(٢) مقالات الإسلاميين ١١٠ .

(٣) مشارق السالمي / ٣٣٠ .

(٤) فناطر الخيرات - الجبطلاني ٢٨٣/١ .

(٥) منها ما قاله بلغني عن رسول الله أنه قال : [ليس الله المرجع على لسان سجين نيا قبلي قيل : وما المرجعة يا رسول الله قال : الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل] هكذا جاء نص الحديث ٢٥/٣ ولحديث رواه ابن عدي في الضعفاء وقال هو باطل ٢٩٥/٦ ، وذكر الشرنبلالي في النوائد المجموعة وقال في استاده وضاع ، وقال في السيزان : إنه موضوع يهين ٥٠٩ .

أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ، والإسلام هو الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح (١) والإيمان عندهم يشمل على مقامات (٢) وهي : الاعتقاد بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح. ولا يكتمل الإيمان إلا بهذه الثلاث ، فلا يعد مؤمناً من لم يكن عاملاً ، لأن العمل شرط لصحة الإيمان . يقول السالمى وهو يقرر هذا المعنى : (ومن ضيع واحداً بعد لزومه عليه فهو هالك) (٣) .

ب - الصحابة :

نظر الإباضيون إلى الصحابة على أنهم عدول ثقات إلا من ظهر فسقه قبل الفتن ، أما بعد الفتن فمن علم منه البقاء على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو عدل مطلقاً ومن لم يعلم منه ذلك فلا يعدل حتى يمتحن . (٤) ويبدو أن الإباضية ليس لهم منهج واحد في هذه القضية ، وأنها ليست محل اتفاق بينهم . فالموقف متفاوت بين المتقدمين والمتأخرين . فلما كان التصيب قائماً ، والرؤى قاصرة ، تخوض بعضهم في عرض الصحابة ، وسلقوهم بألسنة حديد حديد . ونستمع إلى ما يقوله الدكتور عوض خليفات الذي سنحت له الفرصة للاطلاع على كثير من المصادر والمراجع اللازمة لهذا البحث ولم تتوفر لدينا ، يقول ما ملخصه : ترى الإباضية أن كلا من أبي بكر وعمر قد سارا في سياسة طبقاً لكتاب الله الكريم ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ويعتبرون أن فترة حكمها كانت أفضل العهود التي عاشتها الأمة الإسلامية . أما عثمان فيرونه دون الشيخين في مكانته وسياسته ، وبقي المسلمون له مطيعين ومؤازرين حتى أحدث بدعاً أنكرها المسلمون عليه . وتشير المصادر الإباضية بإسهاب إلى ما يعتبرونه مأخذ على عثمان رضي الله عنه وسياسته .

ويرون أن اثورة على عثمان مشروعة وأن قتله كان واجباً ، ويعتبرون أن الذين ثاروا على عثمان من رواد حركتهم ، وأن علياً كان على رأس المعارضين . وأما رأيهم في علي - رضي الله عنه - فيرون أنه أخطأ فيما عمل وحكم في أمر من أمور الله - سبحانه وتعالى - وخلع نفسه من منصبه الشرعي . لذا وجبت محاربهه وخاصة بعد رفضه إعلان

(١) قاطر الخيرات - الجبالي ٢٤٣/١ وما بعدها .

(٢) منهج الطالبين ١/٢٦٠ .

(٣) مشارف - السالمى ٣٣٣ .

(٤) شرح طلعة الشمس على فنية بهجة الأنوار شرح أنوار العقول ، في التوحيد للشيخ عبدالله بن حميد السالمى ١٢/٢ .

الثوبة (١) . أما ما جاء في كتب أهل السنة عن رأي الإباضية في الصحابة . فلنستمع إلى ما ذكره صاحب (٢) مقالات الإسلاميين وهو جد خبير بهذا يقول : (واحتلف الناس في الحكمين ، فقالت الخوارج : الحكمان كافران . وكفر علي حين حكم ، واعتلوا بقول الله عزوجل : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ . المائدة (٧) . وقال الملقط : يقولون بإمامة علي قبل التحكيم ، وينكرونها بعد ذلك ... وقالوا بولاية الشيخين وعدولة الخنتين . (٣)

أما المتأخرون من الإباضية فتراهم يستلزمون على من سبقهم، ويحاولون القيام بعملية تصحيح لهذا الأمر ، وأبدوا رغبة في تغيير الصورة المعروفة عنهم، أملاً في التقارب وبهذا الخلافات ، فيقررون أن البحث في أحداث من سبقنا من الصحابة ليس من ورائه فائدة ، ولا أثر محمود يرفع الأمة . (وعليه فالخير كل الخير للمسلم أن يستبرئ لدينه وعرضه ، ولا يفني عمره في التفتيش عن مبات أشخاص أصبحوا في ذمة التاريخ) (٤) وأما الشيخ محمد بن أطفيش فيقول عن الصحابة : (ونعتقد أن الكل عدول يهتدى بهديهم ونمسك عما شجر بينهم ، وقد وردت آيات وأحاديث في مدحهم خصوصاً وعموماً ... فالله ربنا ، ومحمد نبينا ، والقرآن إمامنا ، والصحابة قدوتنا) (٥).

وفي لقاء مع الشيخ أحمد الخليلي أجراه معه صاحب كتاب دراسة في الفكر الإباضي (٦) ينكر الشيخ ما نسب إليهم من سب الصحابة ، ونكفير علي ، ويرى أنه قول لا يمت إلى الحقيقة بصفة . وقبل أن أغادر البحث في هذه القضية يحسن بي أن أقف عند مسألة اتهم علي في دم عثمان والتحقيق في هذه القضية بإيجاز :-

من المعروف أن كبار الصحابة واجلاءهم ، كانوا متوافرين حين مقتل عثمان وبعده ، ولم ينهم بعضهم بعضاً في هذه القضية ، وإنما كانت هذه التهم فيما بعد ، وجاءت ممن زاغت قلوبهم وعميت عليهم الأنباء ، يقول القاضي أبي بكر بن العربي : (ولئن اتهم علي بقتل عثمان

(١) نشأة الحركة الإباضية د. عرض خليفات ٥٧ - ٦٢ .

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأنسري ٤٥٢ وما بعدها .

(٣) التنبية والرد على أهل الأمراء واليدع للإمام أبي الحسن محمد الملقط تطبيق محمد زاهد الكوثري ص ٥٠ والمقصود بالخنتين : عثمان وعلي لواجهما من أيتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) هامش قواعد الإسلام للمصطفي ٨٤/١ .

(٥) الذهب الخالص ٤٢ .

(٦) دراسة في الفكر الإباضي عمر بالحاج صالح ص ١٠٠ .

تلمس في المدينة أحد من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو متهم به ، أو فل معلوم قطعاً أنه قتله ، لأن ألف رجل جاءوا لقتل عثمان لا يرغبون أربعين ألفاً) وعلق محقق الكتاب محب الدين الخطيب قائلاً : (ليس في أهل السنة رجل واحد يتهم علياً بقتل عثمان لا في زماننا ، ولا في زمانه ..) (١) . ويقول الحاكم النيسابوري في مستدركه بعد أن أورد عدداً من الآثار في مقتل عثمان : (فأما الذي إدعته المبتدعة في معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على قتله ، فإنه كذب وزور ، وقد تواترت الأخبار بخلافه (٢) . وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب : (والله ما قتله ولا أمرت ، ولكن غلبت يقول ذلك ثلاث مرات (٣) . وهو المصدق فكيف وقد أقسم - رضي الله عنه - كما تذكر الروايات أنه عندما حوضر عثمان في داره بعث إليه عليٌ بولديه الحسن والحسين للدفاع عنه (٤) .

(١) المواسم من القوامص في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تأليف القاضي أبي بكر بن العربي تحقيق محب الدين الخطيب ص ١٦٥ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین - للحاکم النیسابوری کتاب معرفة الصحابة، باب مقتل عثمان ١٠٣/٣ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة رقم الحديث (١٩٥١٨) ٢٠٨/١٥ .

(٤) البداية والنهاية ١٨٤/٧ ، المواسم في القوامص ١٣٤ .

الفصل الثاني

حياة الشيخ الإمام محمد أطفيتش

وفيه المباحث التالية :

البحث الأول :

نشأته ، وصفاته

البحث الثاني :

نبوغ الشيخ وفكره ونشاطه

البحث الثالث :

آثاره ، ومؤلفاته ، ووفاته

أولاً : نشأته

أ - اسمه ونسبه :

هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن اسماعيل أطفيش. (١) ، أما ألقابه فهي كثيرة (٢) منها : (الميزابي ، المصعبي ، اليسجني) .

وهذه نسبة إلى بلده ومنها ما هو نسبة إلى أصله ونسبه وهي : (الحفصي ، العدوي) ، الحفصي نسبة إلى أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، والعدوي نسبة إلى عدي بن كعب القرشي جد أمير المؤمنين عمر . وقيل (٣) في نسبة إلى عمر بن حفص الهناتي جد العائلة الحفصية المالكة في تونس (٤) ، ومنها ما هو نسبة إلى مذهبه ، وهي : (الإباضي ، الرهبي (٥)) ومن ألقابه العلمية : الإمام ، والقطب ، والعلامة ، وعلماء المشرق يسمونه قطب المغرب .

ب - مولده ونشأته :

ولد محمد أطفيش سنة (ست وثلاثين ومئتين وألف للهجرة - ألف وثمانمائة وعشرين للميلاد) (١٢٣٦ هـ الموافق لسنة ١٨٢٠ م) ، وأجمعت المصادر التي ترجمت له أن ولادته كانت في وطنه الجزائر في بلدة (يسجن) ، إحدى قرى وادي ميزاب (٦) ، ثم انتقل به والده مع أمه إلى (غرداية) ، وهي عاصمة الوادي فعُضِي فيها مدة طفولته الأولى ، توفي والده الذي

(١) أطفيش لفظ بربري مركب من ثلاث كلمات (أطف) بمعنى إمسك ، و(أيا) بمعنى لقبل ، و(أش) بمعنى كُتِل . يقال : أن أحد أسلافه لقب به لسناده صديقاً له يدعوهُ إلى الطعام ، انظر : الاعلام لخبر الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ - ١٥٦/٨ .

(٢) الاعلام - الزركلي ١٥٦/٨ .

(٣) معجم اعلام الجزائر في صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، عادل توبهضر ، ط ١ ، ص ١٩٠ .

(٤) ودولة بني حفص ترجمت علي دست السيادة بتونس من سنة (١٢٢٨ م) الي سنة (١٥٧٣ م) تناول عرشها ٢٥ ملكاً - مشاهير التونسيين محمد بوزينة ٨ .

(٥) تختلف المصادر حول هذه التسمية ، فالمصادر السنية تذكر أن الإباضية في شمال أفريقيا سموها بهذا نسبة إلى الإمام (عبد الوهاب بن رستم) ثاني الأئمة الرستميين (١٧١ - ٢٠٨ هـ) ، وذلك بعد انقسام الإباضية ، فالذين قالوا بإمامته سمووا بالروحية نسبة إليه ، وقيل سمووا بالروحية نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي أول إمام للمعركة ، ويعلق د. خليفات قائلا : وأياً كان فالثابت أن هذا الاسم اطلق ولا يزال يطلق على اتباع المذهب الإباضي في شمال أفريقيا الذين بقوا محافظين على مبادئ ومعتقدات الإباضية ، نشأة الحركة الإباضية. ص ١١٨ وما يحذر التنبه إليه أنه ليس هناك صلة بين الروحية الإباضية، واتوهابية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لفلسفة .

(٦) يقع جنوب الجزائر العاصمة على بعد ٦٠٠ كم تقريبا ويضم عدة قرى انظر : مقدمة جامع الفصل تحقيق عبد الرحمن صير ص ١٢ ، معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة ١٢/١٢٣٣ .

كان محبا للعلم ، ومن أعيان الإصلاح في وادي ميزاب، فلاق الابن طعم اليتيم منذ السنة الرابعة من عمره ، (ولكن أمد بالغت في المحنو عليه، وعوضته برعايتها وحسن تربيتها ما فقدته من أبيه) (١). والمصادر التي بين أيدينا والتي ترجمت للشيخ ، لم تفصح لنا عن نشأته، وتعلمه في المرحلة الأولى من حياته، فهذه المرحلة تحاط بالغموض. ولا يذكر لنا منها إلا أنه دخل الكتاب وهو في الخامسة من عمره، وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين (٢).

جـ - تعلمه وشيوخه :

لا شك أن الشيخ قد نهل من مناهل العلم في عصره، وتعلم على شوامخ أعلام الأمة في بيئته ممن لقي عندهم يفته ، وأخذ عنهم الفقه، واللغة والأدب وغيرها منهم (٣) : الشيخ عمر بن سليمان والشيخ الحاج بن سليمان بن يحيى ، وأما شيوخه الحقيقي ، واساتذته الذي لازمهم ، وتجرد للأخذ منه وخصه ذلك الشيخ بمكان ما عنده، وأعطاه خلاصة تجربته فهو أئمه الحاج الشيخ إبراهيم شقيقه الأكبر، وكان قد رحل إلى الشرق طالبا للعلم فدرس في عمان ، ثم رحل إلى مصر وأقام فيها أربع سنين، نهل خلالها من معين الأزهر ثم عاد إلى وطنه الجزائر، وانتصب للعلم والتدريس ، فانقطع إليه الشيخ محمد وأخذ عنه مفاتيح العلوم الشرعية ، والعربية ، وعلم الكلام ، والمنطق ، والفلك ، والتاريخ. وإلى جوار شيوخه الأول كان الشيخ ضياء الدين ، وهو نجل الشيخ عبد العزيز الشيني (٤) باحث النهضة العلمية، وحركة التأليف عند الإباضية ، فالشيخ ضياء يعتبر من أساتذة الشيخ محمد أظفيش، وقد دعاه الشيخ ضياء إلى بيته، وقدم له مكنية والله قاتلا له : (هذه كتب والدي ، ومؤلفاته تحت تصرفك ، فخذ منها ما شئت ، وفي أي وقت شئت) (٥) . وكان من عادة الشيخ أنه لا يسمع بخزانة حافلة إلا ويتخذ كل الوسائل للاطلاع عليها والسعي إليها .

وهكذا تعلم الشيخ على كثير من أمهات الكتب ، ولعل توفر هذا الكم الكبير من المراجع والمصادر في بيئة الشيخ محمد أظفيش ، هو الذي جعله يكتفي بها، فلم يخرج مهاجرا في طلب العلم ، ولا يذكر عنه أنه شرقي أو غربي أو تنقل بين معاهد العلم خارج

(١) نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة لمحمد علي دبور ٢٩٠/١ ، نقلا عن الفكر السياسي عند الإباضية عروق جهلان ص ١٠٣ .
(٢) مقدمة جامع النسل . ص ١٣ .

(٣) مجلة جبرين يصدرها طلبة سلطنة عمان في الأردن العدد (١٠) ١٩٩٢ ص : ٢٦ .

(٤) عبد العزيز الشيني ، فقيه إباضي ولد في وادي ميزاب سنة (١١٣٠ هـ - ١٧١٨م) وانتخب شيخا عاما لميزاب له مشاركة في علوم المنطق والحديث والأخلاق والفقه وله كتاب النبل وهو عمدة المفهوب الإباضي في المبادئ . توفي سنة (١٢٢٢ هـ = ١٨٠٨م) انظر : معجم أعلام الجزائر ، نوبهض ص ٩٤ ، تاريخ الجزائر العام . الجليلي ٥٨١/٣ .

(٥) نهضة الجزائر الحديثة نقلا عن الفكر السياسي ٢٨٥/١ .

موطنه. واستطاع الفتى الشيخ في بداية شبابه أن يأتي من البراعة ، والمهارة ما جعل العقول تقف مبهورة معجبة بفعله (١).

واهتمام محمد بن أظفيس بالعلم لم يقتصر على طلبه وتحصيله فحسب ، بل عمل على نشره ، وإشاعته بين الناس. (فلما تجاوز السادسة عشر من عمره جلس للتدريس مع أخيه وشيخه في المدرسة ، وما إن جاوز العشرين حتى أضحى أكبر عالم في وادي ميزاب) (٢).

٢- صفاته وشخصيته :

لقد وهب الله - سبحانه - الشيخ بسطة في العلم والجسم ، فكان يتمتع بصحة حسنة ، وبصر حاد حافظ عليه إلى أواخر أيامه، كان ذكيا مفرطا سريع الاستيعاب، عصاميا يعتمد على نفسه ، حريصا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان - رحمه الله - شديد الوضأة على مرتكبي الكبائر، وصاحب عواطف جميلة نحو الفقير، كثير الفزع إلى الله عند الملحات ، والتبذل وسهر الليل لتفريح العلوم. ومن صفاته سماحة النفس ، والكرم والعفة (٣) .

كان شديد الاعتزاز بنفسه، ونسبه ، وعائلته المشهورة بالعلم والصلاح . يقول في ذلك : (٤)

وناظمُ الآياتِ من بني عدي يتصل اتصالُ يومِ بقدرِ
محمد بن يوسف بن عيسى نجل كرام سادة وكيسِ.

المبحث الثاني

أ - نبوغ الشيخ وفكره ونشاطه :

لقد تحدث العديد من الكتاب الذين ترجموا للشيخ عن شخصيته التي كانت متعددة المواهب مختلفة الأبعاد ، واسعة الجنبات . فقد أوتي من المواهب والمزايا التي قل أن تجتمع لأحد، حتى أصبح إمام عصره، وقطب زمانه، خاصة في مذهبه، ورامت شهرته حتى شملت العالم الإسلامي ، (وذاع صيته حتى صار مرجع المسلمين في جميع الأقطار في مشكلاتهم ، وأفاض الله عليه من مواهبه اللدنية، وأشرقت في قلبه الأنوار العرفانية ، وانكشف له الحقائق العلمية الخفية، وتجلت في سماء فكره الحكمة الربانية ، فكان قدوة للسالكين) . (٥)

(١) مقدمة جامع للشمس بقلم عبد القادر عطا ١٧/١.

(٢) المصدر السابق .

(٣) المذهب الخالص المستو : بالعالم القاطن من مقدمة أبي إسحاق إبراهيم الحنظلي ص : ٥٠.

(٤) المرجع السابق ص : ب .

(٥) المصدر السابق ص : ج .

لقد كان الشيخ علما بمختلف العلوم ، ومعظم من يترجمون له يصفونه بأنه : مفسر ، وأديب ، وشاعر ، ومفكر ، وسياسي ، (١) وكانت حياته زاخرة بأنواع عديدة من الأنشطة ؛ حيث لا يمكن الفصل بين وجوه النشاط الروحي ، والأخلاقي ، والسياسي ، والعلمي ، والاقتصادي. (٢).

والشيخ محمد ملتزم بمذهبه الإباضي معتز به ، (يرى خدمة الإسلام عموماً ، والمذهب خصوصاً من أكبر الواجبات التي تحملها) (٣) . ولقد خلف الشيخ لمذهبه ثروة ضخمة من التراث العلمي ، وكانت آراؤه الكلامية لاتخرج عن الحالات التالية :

١- إما أن تكون تلخيصاً لآراء المذهب.

٢- وإما أن تكون تحليلاً وتفصيلاً لها.

٣- وإما أن تكون رداً على أهل الخلاف ، ودفاعاً عن مقالات المذهب. (٤) وقد عكف الشيخ على التدريس ، والتصنيف ، وخدمة الدين ، وكان لا يعرف النوم إلا قليلاً ، وكان يقرأ ويكتب وهو على دابة مسافراً إلى البادية ، (وكان يؤلف وهو في السفينة) . (٥)

وأضاف الشيخ إلى ثقافته العربية ثقافة أخرى ؛ وهي معرفة اللغة البربرية (٦) ، ولعل هذه اللغة هي اللغة الرئيسة في بيئة الشيخ ، وكثيراً ما يقول وفي لغتنا البربرية ، وإن عرف الشيخ هذه اللغة وعاش في بيئتها ، فإنه بقي عربياً في فكره ، وقلمه ، وكتابات ، وأسهم في إغناء الدراسات العربية ، وكانت جهوده لخدمتها في عصره تفوق جهود أبناء العروبة أنفسهم ؛ ولقد كان تفكير الشيخ أطفش شاملاً ، وواسعاً ، وعميقاً ، وملمأً بمختلف العلوم والفنون.

(١) تاريخ الجزائر العلم - عبد الرحمن الجيلالي ٤/٤٥٤ ، معجم أعلام الجزائر ، عادل نويهيض ص : ١٩١ .

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية معرون جهلان ص ٢٣٥ .

(٣) مقدمة المذهب الخالص ص : ٥ .

(٤) الفكر السياسي عند الإباضية - ص ١١٨ .

(٥) معجم أعلام الجزائر - الجيلالي ١٩٠ .

(٦) من الجدير بالذكر أنه عند مراجعتي لدائرة المعارف الإسلامية للتعرف على البربر وجدتُها مليئة بالمصطلحات ، فمن ذلك أنها ذكرت أن البربر ارتدوا عن الإسلام اثنتي عشرة مرة ، وحولت النقل في ذلك إلى ابن خلدون في مقدمته ، وبعد المراجعة لنص ابن خلدون ، فإننا به يمدحهم وبين حرصهم وتمسكهم بدينهم ، ودائرة المعارف - يقصد لو غير قصد - نقلت نص ابن خلدون وقصته - ولم تكمله - فهو يقول : فرتلوا بغيرها اثنتي عشرة مرة ، ولم يثبت إسلامهم إلا في أيام موسى بن نصير وقيل بعدها . أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ٣/٥١٤ ، مقدمة ابن خلدون ٦/٢٠٥ .

الشيخ ودعوته الإصلاحية :-

لقد كان الشيخ من دعاة الإصلاح في بيئته ، وكان له دور فعال في إصلاح مجتمعه ، ودعوته إلى التخلي عن القديم ، والابتعاد عن البدع التي لا دليل عليها ، (وكان يرفض التحجر الفكري ، والتعصب المذهبي داعياً إلى العلم والعمل الصالح ، والقيم الأخلاقية ، والسلوك العملي المشر) (١)

وقام الشيخ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعمل على تأليف القلوب ، ودعا إلى التقارب ، وكم كان يشير إلى ما يتناوب الأمة المحمدية من النكبات والإرهاق ، وما أصاب سنة المختار - صلى الله عليه وسلم - من الاندثار ، والإعراض عن العمل بها ، وتعلق النفوس بالبدع ، واشتداد الكفر عليها من الذين لم يأثروا جهداً في قتل الروح الإسلامية في تلك الأقطار ومقاومتها في نفوس الأمة . (٢)

قوة الشيخ وثباته :-

لقد كانت الدعوة والإصلاح من أهم ما اضطلع به الشيخ - كما أسلفت آنفاً - ، فكان الشيخ أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم ، (لا يهاب جباراً ولا يعظم لديه خطر ، وكم اتقاه من نواب الدهر ، ومكائد الأعداء أنفسهم ، ولم تضعف نفسه أمامهم) (٣)

ومن نواذره الدالة على ثقته بالله وقوة إيمانه ما ذكره ابن أخيه الشيخ إبراهيم أطفش أنه : لما توجه إلى الحج لأداء الفريضة عن طريق تونس إلى طرابلس في سفينة شراعية ، وبينما هي في عرض البحر إذ هبت عاصفة شديدة جداً أتلقت قلعة السفينة ، وذهبت بها عن طريق الجادة ، واستسلم كل من فيها للقضاء ، وأيقنوا بالهلاك ، فجاوه رفقة وهم في حال الإياس فوجدوه مطمئناً كأن لم يحدث شيء ، وبشرهم بالسلامة والوصول ، (٤) فكان الأمر على ما قال . والشيخ كان معتزاً بدينه يرى أن من الواجب أن يكون الإسلام في عز ، وأهله في منعة .

يروي أنه زاره بعض القسس وكبار الولاة من الأجانب فوقفوا معه على مستوى واحد من الأرض فارتفع إلى درجة تالية : فقال أحدهم : هلا وقعت معنا في هذا المكان فقال : (الإسلام يعلم ولا يعلم عليه) .

(١) مجلة جبرين ، تبعا عن حياة الشيخ ص ٢٧ .

(٢) مقدمة الذهب الخالص ص : هـ .

(٣) المصدر السابق ص : ح .

(٤) المصدر السابق .

موقفه من الاستعمار :

تجرعت الجزائر مرارة الاستعمار الفرنسي ، وعرفت وسائله الخبيثة ، وبقدر ما كانت الإدارة الاستعمارية مصممة على تطبيق السياسة الفرنسية ، ومحاربة الإسلام وأهله ، بقلر ما كان الشعب الجزائري المسلم يقاوم هذا الاستعمار ، وانبرى العلماء منهم خاصة يدافعون عن حياض الإسلام بالسيف والقلم واللسان ، وينفون عن العقيدة ما علق بها من شوائب ، واخذوا على عاتقهم تعليم المغلوبين المستضعفين حتى النصر المبين .

ومن أبرز هؤلاء العلماء صاحبنا الشيخ محمد أطفيش ، وقد لاحظت أن كل من تكلم عن الشيخ أو ترجم له يذكر أنه سياسي ، أو أن له أثراً بارزاً في قضية بلاده السياسية .

لقد كره الشيخ الاستعمار بأشكاله وكان (يعز عليه أن يهضم شعب إسلامي ويسلب حريته أو يناله ضيم ، كثير الدعاء بالنصر للأمة الإسلامية على من يناوئها . يرى من الواجب أن يكون الإسلام في عزه ، وأهله في منعة . ويرى أن كل ما يلم بشعب إسلامي كاتماً من كان من الإرهاق ، فهو نكبة أصابت الأمة لما في ذلك الشعب من التوحيد والالتساب إلى الدين - الجامعة العامة) (١)

والمنطقة التي عاش فيها الشيخ ، حافظت على عزلتها ، وبعد الاحتلال الفرنسي عندما وصل الفرنسيون إلى البادية الشمالية لوادي ميزاب بعث أبناء ميزاب وفداً ، وعقد الوفد اتفاقية سنة (١٨٨٢ م) وضع بمقتضاها الوادي تحت الاحتلال مع الاحتفاظ بنوع خاص من الحكم الذاتي ، وأن لا تتدخل فرنسا في جميع شؤونهم ، وأن يستثنى أبناء الوادي من الخدمة في جيش الفرنسيين مقابل مبلغ من المال .

فكان للميزابيين وضع خاص في القانون الفرنسي . (٢) إلا أن فرنسا أرادت نقض معاهدة (١٨٨٢) وأصدرت والي عموم الجزائر أمراً باحتلال الوادي . فقام الشيخ محمد وأنصاره يعارضون الاحتلال ، واحتج لدى قائد الحملة بكل جراءة ، وأنكر عليه نقض المعاهدة ، وأفهمه أن ميزاب في غنى عنه وعن خدمات دولته ، وأنهم لا يرضون بالاحتلال ، وأسمعه كلاماً قاسياً ؛ فخاف القائد أن يثير عليه ميزاب والصحرَاء ، فاعتقله ، حتى أحل غرداية (عاصمة الوادي) ، وشحنها بالجند ، وأمن على نفسه من الثورة ، فأطلق سراحه . (٣)

(١) مقدمة الذهب للعالمين ص: ج.

(٢) مجلة العربي عدد ٢٨٦ سنة ١٩٨٢ م تقرير مصور عن منطقة ميزاب.

(٣) نهضة الجزائر نقلا عن الفكر السياسي عند الإمامية ص ١١٠.

ومع ذلك فالشيخ لم يستسلم ، بل راح يستهضئ الهمم ، ويعيب الشعب ، ويفرس في قلوب تلاميذه بغض الفرنسيين واحتقار المستعمرين . فكان تلامذة الشيخ يهجون الثورة بأقلامهم ، ويهاجمون الاستعمار بأرائهم ، ويشكلون ركنا أساسيا في مقاومة الاستعمار . وكان على رأسهم ابن أخيه الشيخ إبراهيم أطفيش حتى أصدرت السلطات الاستعمارية قرارا بإبعاده (١) . وقد بعث الشيخ برسائل احتجاجية إلى الحكومة الفرنسية يشكو فيها ظلم الولاية ، ومنعهم الناس من الحج ، والسفر إلى الخارج ، وبعث برسالة إلى (يوان كاري) بمناسبة اغتيال أحد الوزراء الفرنسيين . جاء فيها : لقد تصادى يكلم ظلم المسلمين ، فكان الله يراقبكم حتى أصبح وزراءكم يقتلون في الطرقات كالكلاب ، واشتد حنق فرنسا على ابن أطفيش ، وفرروا إسكانه (فحاولوا أن يستقدموه إلى فرنسا لمحاكمته ، لكنهم عدلوا عن ذلك حين قال أحدهم : من العار على فرنسا أن تستدعي رجلا ، أما أن يحتاجها فتكون أضحوكة بين الدول ، وإما أن تحتاجه وهو أعزل ليس له إلا علمه . فخير لكم أن تتركوا الرجل فتناسوه . ومن طريف ما يروى أنه كان يلصق الطوابع البريدية التي تحمل صورة المستعمرين مقلوبة . (٢)

رحلات الشيخ ومراسلاته:

ألمحنا إلى أن الشيخ لم يخرج من بلده مهاجرا في طلب العلم ، ولم يعرف عن الشيخ خروجه من بلده إلا حاجا أو معتمرا ، فقد تحركت في الشيخ داعية نريضة الحج . واشتاقت نفسه إلى زيارة الحرمين الشريفين ، فلبى داعي الله وزار المدينة المنورة ، واجتمع بعلمائها ، (وكانت مؤلفاته قد ذاعت وانتشرت ، واطلع عليها علماء الحجاز ، ومنهم الشيخ زيني دحلان فقيه مكة وصاحب الفتوى والتدريس في الحرم ، فلما سمع الشيخ زيني دحلان (٣) بوصول الشيخ محمد أطفيش استضافه ودعاه إلى لقاء الدروس في حلقة وأجلسه بجانبه ، فالتقى الشيخ محمد أطفيش دروسا عديدة في الحرم حضرها الشيخ زيني وكثير من علماء الحجاز) (٤) . أما مراسلات الشيخ ، فقد تنوعت فمنها رسائل في الاعتلاء ، ومنها في الرد على الطاعنين في الدين ، ومنها في الدفاع عن الإياضية ، ومنها مراسلاته السياسية.

(١) النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين الجابري ٢٧٢.

(٢) مقدمة النخب الخالص : ص ٥ .

(٣) الشيخ أحمد بن زيني دحلان فقيه مكّي ولد بمكة وتولى فيها القضاء والتدريس من تصانيفه : (الفتوحات الإسلامية) (خلاصة الكلام في أمراء البلد المحرم توفي سنة ١٣٠٤ هـ = ١٨٨٦ م) الأعلام ١/١٢٩ .

(٤) مقدمة شرح التلخيص لمحمد عبد القادر عطا.

ولقد صار للشيخ منزلة سامية لدى القاصي والداني حتى لدى الحكام والولاة والسلاطين ، وخاصة السلطان عبد الحميد (١٨٤٢ - ١٩١٨ م) الذي كانت تربطه بالشيخ مراسلات عديدة (وراه ممن يعتمد عليه في الأمة ، وفي غايته التي هي الجامعة الإسلامية) (١) وكاتب سلاطين عمان ، وزنجبار (٢) ، وبعث برسائل احتجاجية كثيرة إلى الحكومة الفرنسية . وكاتب رهطا من علماء المسلمين في الشرق والمغرب وعلى رأسهم الإمام محمد عبده (١٢٦٦ هـ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) ، ويرجع محقق كتاب جامع النمل أن الشيخ أطفيش لم يكتف بالمراسلة؛ بل سافر إلى مصر والتقى بالشيخ محمد عبده ، (وقد تبادل الشيخان الجليلان قضايا الإسلام وما يجب عمله حتى تتحرر شعوبه من ربقة الاستعمار) .

وقد مدح الشيخ محمد بن أطفيش الشيخ محمد عبده وتأليفه واثني عليه في تفسيره تيسير التفسير (٣) .

أشعاره

لم يكن اهتمام الإمام محمد بقول الشعر يأتي في درجة أولى تشابه اهتمامه بالفنون العربية ، والدينية التي كان يكتب فيها .

ولكن اهتماماته الأدبية ، ومواهبه الشعرية كانت متأصلة في نفسه وبه ميل جم إلى تنميتها، ومع ذلك فكان لا يقول الشعر إلا إذا دعت إلى قوله الحاجة ، سواء أكانت حاجة نفسه يعبر بها عما يحس به من انفعالات ، وما يتلجج في نفسه من مشاعر، أو كانت إجابة عن سؤال ، أو ردوداً يرد بها . وقد ذكر الزركلي في الأعلام أن له ديوان شعر (٤) .

ولعل أول ما انتجة قريحة الشيخ وتفتقت عنه شاعريته (أرجوزة في نظم المغني في النحو يقول تلميذه وابن أخيه الشيخ إبراهيم أطفيش : (ويلوح لي أن أول كتاب له أرجوزته في نظم المغني قيل في خمسة آلاف بيت) (٥) .

أما موضوعات شعره فهي متنوعة منها : الشعر الديني : ويتحدث فيه عن المواقف ،

(١) مقدمة جامع النمل ص ١٨ .

(٢) زنجبار جزيرة في المحيط الهندي تعرف اليوم بترانبا عاصمتها دار السلام .

(٣) تيسير التفسير ٣٧٧/٤ .

(٤) الأعلام ١٥٧/٨ .

(٥) مقدمة الذهب الخالص .

والنصائح ، وإبراز القيم للاعتبار ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومنها شعره العلمي : حيث ينظم منظومات شعرية تأخذ الصبغة العلمية فله منظومات في النحو ، والفقه ، والقراءات . يقول إبراهيم أطفيش : (له غرر القصائد الطوال كالحجازيه ، وأراجيز في الفنون من الفقه ، والقراءات ، والعربية ، وبديعته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تبلغ مائة وثمانين بيتا مطلعها : (١)

حمدا لمن أخرج الأشياء من العدم إلى الوجود لخير العرب والعجم

ومما سطره يراع الشيخ من النصائح والحكم ، (بآيته) التي جاءت في مائة وسبعة عشر بيتا ، والتي تتم عن حكمة شيخ متزن ، وعقل معرب ومنها :- (٢)

أرى في قيام الليل فوزا وفي الغنى عن الناس عزا فاتخذ منهما دأبا

ومن ذا الذي يبنى على السوج دارة ومن ذا الذي يجنى في الطلح اعتابا

إذا طبت نفعا واضطربت على الأذى تنافست ابدا لا وغوثا وأقطابا . (٣)

ولما كبر سن الشيخ وأصبح في التاسعة والثمانين من عمره ، شكى تأثير الكبير في قواه البدنية فقال :-

أصبت بشيب ثم هتم وبالصلم فهل لي إلى عهد الشباب إياب

فأخدم دين من له الشرف الوفي وفيما يبدان أو يباح شباب

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا ۖ ﴾ سورة المائدة آية (٣٨) . قال : لمن آله المعري إذ قال :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما يالها قطعت في ربيع دينار

تحكم مالنا إلا السكوت له وإن نعوذ بمولانا من النار

قال : قلت :

يا ليت كلب المعرة اذنبح بدأ الكلام وأبدى مضمير العار

(١) المصدر السابق ص ٥ .

(٢) مقدمة الذهب الخالص ص ٤ .

(٣) هذه مصطلحات صوفية ، فالإبدال هم الذين حلقوا ربة من مراتب الصوفية بهم بقائه الخلق وبهم برحمتهم ربههم ويستقطعهم من النكبات والفوت هو القطب حينما يلتجأ إليه ولا يمسى في غير ذلك الوقت غوثا وهو المعصية وماحب الأسر وهو الذي يجب طاعته ويسمونهم بالأوتاد ، والإبدال معجم الالفاظ الصوفية بحسن الشرفاوي مؤسسة مختار القاهرة ص ٢٢٥ .

صباحانه وتعالى عز من جبار
ذلُ الخيانة للحرز والدار. (١)

عن نطقة ساكت فإن حكمته
عز الأمانة أغلاها وأرخصها

تلاويده :

لقد فرغ القطب محمد أطفيش نفسه لتدريس طلاب العلم ، وجعل من نفسه مدرسة يؤمها الدارسون فيغدون إليها خماصا ، ويروحون منها بظانا، وقد أقبل إليه طلبة العلم من جميع قرى الوادي ، والبلدان الأخرى . وبرز الشيخ محمد من خلال ذلك قطبا ، وإماما مجتهدا للمذهب الإباضي ، يسأل عنه ويستفتى فيه . وقد كان تلامذة الشيخ فيما بعد روادا للإصلاح ، فكان منهم المجاهد ، والسياسي ، والمؤرخ ، والأديب ، ليس في الجزائر فحسب بل في تونس وليبيا .

يقول بكير عوشت : (لقد تتلمذ على يد القطب - رحمه الله - نخبة من التلاميذ الذين تأثروا به دينيا وأخلاقا ، ومن هنا فقد نهجوا منهجه الإصلاحية في سلوكه ،) .

ومن أبرز تلاميذ (٢) الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن يوسف أطفيش ، وهو ابن أخ الشيخ وترجمان أفكاره ، توفي سنة (١٩٦٥م) ، والشيخ عمر بكلي ، والشيخ داوود بن سعيد بن يوسف ، والشيخ محمد بن سليمان آدرسو من بني يسجن ، والشيخ محمد بن الحاج صالح الثميتي ، والشيخ سليمان باتا الباروني من ليبيا ، وليس هؤلاء فقط بل كان غيرهم كثير . (٣)

المبحث الثالث : آثاره ومؤلفاته :

ولقد كان الشيخ كثير التأليف غزير التصنيف ، ولم يتفق لأحد قبله ممن كان يمني بالعلم من أهل مذهبه - فيما نعلم - ما اتفق لهذا الشيخ من التأليف والتصنيف . فقد تربع الشيخ على عرش العلم والعلماء في بيئته الخاصة التي كانت تعاني من قلة في التصنيف .

وكتابات الشيخ ومؤلفاته شاهد صدق على ذلك ، يقول أبو اسحاق ابراهيم أطفيش :
(إن المؤلف أعجز النساخ إذ بارك الله له في علمه ، فكتب ما لو قامت جميعيات بالنسخ

(١) ذكر الألويسي هذين البيتين ، وذكر رد السخاوي عليهما ١٣٤/٦ ويظهر استثناء الشيخ وسيره على سوال من سبقه في الرد .

(٢) نقلا عن مجلة جبرين عدد (١٠) ص ٢٧ .

(٣) نهضة الجزائر الحديثة - نقلا عن الفكر السياسي ١٠٩ .

والطبع لمجزت (١) ولعل كثرة تأليف الشيخ جاءت من اشتغاله بالتدريس والتعليم فقد كان يهتف لطلابه وتلاميذه . حتى أن المترجمين للشيخ قد اختلفوا في عدد مؤلفاته . قال ابراهيم أطفيش : (إحصاء تأليفه غير يسير ، وقد تجاوزت المئات ، وأما أجوبته فلا تحصى) (٢) ويرى بعضهم أنها (٣) تزيد على الثلاثمائة ، والبعض الآخر يرى أنها أقل من ذلك (٤) ومهما اتسمت آراء المترجمين في ذلك باختلافهم يدل بكل وضوح على وفرة مؤلفاته وكثرتها .

ووجدت للشيخ كلاما في تيسير التفسير (٥) يفهم منه على أنه لما لم يجد مجالا للجهد والغزو ، أكتب على التأليف في زمن قل فيه من يحسن التأليف .

أما الفنون التي كتب فيها الشيخ فمن أهمها : التفسير ، التجويد ، التوحيد ، الحديث ، الأصول ، والبلاغة (المعاني البیان البديع) ، النحو ، الصرف ، الفقه ، الفرائض ، السيرة ، التاريخ ، الفلسفة ، الفلك ، الطب ، الفلاحة .

وفيما يلي ذكر مصفات الشيخ مرتبة حسب موضوعاتها وغاياتها على قدر اجتهادنا ، والتي استطعت جمعها من الكتب التي ترجمت للشيخ .

أولاً : التفسير

فسر الشيخ كتاب الله تعالى ثلاث مرات سيأتي الحديث عنها فيما بعد ومن تأليف الشيخ في موضوع القرآن الكريم رسالته السمسمة : (جامع حرف ورش) ، طبعت في الجزائر .

ثانياً : الحديث

أ. وفاء الضمانة بأداء الأمانة ، مطبوع عدة طبعات في ثلاثة أجزاء ، القاهرة سنة (١٣٢٦)
 ب - جامع الشمل في حديث خاتم الرسل . مطبوع في ثلاثة أجزاء .
 ج - ترتيب الترتيب . الجزائر ، (١٣٢٦) مطبوع في جزء واحد .

ثالثاً : التوحيد وعلم الكلام .

أ - شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع . الجزائر ١٣٢٨ ، في جزء واحد .
 ب - حاشية على الموجز لأبي عمار عبد الكافي . مخطوط .

(١) مقدمة الجزء الثامن من شرح التل لأبي اسحاق ابراهيم أطفيش .

(٢) مقدمة الذهب الخالص ص : هـ .

(٣) تاريخ الجزائر الحديث . الجلاي ٤ / ٥٤ .

(٤) نهضة الجزائر الحديثة - محمد علي دبور ٢١٨ / ١ فلا عن الفكر السياسي عند الإياضية ص ١١١

(٥) تيسير التفسير ٤ / ٣٧٦ .

- جـ - حاشية شرح النونية لعبد العزيز الثميني . مخطوط .
 د - شرح معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين لعبد العزيز الثميني .
 هـ - إيضاح المنطق في بلاد المشرق . مخطوط .
 و - اللجنة في وصف الجنة . طبع عدة طبعات . مسقط وزارة الثقافة ١٤٠٣ هـ .
 ز - إزهاق الباطل في العلم الباطل - الجزائر .
 ي - شرح أسماء الله المحسنى . مطبوع .

رابعاً : الفقه وأصوله .

- أ - شرح (النبل وشفاء العليل) للشيخ عبد العزيز الثميني . طبع عدة طبعات ، في سنة عشر (١٦) مجلداً ، وهو عبارة عن دائرة معارف في الفقه .
 ب - شامل الأصل والفرع . جـ ١ طبع في القاهرة ، سنة ١٣٣٨ هـ .
 جـ - شرح الدعائم جـ ٢ ، طبع في الجزائر ١٣٣٦ .
 د - الذهب المخلص المنزه بالعلم القاص . طبع في القاهرة ، سنة ١٤٤٣ هـ .
 هـ - جامع الموضوع والحاشية جـ ١ ، طبع في القاهرة .
 و - ترتيب المدونه الكبرى للخرساني . مخطوط .
 م - حاشية على كتاب الإيضاح لعامر الشماخي ، سماها حي على الفلاح . مخطوط .
 ي - مختصر شرح النبل في موضوع الحقوق والبيوع . مخطوط .
 - شرح مختصر العدل والإنصاف لأبي يعقوب الوارجلاني . مخطوط .
 - أساس الطاعات لجميع العبادات .

خامساً : التاريخ والسير

- الرسالة الشافية في تاريخ ميزاب وأنساب قبائله . مطبوع .
 - الأماكن في ما جاز أن يكون أو كان . طبع في الجزائر . ١٣٠٤ .
 - كشف الغمة في شرح لأمية ابن النظر . مخطوط .
 - شرح نونه المديح . مخطوط .
 - السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة . طبع في القاهرة ١٣٤٤ .
 - رسائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

الغزل في أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام.

سادسا : الآداب واللغة ،

- ارجوزه في النحو في خمسة آلاف بيت ، نظم بها (المعنى) لابن هاشم.
- شرح شواهد القزويني.
- مجموعة القصائد .
- مختصر في علم الخط.
- خطبة العيدين.
- ربيع البديع في علم البديع.
- إيضاح الدلائل إلى علم الخليل في العروض.
- تخلص العاني من ربه جهل المثاني في البلاغة . مخطوط .
- بيان البيان في علم البيان . مخطوط .
- حاشية شرح الأجرمية للداودي . مخطوط .
- شرح شواهد قواعد الأعراب . مخطوط .
- البائية في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام.
- شرح لأمية الأفعال . مطبوع .
- كتاب في الرسم والخط . مطبوع .

سابعا : الآداب والأخلاق والعلوم الطبيعية .

- إطالة الأجور وإزالة الفجور . مطبوع .
- شرح مخمسة في الأخلاق . مخطوط .
- النحلة في غرس النخلة . مطبوع .
- تحفة الحب في أصل الطب . مطبوع .
- شرح القلصادي في علم الحساب والفلك . مخطوط .

ثامنا : ردوده وجواباته ومؤلفاته المختلفة :

- إزالة الاعتراض عن محقق آل أباض . . مطبوع.
- الرد على العقبي الطاعن في الدين.

الرد على الصغرية والأزارقة. جواب في مثل أهل الكتاب، وأهل الشك .
جواب علماء مكة . مطبوع.

جواب لأحمد بن عليوه.

جواب في المعاملة.

جواب في الأوراق المائية.

جواب لأهل زوارة.

جواب على الإنجليزي.

شرح لغز الماء.

رسالة في حكم الدخان والصعوط.

كشف الكرب . مطبوع.

هذه أهم مؤلفات الشيخ منها ما رأى النور، ونفّض عنه الغبار، وتناوله المحققون
بالدراسة والتحقيق بالتحقيق، ومنها ما يزال قيد الخط، وجبى الخزائن.

وفاته وما قيل في رثائه :

لقد قضى الشيخ عمره في التدريس والإنشاء، والكفاح، والدعوة إلى الله، والذود
عن حياض الدين، إلى أن وافاه أجله (١) عند فجر يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع
الثاني، عام ألف وثلاثمائة وأثنين وثلاثين (١٣٣٢هـ / ١٩١٤ م)، عن عمر يناهز ستة
وتسعين عاماً، فعليه من الله سبحانه رحمة، وكان الحزن عليه عظيماً، والرثاء له كثيراً وقد
رثاه الشيخ سالم الروحاني، حيث قال (٢) :

عش ما تشاء وراقب فجعة الأجل	سيتقضي العمر في بطة وفي عجل.
لا غرو أن قاضت الأكوام أسفة	لفقد فرد عني الأكوام مشتمل.
يا ناعي القطب من ذا قام موقفه	فصار قطب مدار العلم والعمل .
نعت فرداً أم الدنيا بأجمعها	أنني أحس بدهش شامل جلل
ودع معاهدك الزهراء أن بها	غما لو احتل غمر البحر لم يسل

(١) مقدمة جامع التل محمد عبد القادر عطا ص ١٩

(٢) معلقة الذهب النخال لأبي اسحق ابراهيم أطفيش . ص ١٠ .

الفصل الثالث

مخطأه إله تفسير الشيخ محمد أطفيش

وفيه المباحث التالية :

أولاً : التفسير في القرن الرابع عشر الهجري.

ثانياً : حركة التأليف عند الإباضية.

ثالثاً : ندرة الدراسات القرآنية عند الإباضية

رابعاً : تفاسير الإباضية القديمة .

خامساً: تفاسير الإباضية الحديثة.

أولاً: التفسير في القرن الرابع عشر الهجري .

تمهيد : من بعين النظر في أوضاع المسلمين في بداية القرن الرابع عشر الهجري ، يرى أنها كانت أوضاعاً بعيدة عن منهج القرآن ، وهدايته ، ومقاصده . فقد غفل المسلمون عن هذا المنهج الكامل المتكامل ، والذي وسع بهادته وقواعده كل ما أدى إليه نفوذه من أصقاع المعمورة ، وعالج كافة المشكلات على اختلافها ، وما عجز في يوم من الأيام عن أن يقدم لكل سؤال جواباً ، ولكل واقعة فتوى ، ولكل قضية حكماً . ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ يونس (٥٧) . وعلى الرغم من كل هذا الوضوح ، تخلى عنه المسلمون ، وأعرضوا عن شرع الله ، وعاشوا في اضطراب فكري ، وتخلفوا عن ركب الحضارة ، ونزعت منهم المهابة ، وطمعت فيهم الدول ، واستولوا على بلادهم ، وفرقوا كلمتهم ، ثم وضعوا العراقيل أمام منهج الله ، ولفقوا التهم حول الشريعة وصلاحياتها ، وسخروا لذلك الأقلام والإعلام ، والاستشراق ، وسيطروا على الأوساط الفكرية والثقافية ، فتكونت أجيال مظلمة الروح ، جوفاء القلوب مغمرة بالمتع والشهوات ، فجمع لهم ذلك كله حب الدنيا ، وكراهية الموت ؛ ولذلك لم يكن سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية سنة (١٩٢٤) أمراً مفاجئاً ، ومستهجناً إلا في النادر القليل . هذه الخلافة التي استطاعت أن توصل صوت الإسلام وحضارته إلى قلب أوربا في يوم من الأيام . ونتيجة لهذه الأوضاع السيئة . وبعد فترة ركود وجمود استيقظ العالم الإسلامي . وبرز على مسرح الحياة الفكرية نخبة من العلماء . نادوا بمنهجية علمية جديدة . ودعوا إلى التغيير ، وسعوا إلى تعريف الأمة بواقعها الذي نحياه لاعادتها إلى مركزها الذي كانت عليه . وقصدوا إبراز مزايا القرآن الكريم دستور الإسلام ، على ما سواه ودعوة المسلمين إلى العودة إلى كتاب ربهم ، والتمسك بمنهجه ، وعدم الانخداع بما يأتيهم من الغرب . وانصرفت جهود المفسرين إلى إبراز قضايا جديدة من أهمها :

وحدة الأمة الإسلامية ، وقضايا التشريع والاجتهاد ، وقضايا الاقتصاد الإسلامي ، والحربة والعلم والوقوف في وجه التيارات الفكرية الوافدة من الغرب ومحاربة البدع والخرافات وغير ذلك من القضايا . ونشأت المدرسة الإصلاحية الجديدة ، والذي فتح أبوابها ودعا إلى منهجها ، وأهدافها جمال الدين الأفغاني (١٣١٥هـ - ١٨٩٧م) ، وكان من أساطين هذه المدرسة الشيخ محمد عبده وتلاميذه . وقد امتدت أفكار هذه المدرسة إلى آفاق واسعة وتأثر الكثير من العلماء بمنهجها .

وقد قوم العلماء هذا التفسير فذكروا أن أهداف طنطاوي سامية ، لكن أسلوبه خطاطي ، وقد كان بإمكانه أن يصل إلى ما يريد عن طريق تأليف كتاب يحمل أفكاره ويحقق أهدافه لا أن يحمل القرآن هذه الأفكار . ولم يعدده صاحب بدع التفاسير تفسيراً بالمعنى المفهوم من لفظ التفسير (١) .

ثالثاً : في ظلال القرآن . للأستاذ سيد قطب . رحمة الله . (١٩٠٦ - ١٩٦٦ م) . طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، ولقي من القبول ما لم يلقه تفسير عصري آخر ، وسيد يعتبر ظلاله تفسيراً فكثيراً ما يقول : قلت في تفسير سورة كذا ، ويراجع تفسير سورة كذا يقول شيخنا الدكتور فضل حسن عباس بعد دراسته لهذا التفسير : - (لقد كانت المكتبة الإسلامية بأمرس الحاجة لتفسير ظلال القرآن الراوفاً ، ولقد كان الظلال بحق مدرسة واضحة المعالم ، جديدة في طرازها ، جامعة لشعاب الثقافة الإسلامية ، غير متأثرة بصيغة خاصة أو نزعة من النزعات . للعقل فيها مرتبة ، وللوجدان فيها غذاؤه ونماؤه ، وللروح فيها حياتها . وانطلاقتها ... وأخيراً فإن الظلال يتفوه . هؤلاء الذين يتحركون بالإسلام عقيدة ومنهج حياة) (٢) .

رابعاً : تفسير المراغي للشيخ أحمد المراغي . (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٣ م) .

والشيخ أحمد شقيق الشيخ محمد المراغي الذي عين مرتين شيخاً للأزهر ، طبع هذا التفسير في ثلاثين جزءاً ، وأخذ الشيخ على نفسه أن يكون سهل المأخذ ، يشاكل حاجة الناس . فشرح المفردات ، واعتنى بالمعنى الاجمالي ، وأسباب النزول .. والشيخ يعتبر نفسه من تاج مدرسة محمد عبده ، وكثيراً ما يمتسح من تفسير المنار وهو صورة مصغرة له

خامساً : أضواء البيان . في إيضاح القرآن . بالقرآن

للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٢٥ هـ - ١٣٩٣ هـ) يقع هذا التفسير في سبعة مجلدات ، من سورة الفاتحة إلى سورة المجادلة ، وكان الشيخ حريصاً على إتعامه ، لكن وافته المنية قبل أن يتمه . فقام أحد تلامذة الشيخ الملازمين له وهو الشيخ عطية محمد سالم ، فأكمل التفسير في تسعة مجلدات .

وقدم الشنقيطي لتفسيره بمقدمة كشف الأضواء عما في الكتاب ، واهتم الشيخ في تفسيره بالقضايا الفقهية والأصولية ، وأفاض في بعض المسائل وحاول ربط الواقع بالتشريع وتوسع في شرح بعض الآيات ، وضرب لها أمثلة كثيرة ، وله تحقيقات لغوية ، وبلاغية ،

(١) بدع التفاسير لأبي الفضل عبدالله محمد الفخاري ١٩٦٢ .

(٢) اتجاهات التفسير في مصر وسوريا ٧/٢

وأصولية عبيقة.

سادسا : ملخص التأويل

للشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ هـ - ١٣٣٢ هـ) (١٩١٤ م) يحتوي هذا التفسير على سبعة عشر مجلداً ، والناظر في هذا التفسير يلاحظ تأثر الشيخ بمن سبقه من المفسرين ، ويميل إلى الوضوح ، ويتعد عن التكلف ، ولم يخل هذا التفسير من الإسرائيليات ، والاسترسال في الرواية أحياناً. ولعل من المفيد ذكره : أن هذا التفسير لعبت به الأيدي ، وخضع لعملية بتر واجتراء كما ذكر ذلك الفماري في بدع التفاسير . (١)

سابعا : التفسير الحديث

لمحمد عزة دروزه النابلسي ، (١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨ م) يقع هذا التفسير في إثني عشر مجلداً ، قدم له بمقدمة أبان فيها عن منهجه في تفسير القرآن الكريم . وسلك صاحب هذا التفسير طريقاً تستدعي الانتباه ، حيث خالف فيها من سبقه من المفسرين . فجاء ترتيب السور في هذا التفسير حسب النزول ، فبدأ بسورة الملقى وهكذا . والأصل أن هذا الترتيب الذي نقرؤه ، والذي جاء في مصاحفنا جاء على ترتيب مصحف الإمام عثمان - رضي الله عنه - الذي قبل به الصحابة وهم الذين حضروا العرضة الأخيرة ، وأجمعوا على ذلك . فالترتيب في المصحف لم يقصد به المحور التاريخي ، فالآيات غير مرتبة على النزول فمن باب أولى السور كذلك .

ثامنا : بيان الممانع

للشيخ عبد القادر ملاحويش آل غازي . (٢) . جاء هذا التفسير في سبعة مجلدات ، فسر المؤلف فيه سورة القرآن حسب ترتيب النزول ، وفسر الآيات فيه تفسيراً مجعلاً ، وعقد فيه أبحاثاً تحت عنوان (مطلب) .

تاسما : تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (١٣٧٦ هـ = ١٩٧٣ م) . وهو تفسير سلفي تقليدي يقتصر نقله فيه عن أهل السلف . جاء التفسير بأسلوب سهل ، وميسر ، ووسطاً بين الإيجاز والإطناب .

(١) بدع التفاسير ١٦٢ .

(٢) لم أجد له ترجمة .

عائشة : تفسير عبد الحميد بن باديس

(١٣٠٨ - ١٣٥٩ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٤٠ م) . المسمى : (مجالس التذكير في كلام الحكماء الخبير) . وهو تفسير بعض سور القرآن الكريم وليس تفسيراً كاملاً للقرآن والشيخ متأثر بالمدرسة الحديثة في التفسير . يذكر الدكتور محمد البهي في تقديمه لهذا التفسير أن عبد الحميد بن باديس حلقة في سلسلة ابتدأت بحمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده في القرن التاسع عشر ، وثبت برشيدها في القرن العشرين ، إنه واحد من أولئك الذين رأوا الإسلام نظاماً لحياة الإنسان ، لأنه إنسان في أي وقت وفي أي مكان . (١) .

العائشة غفر : التحرير والتنوير .

للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ هـ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ م - ١٩٧٣ م) .

يقع هذا التفسير في خمسة عشر مجلداً ، أسماه مصنفه (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد) . قدم له الشيخ بمقدمة قسمها إلى عشرة أقسام ، فصل فيها بعض الأبحاث ، واهتم بإبراز مسائل علوم القرآن ، وظهرت هذه المقدمات ضلوع ابن عاشور في مسائل علم التفسير ، وتنوعت مصادر الشيخ في تفسيره ، يفسر السورة تفسيراً تحليلياً ولا يخلو هذا التفسير من ملاحظات . تعرض للقضايا البلاغية ، وحاول أن يحاكي تفاسير القدماء ، ويساعد على فهمها (٢) .

وهناك تفاسير أخرى بعضها تعرض لمور القرآن كله ، وبعضها لسور معينة منه : -

١- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب : يقع هذا التفسير في خمسة مجلدات ، كل مجلد يحتوي على ستة أجزاء .

٢- تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت : وهو تفسير للأجزاء العشر الأولى .

٣- صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم لعبد الرحمن الدرسي .

٤- تفسير المنتخب في تفسير القرآن : وضعته لجنة في المجلس الأعلى في مصر ، طبع منه خمسة أجزاء إلى نهاية سورة الجاثية .

٥- التفسير الفريد للقرآن المجيد لمحمد بن عبد المتعم الجمال : جاء في أربعة مجلدات .

(١) تفسير ابن باديس من مقدمة د. محمد البهي ص ٨ .

(٢) انظر رسالة ماجستير لأنغيا جمال أبو حسان (تفسير ابن عاشور دراسة منهجية ونقدية) .

٦. التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن : فسرت فيه بعضاً من السرد القصص. كان لا بد لي من هذه الوقفة اليسيرة مع هذه التفاسير ، وأنا بين يدي بيان منهج الشيخ محمد أطفيش ، لئلا من خلالها ، مدى مساهمة الشيخ للمفسرين السحدين ، وهل التزم بالأطر الجديدة التي سارت عليها هذه (التفاسير) والتي حاولت أن تنسجم مع روح العصر ، وظروف أهله .

المبحث الثاني

حركة التأليف عند الإباضية .

يمكن القول بأنه لا يزال تاريخ الإباضية التصنيفي غير مكتمل الصورة ، ولعل هذا يجعل من الصعب لمن يتصدى لتأريخ الفكر الإباضي عموماً ، والتفسير منها خصوصاً ، أن يتبين الطريقة الشافية ، وأن يضع يده على حقيقة ثابتة يطمئن إليها .
إن أول ما يغالطنا هو قلة كتبهم ، وأسماء مؤلفيهم ، والندرة الواضحة للدراسات القرآنية وخاصة التفسيرية .

ومما لا شك فيه أنه كان للإباضية كتب ومؤلفون ، فهذه الفرقة اشتهرت بالدعوة . واستمرت حرب من الجدل والنقاش بين أتباعها وبين مخالفيهم ، فكان لهم جهود وردود . وطبعي فإن الصراع المذهبي الحزبي يولد حركة فكرية ، وتصنيفية تحتوي فكرة الحزب ، وينشط من خلالها علماء يؤمنون ، ويكتبون لأتباعهم ، بأرائهم المستقلة ، ولا شك أنه ظهر في الإباضية علماء بلغوا مرتبة الاجتهاد ، بل إن الدولة الرسمية الإباضية عرفت بحب العلم ، وتقدير العلماء . (وكان البيت الرسمي بيت العلوم جامعاً لفتونها من علوم التفسير ، والحديث ، والفرائض ، والأصول ، والفروع ، وعلم اللسان ، والنجوم) (١) . ولكن أين مصير تلك المؤلفات ؟ أرجي الإجابة على هذا السؤال ، لنقرأ ما يقوله ابن النديم في الفهرست : والفهرست يعتبر من أوثق وأكمل الوثائق التي تبين ما أنتجته قرائح المسلمين في حياتهم العلمية ، والعقلية في أوج حضارتهم بذكر ابن النديم . (٢)

عن محمد بن اسحاق ت (١٠٥ هـ - ٧٥٧ م) : إن كتب الخوارج مستورة ، وإن رؤساء هم كثيرون ، ولعل من لا نعرف له كتاباً قد صنف ولم يصل إلينا ، ثم سجل لنا قائمة بأسماء بعض كتاباتهم في الكلام ، والفقه ، والفرق . ولم يذكر شيئاً من مؤلفاتهم في التفسير ، ومعظم الكتب التي ذكرها ابن النديم مفقودة .

(١) طبقات الدرجي ٥٦/١ .

(٢) الفهرست - ابن النديم ٢٣٢ .

والذي يفهم من كلام ابن النديم أنغري الذكر، أنه كانت لهم تصانيف ومؤلفات، لكنها كانت محجوبة عن النشر والتوزيع، وعُشِت بها يد الزمان، فتبعثت وفقدت على مر السنين، وما وصلنا منها لا يكاد يذكر.

أما عن سؤال قلة معلوماتنا عن تأليف الإباضية، فالإجابة عليه أجملها في يلي:

١- كون الإباضية حزبا سريا (١) في أكثر مراحلها التاريخية، وطبيعة العمل الحزبي والسري، وما يتطلبه من كتمان تؤدي إلى صعوبة الوصول إلى الكتب المستورة لديهم.

٢- حروب الإبادة التي كانت تشن عليهم، وملاحقة السلطة الحاكمة، والاضطهاد، والتضييق الذي تعرضوا له، خاصة (من عمال بني أمية بالعراق، حيث شددوا عليهم خوفاً من دعوتهم التي كانت تستشري بين الناس، وتحالفاً للشر قبل وقوعه) (٢). ثم انشغالهم بالحروب منذ نشأتهم، وكانت حروباً قاسية ومتتابعة، وكان من الطبيعي أن لا تدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف (٣).

٣- الدول التي استطاعوا تأسيسها، كانت في مناطق نائية، بعيدة عن سائر الأقاليم، ونائية عن التأثير بحضارة الأمم المجاورة. (ثم إن طبيعة الفرقة، الإباضية تفضل الانطواء، والانغلاق حول نفسها، وتؤثر العزلة على الاحتكاك بغيرها) (٤).

٤- إتلاف العديد من كتبهم، فقد قام أحد القادة الفاطميين ضمن سياسة الاضطهاد التي اتبعتها الدولة الفاطمية ضد الإباضية، بعد أن استولوا على عاصمتهم (قاهرت) ونهبوها، قام بإحراق المكتبة التي كانت تضم أكثر من ثلاثين ألف مجلد، أغلبها من الشريعة الإسلامية، وفي شرح المذهب الإباضي، (و تلك شئنة كل غالب أن ينتقم من مغلوبه بإبادة تراثه الفكري) (٥).

(١) التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين د. فاروق عمر ص ٢٧ ط ٢.

(٢) سير الأئمة واعصارهم - لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر تحقيق اسماعيل العمري، ط ٢ ص ٢٢.

(٣) التفسير والمفسرون: الدكتور محمد حسين الذهبي ٣١٧/٢.

(٤) العقيدة والشريعة - جولد تسيبر ٢ ص ١٩١.

(٥) القرآن تفسره ومفسروه، السنة رولينها ورواتها عند الإباضية - محمد بن مابه بالحاج ص ٣٧.

ثالثاً : ندرة الدراسات القرآنية عند الإباضية .

لهذه الأسباب التي أشرت إليها قبل قليل وغيرها (١) ، قلت معلوماً عن المؤلفات التفسيرية، والدراسات القرآنية، عند الإباضية وعلى فرض وجودها، فلا بد أن يكون مصيرها مصير أغلب كتب التراث الإباضي. وعلى العموم ، فلم يحظ التفسير عند الإباضية بما حظي به عند غيرهم ، ولم يخلفوا ما خلفته الفرق الأخرى .

فذاكرة التاريخ لم تحفظ لنا شيئاً عن تفاسيرهم ، ولا من اشتهر منهم بذلك ، وما هي الطريقة التي ساروا عليها -إلا النثر اليسير ، وما وصلنا لا يعدو أن يكون تلخيصاً لتفسير آخر، أو نسجاً على منوال من سبق. وعليه فإن المصادر على اختلافها إباضية كانت أو غير إباضية ، مشرقية كانت أو مغربية ، لا تسعفنا بتفاسير للإباضية تشفي الغليل ، وهذا بدوره يؤدي إلى غموض واضطراب في الرؤية الحقيقية للتفسير عند الإباضية . ولعل هذه الفرقة بالإضافة إلى ما أشرت إليه آنفاً من قلة مصنفاتهم ، كانوا من أولئك الذين يتحرجون غاية التحرج ، ويتحيون عند تفسيرهم للقرآن الكريم تورعاً، وتحرزاً من الخطأ ، وخرفاً أن يقولوا على الله - سبحانه - ، أو يتأولوا كلامه على غير وجهه. وهذا ليس رجماً بالغيب ، فهم من أولئك الذين (يرون الكذب جريمة من أكبر الجرائم ، وبه - عند جمهورهم - يخرج الإنسان من عداد المؤمنين . فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن ، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه) (٢) .

ونقل لنا محقق تفسير الشيخ هود بن محمك ، عن استاذة أنه قال حكى لي أستاذي رواية عن بعض مشايخه أن الشيخ أبانبهان جاعل بن خميس حاول تفسير القرآن، فبدأ من سورة النام فلما بلغ سورة الحاقة عند قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴾ . (٤١-٤٧) . قطع أوراقه ، وترك تفسيره هبة وخوفاً . (٣)

(١) حيث لا يمكننا حصر أسباب ندرة التفسير عند الإباضية في أسباب معية.

(٢) التفسير والمفسرون . الذهبي ٣١٧/٢ .

(٣) تفسير الكتاب العزيز هود بن محمك الهواري مقدمة المحقق ٣٤/١ .

ويتساءل صاحب (١) كتاب القرآن تفسيره ومفسروه عن طريقة تفسير الإباضية، ومن هم أشهر المفسرين منهم، وما هي أشهر تفاسيرهم؟ ثم يجيب قائلا: (رغم أهمية السؤال ووجاهته، ومع ذلك فقد لا نستطيع أن نجد له جوابا شافيا مقنعا). ثم يعلل هذا بأنه لا يعلم أن التفسير قد صنف من حيث طرقه بحسب المذاهب الإسلامية الفقهية والكلامية، فلا يقال ما هي طريقة التفسير الإباضي .. وإنما صنف التفسير من حيث مستنده إلى طريقة الدراية، وطريقة الرواية، ولعل هذا الكلام غير دقيق، فإن من الأمور التي يكاد يتفق عليها من أرحوا لنشأة علم التفسير؛ أنه كان من بين دوافع تلك النشأة ظهور الفرق، وتصرة المذاهب، وبيان معتقدها، والتعصب لها، فعندما تشتعل حرب المناظرة والجدل بين المذاهب، تنجس إلى محاولة التماس الحجج، والبراهين لها من القرآن الكريم، فتفسر آياته بما يتناسب مع أصولها، ولو اقتضى ذلك لي أعناق النصوص، فكل يريد أن يشرح النص ويفهمه تبعا لبيته، ومنهج فرقه، أو يلجأ إلى التأويل أو الرأي المسموع. وطبعي أن يكون نكر المصنف واتجاهه متفقا تماما مع أصول مذهبه، فلا تجد مفسرا يبنى فكره على ما، إلا وأظهر منهج فكره ومذهبه، فعندها يقوم تفسيره على نظرة خاصة مبتسرة تصدر من زاوية واحدة غير موضوعية.

يقول الشيخ محمد حسين الذهبي: (ورأينا كل فرقة من هذه الفرق تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها وتفسيرها بما يتلاءم مع مذهبها فالمعتزلي يطبق القرآن على مذهبه.. ويؤول ما يتفق ومذهبه، وكذلك يفعل الشيعي، وكذلك يفعل كل صاحب مذهب، حتى يسلم له مذهب) (٢).

ويقول في كتابه الاتجاهات المنحرفة في التفسير: (... وأخيرا وجدنا كل من برع في فن من الفنون يغلب على تفسيره - بصورة - واضحة) (٣).
وهكذا فسر كل صاحب فن أو مذهب النصوص بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه .

(١) القرآن تفسيره ومفسروه - محمد بن باهه الشيخ بالحاج من ٢٩ وما بعدها .

(٢) التفسير والمفسرون - الذهبي ٣٩٧/١ .

(٣) الاتجاهات المنحرفة في التفسير - الذهبي ص ١٥ .

رابعاً ، تفاسير الإباضية القديمة قبل الشيخ محمد أطفيش .

ألمحت أنفاً إلى الندرة التي تفاجيء الباحث في كتب التفسير عند الإباضية ، وفي الوقت نفسه تجعل الباحث يتهيج ، ويمتلئ حيوياً ، كلما وقع بصره على كتاب أو بحث ، أو مقالة ، أو مرجع يذكر شيئاً عن تفاسير القوم . وقد حاولت أن أستقصي الدراسات التفسيرية لدى الإباضية ، فاستقرأت كتب طبقات المفسرين القديمة والحديثة، الإباضية منها وغير الإباضية ، وكذلك كتب التراجم والسير، والتاريخ ، للبحث والتنقيب عن أي تفسير إباضي ، سواء أكان موجوداً أو مفقوداً، ولم أجد إلا ما ذكرت ، ولقلة المفسرين الذين استطعت جمعهم سوف أعرض لهم حسب التسلسل التاريخي :-

أولاً : تفسير الإمام (١) عبد الرحمن بن رستم الفارسي (١٧١ هـ - ٢٨٧ م) .

والإمام عبد الرحمن يعتبر مؤسس مدينة تاهرت الجزائرية ، وأول من ملك من الرستميين ، وهو فارسي الأصل ، وكان من أئمة الإباضيين ، وبطلاً من أبطالهم ، معروفاً بالزهد والنواضع، والثقافة العالية. قال عنه صاحب معجم المفسرين (كان من فقهاء الإباضية ، وزاهداً ومتوضعاً ، على جانب عظيم من العلم ، والعمل والعدل) (٢) . وكل من ترجم لهذا الإمام يذكر أن له كتاباً في التفسير لكنه مفقود ، لم يعثر عليه ، ومن الجدير بالذكر أن أباه القاسم بن إبراهيم البرادي (من أهل القرن التاسع الهجري) ألف كتاباً يشتمل على عناوين الكتب التي ألفها الإباضيون في المشرق ، والمغرب ، وحاول أن يستقصي ذلك غاية الاستقصاء .

وعند ذكره لما صنفه الإمام عبد الرحمن بن رستم قال : (له تفسير القرآن يذكرونه ولم يذكر قصة هذا التفسير مجملها أن الشيخ أباه محمد عبد الله بن محمد العاصي لقي سليمان بن مدرار النفوس قدم من قلعة حماده ، فأنجزه أنه ترك في سوق القلعة كتاباً في تفسير

(١) انظر ترجمته : سير الأئمة لأبي زكرياء يحيى ابن أبي بكر ٥٤ ، تاريخ الجزائر العام عبد الرحمن الجليلي ٢٢/٢ ، الاعلام ٧٨/٤ .

(٢) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر عادل تويهي ٢٦٥/١

تاهرت مدينة تقع في غرب الجزائر وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي ٤٠٠ كلم، كانت في القديم عاصمة للدولة الرستمية الإباضية التي أسسها عبد الرحمن بن رستم.

القرآن من تأليف الإمام عبد الرحمن بن رستم يُنادى عليه للبيع ، نسافر إليه ذلك الشيخ في حينه ، فلما وصلها ، جعل يسأل عن الكتاب برفق ، ونلطف في السر ، فلقي رجلاً فقال له : طلب نفساً عن فوائده فقد بيع قبل قلوئك . (١) .

ثانياً : تفسير الشيخ هود بن مُحَكَّم الهواري من علماء القرن الثالث الهجري . كتب التراجم والطبقات عندا لإباضية وغيرهم ، لا تعطى ترجمة وافية عن حياة الشيخ هود . إلا أنه يقدر مولده في العقد الأول ، والثاني من القرن الثالث (٢٥٠ - ٣٠٠) (٢) .

عاش في كنف والده القاضي محكم الهواري في جبال اوراس الواقعة في الجزائر . وبعد الشيخ من الطبقة السادسة من طبقة العلماء عند الإباضية وهم الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي . قال عنه فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي : (هود بن محكم الهواري كان أبوه قاضياً في عهد الإمام أفلح الرستمي ، مولف تفسير القرآن للإباضية الذي وصل إلينا) (٣) . وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) ، عن دار الغرب الإسلامي في بيروت بعنوان (تفسير كتاب الله العزيز) للشيخ هود بن مُحَكَّم الهواري ، تحقيق بلحاج بن سعيد شريفي . وجاء هذا التفسير في أربعة مجلدات . المجلد الأول : يبدأ بسورة الفاتحة وينتهي بآخر سورة الأنعام ؛ المجلد الثاني : يبدأ من أوائل سورة الأعراف إلى آخر سورة الكهف ؛ المجلد الثالث : يبدأ من أول سورة مريم إلى آخر سورة الصافات ؛ والمجلد الرابع : يبدأ من أول سورة ق إلى آخر سورة الناس . ولهذا التفسير قصة كما ذكر محقق الكتاب . فقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرناً مشياً ، مغموراً إلى أن ظهرت مخطوطاته في بعض الخزائن الخاصة في وادي ميزاب لعلماء في القرون الأربعة الأخيرة ، يحتفظ بها أبنائهم وأحفادهم . والمؤرخون المعاصرون للشيخ هود لم ينسوا إلى هذا التفسير ، وأقدم مصدر ذكر فيه هذا التفسير ، هو كتاب السير لأبي زكريا ، ثم ذكره النرجيني في طبقاته ، وهذان المصدران لم يينا كيف روي هذا التفسير خلقاً عن سلف . ومن أي الطرق من طرق تلقي السماع ، وكيف تم نقله حتى وصلت إلينا مخطوطاته ، وجميع النسخ التي وصلت إلى المحقق نسبت الكتاب إلى الشيخ هود . ويسجل محقق هذا التفسير نقطة هامة اهتمدى إليها بعد التحقيق والاستقراء خلاصتها : أن الشيخ هود اعتمد اعتماداً كلياً على تفسير الإمام يحيى بن سلام . يقول المحقق لو جاز لي أن أضع للكتاب عنواناً غير الذي

(١) آراء الفخوارج الكلامية - عماد الطائي ١٤٩/٢ .

(٢) طبقات النرجيني ٣١٩/٢ .

(٣) تاريخ التراث العربي - فؤاد سزكين - ٩٦/٩ .

وجدته لكان العنوان: (تفسير الشيخ الهواري مختصر تفسير ابن سلام البصري). وذلك لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود، ما من ذلك شك وهذا عين الحقيقة والصواب. وابن سلام توفي سنة (٢٠٠ هـ -) ، والهواري توفي بعده بنحو ثمانين سنة ، ولا بد أن يكون المتأخر هو الذي أخذ عن السابق. ويواصل محقق الكتاب تساؤله : لماذا لم يشر الشيخ هود إلى تفسير ابن سلام ؟ ثم يحاول أن يجلي الإجابة عن هذا التساؤل ؛ فيستبعد أن يكون الشيخ هود هو الذي كتب هذه العلاقة ، وينفي كذلك أن يكون هذا من تلاعب النساخ. ثم يرجع أن الشيخ هود قد أشار في مقدمة تفسيره إلى ذلك ، والنساخ قد نقلوه ، ولكن الوراقات الأولى من مخطوطات هذا التفسير قد ضاعت ولم تصلنا، فإن أقدم مخطوط وقع بين يدي المحقق يرجع إلى القرن الحادي عشر وهي مخرومة من أولها .

تفسير ابن سلام وسنجه .

يجدر بنا أن نلمح إلى أن تفسير ابن سلام يعدُّ (أقدم تفسير تناول القرآن الكريم كاملاً بالشرح ، إذ هو من القرن الثاني للهجرة) (١) واعتبره الشيخ الفاضل بن عاشور أقدم التفاسير الموجودة اليوم على الإطلاق . وأنه يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي ، أو الأثري التي سار عليها بعده الإمام ابن جرير واشتهر بها ، ثم قدم الشيخ الفاضل ابن عاشور - رحمه الله - وصفا لنسخ تفسير ابن سلام. فقال : أنه يقع في ثلاث مجلدات ضخمة . بني على إبراز الأخبار مسندة، ثم تعقبها . بالتقيد والاختيار، فبعد أن يورد الأخبار المروية مفتوحاً اسنادها بقوله (حدثنا) ، يأتي بحكمه الاختياري مفتوحاً بقوله : (قال يحيى) ، ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوي ، والتخريج الإعرابي - (٢). ولكن كيف وصل هذا التفسير إلى الشيخ هود واختصره ، وما الغرض من عمله هذا ؟ . تكاد تجمع المصادر على أن تفسير ابن سلام سمع بالقيروان ، ورواه الناس عنه مباشرة ، فكان هذا التفسير الكامل في ذلك العصر قد ذاع صيته ، ولكن مؤلفه بصري استوطن القيروان ، وعاش في أوساط علمية، فهو يقدم ثمرة علمه تفسيراً قريباً عهده بالمنايع الأولى من الكتاب والسنة ، عالماً مسنده في الرواية، وكان الشيخ هود قد رحل إلى القيروان لتلقي العلم ، فوجد الكتاب بين يديه يستفيد منه ، إلا أن فيه قضايا تخالف منهجه، ومذهب الإباضي ، فأعاد الشيخ هود النظر في هذا التفسير واستبدل آراء ابن سلام بأراء الإباضية وأصولهم مع زيادات وإضافات أخرى . ومما يؤسف له أن الشيخ هوداً قد اختصر سلسلة الإسناد أو حذفها ، واكتفى بذكر الصحابي ، وأحياناً يحذف الأحاديث والأخبار التي لا تتفق ومذهبه .

(١) التتاربي - تفسير القرآن بما الشبهت ، أسأله وتصرفت معانيه يحيى بن سلام، تحقيق د. عبد شلي
المقدمة، ص ٦٢

(٢) التفسير ورجاله - ٤٢ - ٤٣ .

وكثيرا ما يقع القارئ في وهم وخلط. في اختصار الشيخ هود فيقول : ذكر عن بعضهم ، أو : قال بعضهم ، وربما قال : - أحيانا - بلغني كذا وكذا ، فيظن أن العبارة من قول الهوارى ، ولكن عند المقارنة يتبين أن العبارة لابن سلام.

ومنهج الهوارى في تفسيره المطبوع حديثا فقد جاء وسطا بين الاطناب والإيجاز ، وكان شاملا لآيات القرآن كلها. وجمع بين التفسير بالرأي ، والتفسير بالمأثور؛ يفسر المفردة القرآنية ويشرحها شرحا لغويا موجزا دون الإكثار من الأعراب ، يورد الأحاديث الضعيفة ، والروايات الواهية دون التعليق على صحتها أو ضعفها . أسلوبه سهل مبسّر ، بعيد عن التعقيد، ينسج على منهج الإباضية في الأصول .

وقبل أن أقادر هذا التفسير أود أن أشير إلى ما كتبه صاحب كتاب القرآن تفسيره ومفسروه عند الإباضية عن تفسير الشيخ هود . حيث يقول : (وقيل إن هود بن محكم الهوارى قاضي الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن على الأوراس كان له تفسير للقرآن ، وإن كان ذلك يحتاج إلى تثبيت وتحقيق) . (١) . والكلام هنا فيه نظر من قضيتين . الأولى : أنه قال عن الشيخ هود إنه كان قاضيا للإمام عبد الوهاب ، والصواب أن أباه هو الذي تولى القضاء ، ولم يتول هو القضاء ، أما قوله إنه كان قاضيا للإمام عبد الوهاب ، فهو لا يصح تاريخيا ، فأبوه الشيخ محكم الهوارى تولى القضاء في ولاية ابن الإمام عبد الوهاب ، وهو أفلح بن عبد الوهاب ثالث الأئمة الرسميين (٢٠٨هـ - ٢٥٨هـ) (٢) . فكيف تولى الشيخ هود نفسه القضاء للإمام عبد الوهاب الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه ، وكما قدمت فإن مولد الشيخ هود يقدر في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث ، فهل سبق الشيخ هود والده في القضاء !!

أما الثانية : فإنه يفهم من كلام صاحب الكتاب المذكور التشكيك في صحة وجود هذا التفسير ، مع أنه ذكره أصحاب السير والتراجم ، والمهتمون بهذا الفن عند الإباضية وعند غيرهم . وقد اطلع الشيخ الذهبي على بعض نسخ هذا المخطوط - قبل أن يطبع - كما ذكر ذلك في كتابه التفسير والمفسرون .

(١) القرآن تفسيره ومفسره عند الإباضية . ٣٦ الأوراس جبال في القطر الجزائري ..

(٢) إنبيل الأئمة الرسميين - ابن الصخير ٥٠ - ٥٧ .

ثالثاً ، تفسير محمد بن يانس .

ذكره صاحب (١) طبقات المشايخ في الطبقة الخامسة التي عاشت بين (٢٠٠ - ٢٢٥ هـ) وأشار إليه ابن الحاج في التفسير (٢) عند الإباضية ، وذكر أن هذا العالم كان مشهوراً عندهم في التفسير ؛ لكنه طرح التساؤلات التالية : هل ترك تفسيراً ؟ وأين هو ؟ وعلى أي طريقة ؟ ، ومن أي مدرسة ؟ ثم يقول : لا علم لنا بشيء من ذلك ، اللهم إلا عن طريق الحدس والتخمين ، ومن المحتمل جداً أن يكون تفسيره قد ذهب ضحية ، وطعمة للتياران مع التراث الفكري الضخم الذي كانت تزخر به مكتبة (المعصومة) بتاهرت في عصر الدولة الرستمية ، وذكره صاحب كتاب الخوارج في بلاد المغرب وقال عنه: ابن يانس ذائع الصيت في التفسير ، ولم يذكر له تفسيراً (٣).

رابعاً ، تفسير أبي المؤتم الصلت بن الخميس العُماني

اشتهر في النصف الثاني من القرن الثالث ، ذكره البرادي ضمن تأليف إباضية المشرق ، وذكر أن له تفسيراً لخمسة آية في الحلال والحرام ولم يقف عليه (٤) . وعده السيابي من فقهاء عمان ، ومشاهيرهم الأجلاء (٥) . وذكره المستشرق (ليفيكي) ، وأشار إلى أن له تفسيراً (٦).

(١) طبقات المفكرين ٢/٢٩٦.

(٢) القرآن ومفسروه عند الإباضية ص ٣٦ .

(٣) الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع للهجرة ، د. محمود اسماعيل عبد الرزاق ط ١ ص ٢٣٣ .

(٤) آراء الخوارج الكلامية - عماد الطائي ٢/٢٩٦ .

(٥) أصناف المساج في تفسير الإباضية من الخوارج - ص ٥٦ .

(٦) مجلة عالم الكتب عدد (١) سنة (١٩٨٤ م) ص ٨٧ موضوع بعنوان (الإباضية في أعمال المستشرق (البولوني نادور ليفيكي) .

خاصها : (تفسير الدراية وكثر العناية في منتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير خمسائه آية) (١).

للعلامة محمد بن الحواري العماني ، من علماء القرن الثالث والرابع للهجرة . والكتاب توجد منه نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية ، وهو مازال . بخط اليد ، يقع في مجلد واحد في (٢٩٦) صفحة ، من القطع الوسط . ولعل هذا الجزء الأول وله تكملة (٢) . أما منهج صاحب هذا التفسير ؛ فإنه يذكر الآية ويشرح مفرداتها ، ويستشهد ببعض الأحاديث التي تختص بالآية ، ويسند ذلك بأقوال الصحابة والتابعين ، وأقطاب المذهب الإباضي ، وعرضه للآيات ، وبيان أحكامها كان سطحياً ، وغير عميق ، فليس فيه مادة فقهية علمية رصينة .

واقف هنا وقفة يسيرة عجلني لأقول لعل هذا التفسير للحواري هو نفسه الذي نسب لأبي المؤثر الصلت بن الخميس ، فكأنه حصل خلط فبعضهم ينسبه للحواري ، وبعضهم ينسبه لأبي المؤثر وهو استاذ الحواري ، فالخلط حصل بين الأستاذ وتلميذه ، والنسخة التي اطلعت عليها تنسب الكتاب للحواري ، والأمر يحتاج إلى بحث وتحقيق .

سارساً : تفسير أبي يعقوب بن يوسف إبراهيم الوارجلاني

(ت ٥٧٠ هـ = ١١٧٥ م) إباضي من أهل المغرب ، ارتحل إلى الأندلس ، وسكن قرطبة ، وفيها حصل علوم اللسان ، والحديث ، والتنجيم وغيرها . له مصنفات عديدة ، وقد ذكره الزركلي في الاعلام ولم يذكر له تفسيراً ، وقد اطلع أبو القاسم البرادي على جزء من هذا التفسير وأعجب به ، ونأسف على فقده ، ووصفه قائلاً : (وجدت في بلاد أريغ سنة ست وثمانين من مائتنا هذه (٣) سفراً في تفسير الفاتحة ، والبقرة ، وآل عمران ، أحسب أنه بخطه ولم أرَ سفراً في تفسير أضخم منه ، لا سمعه اليد ، ولا يوضع إلا في الحجر ، ولم أرَ أبلغ منه في إعراب ، ولا في لغة ، ولا نصريف ، ولا في فقه ، ولا في اختلاف في قواعد الدين ، ولا في غير

(١) قيل إن آيات الأحكام في القرآن قدر خمسائه آيه وغيل أقل وقيل أكثر انظر أحكام القرآن لابن العربي المستعصم للقرطبي ٤٧٩ ، وروضة الناظر لابن قدامة ٣١٩ .

(٢) فقد عُدَّت الآيات التي جاءت في هذه الكتاب فإذا بها لا تتجاوز (١٥٠) آية .

(٣) يقصد المائة الثامنة (٨٦٦هـ) .

ذلك من علوم القرآن ... ، ومن ضعف بخت (١) أهل هذا المذهب التغافل عنه حتى اندرس ، وذهب ولم توجد منه عندهم نسخة واحدة (٢). ولعل مسيرة التفسير عند الإباضية القدامى قد توقفت عند هذا القرن ، وأصابها التدهور ، والضعف ، والجمود ولم تستطع مواصلة مسيرتها حتى جاء عصرنا الحاضر .

خامساً: التفاسير الإباضية الحديثة :

أما التفاسير الحديثة والتي تقدمها الإباضية نموذجاً للتفسير عندهم ، ونضعها بين أيدي قرائها غير تفاسير محمد أطفيش فهي :-

١- تفسير الإمام إبراهيم بن عمر يوض (ت ١٤٠١-١٩٨١م) . وهذا التفسير كان يلقيه الشيخ على شكل دروس . حيث (ظل يفسر القرآن الكريم لأكثر من نصف قرن في مسجد القرارة في وادي ميزاب بالجزائر ، ثم اختتمه سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) . قبل وفاته بقليل) . (٣) وعند اختتامه أقيم له حفل على مستوى الجزائر ، وتفسيره هذا مودع في أشرطة التسجيل ، ويزم مع إخراجة إلى الوجود ، وقد اختير له عنوان (في رحاب القرآن) . ولعله على غرار في ظلال القرآن . وذكره صاحب (٤) القرآن تفسيره ومفسروه عند الإباضية فقال: لقد درس الشيخ التفسير تدريسا وسط المسجد في درس عمومي لكافة المسلمين في البلد ، ولم يؤلفه تأليفاً ، وكان يحضر لدرس الشيخ مئات من مختلف الأعمار ، والطبقات ، وعلى المنبر في مثل هذا المجتمع أن يفيد الكل بحسب مواهبه ومداركه ؛ ولذلك كان الشيخ يتحا في تفسيره جانب الذاكرة ، والاعتبار مبرزاً جانب الهدى والإرشاد ، فيطلب في إظهار جانب التماسك بين القرآن ومتطلبات الحياة المعاصرة ، ومقتضياتها ، ويركز على جانب التربية والتثقيف للإنسان ،

(١) هكذا جاءت هذه الكلمة (بخت) فإن كانت هي المرادة فمعناها (الحظ) لسان العرب لابن منظور ١٠٨/٣ . وقد يكون تصحيحاً في الكلمة وهي في الأصل (بخت) .

(٢) آراء الخوارج الكلامية - ملحق البرادي ٦٩٣/٢ .

(٣) جواهر التفسير الشيخ أحمد الخليلي ٩٣/١ .

(٤) القرآن ومفسروه / ص ٤٣-٤٤ .

وتزكيتة فردا ومجتمعاً بمحاربة الرذائل ، والآفات الاجتماعية، وغرس المكارم والفضائل ، كما يعنى بالجانب المادي بين الناس من حيث المعاملات الجائزة والممنوعة ، خاصة الناحية الاقتصادية، يعرض الشيخ عن المباحث اللغوية والنحوية إلا في بيان بعض النكت في تقديم لفظ على آخر ، أو في استعمال فعل أو حرف بدل غيره ، مما قد يرادفه، أو يظن قيامه مقامه، وطريقته في عرض قصص الأنبياء جمع كل النصوص الواردة في القرآن في خصوص تلك القصة حتى تكتمل أحداثها ، ووقائعها ، يخلو تفسيره من الإسرائيليات ، ويتجنب الإطالة في المسائل الفقهية ، إلا في بعض السور التي قصد منها التركيز على مكاتبة الأسرة والمجتمع، ثم يقوم هذا التفسير فيقول: وإذا صح أن نشاكل تفسير الشيخ يروض المسجل ببعض التفاسير المطبوعة المعروفة من حيث روحه ومنهجه وغاياته، فإننا نشاكلة بتفسير المنار من حيث المنحى الاجتماعي ، والحكمي ، والسياسي ، والاقتصادي، ونشاكلة بالظلال من حيث روحه ، وأثره في إصلاح الفرد بتعميق العقيدة في نفسه، وطبع مكارم الأخلاق في سلوكه ، فردا وجماعة (١) . وهذا بلا شك ، تقييم واسع ، مبني على اطلاع . فهل حضر ابن الشيخ تلك الدروس ، أو أنه تمكن من سماع تلك الأشرطة؟ فلم يوضح لنا على أي مصدر اعتمد في بيان منهج هذا التفسير وتقويمه له .

٢- ومن لهم إسهامات معاصرة في التفسير عند الإباضية ، الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عمان (معاصر) ، فهو يقوم بتصنيف تفسير بعنوان (جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل) صدر منه إلى الآن فيما أعلم ثلاثة مجلدات ، وصل فيها المؤلف إلى تفسير قوله تعالى ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة... ﴾ البقرة (٩٦).

والمجلد الأول صدر عام (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، والمجلد الثاني عام ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، والثالث عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، وقدم له بمقدمة استغرقت نصف المجلد الأول تقريرا، تحدث فيها عن التفسير وعلومه ومسا لكة، ومصادره، وأطواره، ثم أعطى فكرة تناول فيها الإعجاز ووجوهه، وأطال النفس في ذلك . ووقف الشيخ مع كثير من المفسرين أثناء تفسيره، مادحا، أو متعقبا، أو شارحا لأقوالهم ، وعلى رأسهم الزمخشري، وابن عطية ، وأبو حيان ، والرازي ، والأصفهاني، والآلوسي . وأنحى باللائمة على المفسرين السعدثين في متابعتهم للمفسرين القدماء دون تحقيق لأقوالهم ، خاصة القاسمي ، وابن عاشور، ومحمد أطفيش.

الشيخ محمد بن أطفيش ومؤلفاته في التفسير

فسر الإمام محمد القرآن الكريم ثلاث مرات ، وخلف تراثاً تفسيرياً جعله أكثر علماء الإياضية تأليفاً في هذا المجال ، وسأحدث هنا عن أهم كتب التفسير التي تركها الشيخ ، لما لها من أهمية في بيان ما وصل إليه الإياضيون في آرائهم التفسيرية ، فتفسير الشيخ هي النماذج التي تقدمها الإياضية لتفاسيرها . وترتيب هذه التفاسير ، كما رأيتها كالآتي :

أولاً : هميان الزاد إلى دار المعاد.

واللفظ الصحيح لهذا التفسير هو هذا الاسم الذي أثبتته ، لأن كثيراً من الكتب نوره يائين قبل الميم وبمدها (هميان) ، فيكون في الهميم والهمام والجون ، والعشق ، ورجل هميان: محب شديد الوجد (١) . وكثيراً ما ذكره في تفسيره التيسير بلفظه الصحيح وهو هميان بياء بعد الميم وهو بمعنى شداد السراويل . روعاء الدراهم وكبس النفقة (٢) والهميان: تفسير كامل للقرآن الكريم طبع عدة طبعات . قال مقدم هذا التفسير (إن هذا التفسير رأى النور منذ ستة وتسعين سنة عندما طبع الطبعة الأولى في زنجبار سنة ١٣٥٠ هـ) (٣) وهناك خلط في عدد مجلدات هذا التفسير ، فقد ذكر الشيخ (٤) الذهبي - رحمه الله - أنه ثلاثة عشر مجلداً ، وذكر الزركلي (٥) في الإعلام أنه أربعة عشر مجلداً . ويؤكد ذلك صاحب (٦) كتاب القرآن تفسيره ومفسروه أنه يقع في أربعة عشر مجلداً ، يناهز الواحد منها الستمائة صفحة أو تزيد .

وأما النسخة التي اطلعت عليها والموجودة في مكتبة نادي سلطنة عُمان ، فجاءت في خمسة عشر مجلداً ، طبعت سنة (١٩٩١ م) دون تحقيق وهذا التفسير هو أقدم تفاسير الشيخ وأكبرها ، وأول عمل تفسيري قام به ، وكان ذلك في ريعان شبابه (وصغر سنة) كما صرح بذلك في المقدمة ؛ وحوى فيه ما هب ودب استهل الشيخ محمد أطفيش رحمه الله - تفسيره الهميان باليسميه ، والصلاه والسلام على رسول صلى الله عليه وسلم ، ثم حمد لله - سبحانه وتعالى - ، ثم أعلن مذهبه ولخص منهجه قائلاً : (فهنا تفسير رجل يسجني ، اياضي ، وهبي

(١) لسان العرب - ٦٢٦/٢ ، جمهرة اللغة لابن دريد ١٨٢/٣

(٢) القاموس المحيط - القيرورآبادي ٢٨٠/٤ ، تاج العروس - الزبيدي ٢٦٧/٩ وقال ابن دريد في جمهرة اللغة واحسبه فارساً مرة ١٨٣/٣ .

(٣) الهميان ٣/١ .

(٤) التفسير والمفسرون ٢١٦/٢

(٥) الإعلام - للزركلي ١٥٧/٧ .

(٦) محمد ابن الشيخ

يعتمد فيه على الله سبحانه وتعالى ثم على ما يظهر لفكره بعد إفراغ وسعه ولا يقلد فيه أحداً .
إلا إذا حكى قولاً ، أو قراءة ، أو حديثاً ، أو قصة ، أو أثراً لسلف ، وأما نفس تفاسير الآيات ،
والرد على بعض المفسرين ، والجواب فمعه إلا ما تراه منسوباً ، وكان ينظر بفكره في الآية
أولاً ، ثم يوافق نظر جلاء الله والقاضي ، وهو الغالب والمحمد لله - وتارة يخالفهما ، ويوافق
وجهاً أحسن مما أثبتاه أو مثله ، وذلك من فضل الله الكريم ويتضمن - إن شاء الله - الكفاية في
الرد على المخالفين فيما زاعغوا فيه . وإيضاح مذهب الإباضية الرهبية ، واعتقادهم وذلك بحجج
عقلية ، ونقلية (١) . ومما أحب أن ألفت النظر إليه وأقف عنده ، ولا أوافق الشيخ عليه ، ادعائه
أنه لا يقلد فيه أحداً ، ولم يستعن فيه بتفسير ، وأنه يعتمد فيه بعد الله - سبحانه - على فكره
ولتوضيح هذه المسألة أقول : مما لا شك فيه أن جميع المفسرين خاصة المتأخرين قد أفادوا
من كتب وتفسير المتقدمين ونقلوا عنهم فمن المتعارف عليه أن الخلف يأخذ عن السلف ، بل
جعل العلماء من شروط المفسر الاطلاع على ما كتبه غيره . فلا يجوز الخوض في تفسير
القرآن الكريم إلا بعد النظر فيما ذكره من قبله . (وقد شنع العلماء على من يزعم لنفسه
الاستقلال بالتفسير ، ويدعي الاستغناء عن سبق من أقوالهم) . (٢) وقد نقل الزركشي في
البرهان عن القاضي شمس الدين المغوي قوله : (واعلم أن بعض الناس يفتخر ويقول : كتبت
هذا ، وما طالعنت شيئا من الكتب ، ويظن أنه فخر ، ولا يعلم أن ذلك غاية النقص ، فإنه لا يعلم
مزية ما قاله على ما قبل ، ولا مزية ما قيل على ما قاله . فيماذا يفتخر؟) (٣) .

وقال ابن عاشور (والتفسير وإن كانت كثيرة ، فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على
كلام سابق . بحيث لاحظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار ، وتطويل) (٤) .

وتفسير الشيخ محمد أطفيش وجدتها وأنا أعرض غمار بحثها وفيرة النقول عن تفاسير
القذافي ، مليئة بأسماء مفسرين تتلمذ الشيخ على تفاسيرهم . والشيخ وإن كانت يئنه إباضية إلا
أنه أفاد من كتب غيرهم ، وحازت كتب أهل السنة قصب السبق . وهنا يجدر بي أن أضع
احترازاً ، مؤداه أنني لا أنهم الشيخ - رحمه الله - في علمه ، وأمانته ! ولكن الذي يظهر أن
الشيخ لا يعتبر ذلك شيئاً يؤخذ عليه المؤلف . كما هي عادة المتقدمين في النقل أو أنه كانت
تمر به العبارات والجمل أثناء مطالعته الواسعة فيحفظها ويذهل فيما بعد عن نسبتها إلى أصحابها
ظاناً أنه لم يسبق إلى ذلك .

(١) حسان الزراد ٥/١ .

(٢) بحوث في تفسير القرآن الكريم محمد إبراهيم شريف ٥١ .

(٣) البرهان في علوم القرآن الزركشي ١٦/١ نسبة إلى غري مدينة بآذيجان ١٨٢/٥ .

(٤) الصحري والتنوير ابن عاشور ٢/١ .

منهجه في الهميان

درج الشيخ في مقدمة تفسيره للسورة بذكر اسم السورة ، وعدد آياتها ، وكلماتها وحروفها ، وبيان مكيتها ومدنيها ، والاختلاف في ذلك ثم يسوق جملة أحاديث في فضل السورة ومزاياها ، وأحيانا يخص ذلك بآيات بعضها كما فعل في تفسير آية الكرسي ، وأواخر آيات سورة البقرة والذي يسير أغوار هذا التفسير ، لا يجد لصاحبه منهجا ، وأسلوبا واحدا يطلب عليه ، فإنه أحيانا يقدم المأثور ، وأحيانا يبين أسباب النزول ، أو النسخ والمنسوخ ... وهكذا . ثم يخوض في شرح الآيات (فيغرق في المباحث اللغوية والصرفية ، يحاول أن يخرج الآية على كل الوجوه المحتملة في إعرابها ، ويجذبه التخريجات البلاغية في التراكيب المجازية ، والاستعارات يجريها على مختلف الوجوه المحتملة لها) (١) . ويتوسع في المسائل الفقهية ، ويستطرد في آيات معينة إلى مباحث مجالها مدونات الفقه ، ولذلك نجد (كثيرا من المباحث الفقهية برمتها واردة في شرح النبل ، كما هي واردة في التفسير) (٢) . وقد وجد الشيخ المجال واسعا في تفسيره هذا ليث آراء مذهبه ، ويشنع على مخالفه ، كما فعل في أكثر من موضع (٣) وأحيانا يخالف مذهبه كما فعل في قضية الإيمان ، فبعد أن ذكر عدة أقوال وناقشها ، واختار أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب . (يقول : ولست في ذلك قاصدا لمخالفة أصحابنا - رحمه الله - ، ولكن ذكرها أدى إليه اجتهادي) (٤) وقد خلط الشيخ محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون في هذه القضية ، فظن أن الشيخ أطفش قد سائر أهل مذهبه في هذه المسألة ، فقال رحمه الله (إنه يحاول محاولة جلية في تحقيق إن العمل جزء من الإيمان ، ولا يتحقق الإيمان بدونه) (٥) . مع أنه رحمه الله نقل نصا لابن أطفش في سورة البقرة عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ ويشر الذين آمنوا... ﴾ البقرة (٢٥) يدل على أن ابن أطفش يرى إن العمل شرط كمال للإيمان لا شرط صحة ، فلم يجعله جزءا منه . (٦) ولكن الشيخ الذهبي لم تفته هذه فيما بعد ، فتنبه لهذا الخطأ (الفكري) (٧) .

(١) القرآن تفسيره ومفسروه عند الإبانة ٣٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) هيمان الزاد ٦/٣٦١ .

(٤) المصدر السابق ١/١٩٦ وما بعده .

(٥) التفسير والمفسرون الذهبي ٢/٣٢٢ .

(٦) هيمان الزاد ١/٣٦١ .

(٧) الاتجاهات المتحررة في تفسير القرآن ، محمد حسين الذهبي ص ١١١ - ١١٣ .

ونعود إلى منهج الشيخ فرى أنه يهتم بالقصص الغريبة المعجبة ، والإسرائيليات ، مما جعل علماء المذهب الإباضي المعاصر ينتقدونه على ذلك ، بل أنني سأستيق الحديث هنا عن تفسير تيسير التفسير لأقول إن سبب تأليفه كما قال أنه (لما تقاصرت الهمم أن تهيم بهيمان الزاد .. أنشطت عني إلى تفسير يقتبط ولا يعمل) (١) . والذي يفهم من كلامهم الشيخ أنه اشفق من ضخامة الهميان وما فيه فكل من اطلع على تفسيره الهميان ، وغامر بالقراءة فيه ، ينتقد مؤلفه ، ويتمنى أن الشيخ لو لم يفعل ما فعل ، حتى أن الباحثين الإباضيين انتقدوه في صنيعة هذا معنيين ذلك غير مستحقين ، ولم يتفاضوا عن هذا المأخذ ، فهذا الشيخ أحمد الخليلي وهو واحد منهم بأسف لما ملأه ابن أطفيش تفسيره من قضايا يرفضها العقل ، ويصادمها النقل ، ثم يقول : (وكتبه لذلك بنفسه ، وأسف بعد فوات الفرصة ، بسبب انتشار الكتاب ، فاستدرك ذلك بتأليف تفسيرين آخرين خالصين مما يشوب الهميان . أحدهما (داعي الملل ليوم الأمل) ، وثانيهما (تيسير التفسير) . ومن حيث أن الهميان من بواكير عمل مؤلفه رحمه الله ، كانت عنايته فيه بجميع ما قيل قبله أكثر من عنايته بالبحث والتمحيص) (٢) .

ثم يذكر الشيخ الخليلي أنه سمع أن القطب تمنى لو أمكنه جمع نسخ هذا الكتاب لتمزيقها . وعلق على ما سمع بقوله : (هيهات ذلك ، فقد ملك السهم فصله ، بعدما طبع وانتشر في أنحاء مختلفة) (٣) .

فهذه الرواية - إن صححت ، وليس هناك ما يعدها من الصحة - تدل على مدى ما وصل إليه الشيخ ابن أطفيش من نقده لكتابه . ولعل ثقافة الشيخ الواسعة ، وقوة حافظته ، وإطلاعه على كثير من العلوم - فقد كان عالما موسوعيا بمعنى الكلمة - كل ذلك أغرى الشيخ بالخوض في موضوعات ليس لها علاقة بالتفسير ، لا من قريب ولا من بعيد ، ولو اقتصد الشيخ لأعفى نفسه من كثير من الحرج .

(١) تيسير التفسير ٧/١ .

(٢) جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل الشيخ أحمد الخليلي . ١/ ٢٢ .

(٣) جواهر التفسير ١/ ٣٧ .

ثانياً: تفسير داعي العمل ليوم الأمل.

وهو تفسير غير كامل للقرآن الكريم ، يبدأ من سورة الرحمن إلى سورة الناس ، وهو ما زال مخطوطاً بخط المؤلف ولم يطبع.

وقد اطلع الشيخ الذهبي على أجزاء من هذا التفسير ، فأدع الكلام له حيث يقول رحمه الله : (وأما تفسير داعي الأمل ليوم الأمل ، فلم يتمه مؤلفه ؛ لأنه عزم على أن يجعله في اثنين وثلاثين جزءاً ، ثم عدل عن عزمه هذا ، واشتغل بتفسير هميان الزاد إلى دار المعاد.

وقد أطلعني محدثي على أربعة أجزاء من تفسير داعي العمل ، في مجلدين مخطوطين بخط المؤلف ، أما أحد المجلدين : فإنه يحتوي على الجزء التاسع والعشرين ، والجزء الثلاثين من أجزاء الكتاب ، وهو يبدأ بسورة الرحمن ، وينتهي بآخر سورة التحريم . وأما المجلد الثاني : فإنه يحتوي على الجزء الحادي والثلاثين ، والجزء الثاني والثلاثين وهو يبدأ بسورة تبارك ، وينتهي بآخر القرآن . وقد وجدت بالمجلد الأخير ورقات فيها تفسير أول سورة (ص) ويظهر . كما قال محدثي - ان المؤلف قد ابتدأ تفسيره هذا بسورة الرحمن إلى أن انتهى إلى آخر سورة الناس ، ثم بدأ بسورة (ص) ووقف عندها ولم يتم (١) . وقد جعلت هذا التفسير ثاني تفاسير الشيخ ، ووسطه بين الهميان والتيسير ، لأنه بدا لي أن الشيخ أطفش قد صنف أولاً الهميان ثم اشتغل بداعي العمل ولم يتمه ثم بدأ بالتيسير خلافاً لما قاله الشيخ الذهبي حيث جعل داعي العمل أول تفاسير الشيخ دون بيئة على ذلك وخلافاً لما قاله ، بعض المترجمين للشيخ من أن داعي العمل هو آخر تفاسير محمد أطفش . والدليل على ما ذهبت إليه ، أن الشيخ نفسه في مقدمة التيسير عند بيانه سبب تأليفه للتيسير ، أبان أن الهمم قد تقاصرت عن الهميان ، وتكاملت عن داعي العمل ، وذكر الشيخ أطفش في ثانياً نفسه ، أنه قد مضى من البعثة النبوية إلى زمن تأليفه للتيسير ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرون سنة ، والشيخ توفي سنة ألف وثلاثمائة واثنان وثلاثون ، فما بين تأليفه ووفاته عشر سنوات .

ثالثاً: تيسير التفسير:

هذا التفسير هو آخر تفاسير الشيخ ، فيه النسخة الأخيرة من أنفاسه ، والومضة الأخيرة من فكره ، والنزعة الأخيرة من تيسره ونسبه له ، وهو الذي بين يدي ، أتصدى لبیان منهجه ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم ، طبع عدة طبعات ، وصدرت الطبعة الأولى منه بين سنتي ١٢٢٥ - ١٢٢٧ هـ في بلاد المغرب بالخط المغربي وبين تصنيفه وطبعه ستان تقريباً .

(١) تفسير والمفسرون ٣١٦/٢.

وبعد أن أصبح اقتناؤه غير ميسور ، قامت وزارة التراث القومي والثقافة العمانية بإعادة طبعة ، وصدر بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م) . وجاءت هذه الطبعة في خمسة عشر مجلدا ، ومما يؤسف له أنها طبعت بلون تحقيقي أو ترتيب أو عناية ، وبلغت صفحات هذا التفسير (سبعة آلاف وثلاثمائة واثنان وثمانون صفحة) (٧٣٨٢) صفحة .

سبب تأليفه :

ذكر الشيخ في مقدمة هذا التفسير التي لا تتجاوز نصف صفحة، السبب الذي دفعه إلى تصنيف هذا التفسير فقال: (فإنه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهميان الزاد إل دار المعاد الذي ألفت في صغر السن، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل ، أنشطت هممي إلى تفسير يغبط ولا يمل ، فإن شاء الله قبله يفضله وأتمه قبل الأجل) . (١) وقد أشرت من قبل إلى أن الشيخ أشفق من ضخامة الهميان، وأحس بأنه أثقل على الهمم بما ملأه به ، وأدرك أن تجربته في الهميان لم تلق حظها من القبول - حتى ولو بين أتباع المذهب - .

فقد ألفه قبل أن تكتمل مواهبه وولع بالكم وأغفل الكيف، وتوغل فيه، وأدرك أنه قد تعرض لهذه الأسباب وغيرها، كان لا بد من إعادة النظر . فقصده إلى طريقة التعديل والاجتزاء ، والتخفيف والاختصار ، خاصة على طلبة العلم الإياضي وكم وعد الشيخ تلامذته، وبشرهم بقدوم تفسير جديد، حيث قال في كتابه كشف الكرب أثناء حديثه عن الأخذ بروايات المخالفين للمذهب حين مثل : هل يجوز إدخال مسائل قرمنا في كتبنا ؟ ، فأجاب قائلا :

(المنع . ولكم والحمد لله الرحمن الرحيم من تفسير المذهب ما يغنيكم إن شاء الله عن تفسير غيره ، فإن ذكرت مذهبيهم فإما لأرده ، وإما لأنه حق ، وقد اعتقدناه قبل أن نراه ، ولست مقلدا لأحد ولا سيما التيسير الذي قرب إن شاء الله الرحمن الرحيم كماله ، والله ما ذكرته إلا لترغبوا فيه لأنه غير طويل ، بل متوسط مع جمعه ما ليس في المخطولات والحمد لله) (٢) . لهذا السبب، وللسبب الذي ذكره في المقدمة يتجلى لنا الهدف من تأليفه هذا التفسير ، والذي يفهم من كلام الشيخ أن هذا التفسير والذي سماه تيسير التفسير هو تفسير جديد، يختلف عن التفسيرين السابقين . ولكن الشيخ محمد حسين الذهبي يرى أن تيسير التفسير هو خلاصة ما في الهميان حيث يقول : (.. وأما تيسير التفسير ، فهو في الحقيقة خلاصة لما تضمنه هميان الزاد، فلم يكن الكلام عنه بمعطينا فكرة جديدة عن التفسير عند الإياضية ، أو عند مفسره على الأقل) (٣)

(١) تيسير التفسير ٧/١

(٢) كشف الكرب ٩٥/١

(٣) التفسير والمفسرون - ٣١٨/٢

ولعل ما ذهب إليه الشيخ الذهبي لا يصح ولا يستقيم - ونقدم قبل ذلك اعتذاراً من الشيخ الذهبي من أن نوافقه فيما ذهب إليه ، فقد تسرع في إصداره الأحكام على هذا التفسير دون تحقيق ، أو تمحيص ، أو دراسة كافية . ولا أظن أن الشيخ الذهبي قد عقد مقارنة بين التفسيرين ، وقابلهما مع بعضهما البعض ، واستقرأهما غاية الاستقراء ، وإلا لما أصدر هذا الحكم . فالذي يحاول أن يقارن بين التفسيرين يجد بينهما فروقا واضحة في الشكل ، والمضمون ، والأسلوب دلالة على أنه تفسير جديد كما أشار إلى ذلك مؤلفه . عندما رأى جفاء أهل زمانه (للهيمان) عبد إلى التيسر والتسهيل ، وحاول أن ينزل إلى مستوى أهل زمانه ، وبالمج ما وصلت إليه الأمة من ضعف ، ويدعو إلى مقاومة الاستعمار ، وبذ الفرقة ، والتخلي عن كثير من قيود التقليد ، والتعصب المذهبي . ويبحث فيه أطراً جديدة لم يتطرق إليها في الهيمان وقد اشتهر التيسر شهرة واسعة أكثر من (الهيمان) ، وأصبح في متناول الأيدي ، وبين طلبية العلم .

وأخيراً فإن التفسير الذي بصغه الفتى انشاب الناشئ ، والذي يريد أن يظهر فيه ما لديه من ثقافة عالية ، فيجمع ما يستطيع جمعه ، يختلف عن تفسير صنفه ذلك الشيخ الذي عرك الحياة ، ولمس تقاصر الرغبات عن المطبوعات ، وأصبح على مستوى رفيع من العلم ، والفكر الناضج ، والأسلوب المتروى المتميز .

وبعد فهذا عرض سريع ، وإيجاز لرصد جهود الإباضية في التفسير منذ اكتمال نشأتهم ، وتأصيل مذهبهم إلى يومنا هذا .

وهذه هي أسماء مؤلفاتهم ومؤلفيهم ، والتي استطعت أن أعتز عليها بعد أن تصفحت كتب القوم خاصة ، وكتب الفرق ، وطبقات المفسرين عامة ، فلم أجد إلا ما ذكرت ، وأحسب أنني قد أتيت بها ولم أغادر منها شيئاً ، ولا أظن أنه قد ذكر أكثر من هذا .

وهي كما ترى تعاني من نقص في انكم ، ، وقلة في المطبوع ، وأكثرها غير موجود ، ولم يطبع منها سوى القليل والباقي أنت عليه عواذي الزمن ، ولم يبق إلا أسماءها ، وأوصافها عنى ألسنة المؤرخين ، والمترجمين والله أعلى وأعلم .

الفصل الرابع

**دراسات فح المنهج العام لهذا التفسير
وفيه المباحث التالية :**

المبحث الأول :

مصادر الشيخ في تفسيره

المبحث الثاني :

موقف الشيخ من المفسرين السابقين .

المبحث الثالث :

منهجه العام .

المبحث الرابع :

التفسير بالمأثور

المبحث الخامس :

موقفه من الإسرائيليات .

المبحث السادس :

اهتمامه بالأمور التاريخية .

٣- تفسير القشيري

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري المعروف بأبي القاسم القشيري ت ٤٦٥ هـ ، وتفسيره (لطائف الإشارات) ، وهو تفسير صوفي للقرآن الكريم وهو مطبوع (٣١٦/٣ ، ٣٨٨/٦) .

٤- تفسير البغوي

الحسن بن مسعود بن محمد البغوي ، ت ٥١٠ هـ . وتفسيره يسمى (معاني التنزيل) وهو مطبوع ومتداول (٨٨/٨) .

٥- تفسير الزمخشري

أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر إمام المفسرين البياضيين (٩/٣٠٦٨ ، ٥١٤/٣)

٦- تفسير ابن عطية: - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن أبي بكر الغرناطي ، ت ٥٤٦ هـ . وتفسيره يسمى :-

(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) . طبع منه ثلاثة عشر مجلداً (٧/٤٣٣ ، ٢٤/٨) .

٧- تفسير الرازي: - فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن البكري المعروف بالفخر الرازي صاحب (التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب) (١١/٤٦ ، ٩٩/٧) .

٨- الفتوحات المكية لابن عربي محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الأندلسي المعروف بابن عربي المالكي الصوفي ، ت ٦٣٨ هـ . الكتاب مطبوع ومتداول (١٢/٢١٣ ، ٧/٣١٣) (٦/٢٨٢) .

٩- تفسير القرطبي: - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ت ٦٧١ هـ (١/٤٢٧ ، ٧/٢٥٤) .

١٠- الانتصاف لابن المنير: أحمد محمد بن المنير الأسكندري المالكي ، ت ٦٨٣ هـ . اسم الكتاب ، (الانتصاف من الكشاف) (٥/٤٦٧ ، ١٠/٧٨) .

١١- تفسير ابن جزي:-

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي المالكي ، ت ٧٤١ هـ ، وتفسيره يسمى (التسهيل لعلوم التنزيل) ، مطبوع ومتداول (٩/٩٢) .

١٢- تفسير البحر المحيط :-

أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي المعروف بأبي حيان ، أحد أئمة التفسير ،

ويسمى تفسيره (البحر المحيط) ، وهو مطبوع ، وله تفسير آخر وهو (النهر المارد) . والشيخ ينقل عن كلا : التفسيرين ، وكثيراً ما يقول كما جاء في نهر أبي حيان وبحره (٢٦٧/١) ، (١٠٧/٦).

١٣ - تفسير ابن كثير :-

للإمام الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤ هـ ، (٤٧٤/٧) ، (١٤٣/١١)

١٤ - حاشية التفزاني على الكشاف :-

السعد التفزاني مسعود بن عمر وهو عالم بالعربية ، والمنطق ، ت ٧٩٣ هـ ، والكتاب مخطوط ، ومنه نسخة في مكتبة الأزهر تحت رقم (١٨٠٤) (٣٣٦/٢ ، ٣١٤/٥).

١٥ - تفسير السيوطي :-

جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيرطي ، ت ٩١١ هـ ، وتفسيره يسمى (النور المشورقي التفسيري بالمأثور) (٤٣٩/٧ ، ٤٨٠/٧)

١٦ - حاشية عصام الدين علي البضاوي :-

عصام الدين ابراهيم بن محمد بن عرب الاسفرايني ت ٩٤٣ هـ ، والكتاب مخطوط ، ومنه نسخة في الأزهر ، ونسخة في الرباط ، ونسخة في كوبريلي ، وللشيخ شرح على هذه الحاشية (١١/٨).

مصاحفه في القراءات

عني الشيخ بالقراءات عناية فائقة وأشار في صفحات كتابه إلى الكثير منها ونقل عن أصحاب هذه القراءات ولعله نقلها بواسطة كتب أخرى ، وذكر من اشتهر منهم ومن أهم الكتب التي ذكرها :

١ - المقنع الداني :-

عثمان بن سعيد القرظي المشهور بأبي عمر والداني ، ت ٤٤٤ هـ ، وكتابه يسمى (المقنع في رسم المصاحف ونقطها) أشار إليه الشيخ باسم الإقناع. (٤٢٢/٤).

٢ - حرز الأمانى للشاطبي :-

ولي الله أبو القاسم بن فير - بكسر الفاء وسكون الياء - الدرعبني ت ٥٩٠ هـ ، وكتابه يسمى (حرز الأمانى ووجه التهاني) وهي أرجوزة في القراءات . مطبوعة (٤٢٢/٤).

٣ - جمال القراء للسخاري :

علم الدين علي بن محمد المصري الشافعي شيخ القراء ت ٦٤٣ هـ ، وكتابه يسمى (جمال القراء وكمال الإقراء) ، (٢٧٧/١٣) .

مصادره من مقتبـ الـحديث وسـرواها

ذكر الشيخ محمد أمفيش في تفسيره هذا ثروة ضخمة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى شغلت مساحات شاسعة ، واشتملت على أغراض شتى ، وكان رائده في ذلك مصنفات أهل السنة كما أشار إلى ذلك عند تفسيره لسورة الاحزاب فقد أورد حديثاً رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ثم قال : رأى مالكى عالم من أهل مكة (مضياً) ينسخ شرح النبيل في مكة ولم يجد فيه الحديث كثيراً فأعطاني البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي وأبا داود وغير ذلك وأنا حاضر في مكة فانتفعت بتلك الكتب كما انتفعت بصحيح الربيع بن حبيب فجمعت منها وفاء الضمانه ، وجامع الشميل وما خالفونا فيه أولته ٢٠١/١٠ . ومن أهم هذه المصنفات التي اعتمد عليها في ذلك ما يلي :-

١- مسند الربيع بن حبيب : أبو عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي ت ١٧٠ هـ : تقريباً . والمسنـد هو عماد الأباضية في الحديث ، ويقـد مـونه على الصحيحين ، قال عنه أحد علمائهم وهو محقق الكتاب : (وهو أصح كتاب بعد القرآن العزيز ، وأطلقوا عليه صحيح الجامع ، وهو مطبوع ، ومنه نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية (١١٩/٢ ، ٤٦٣/٦) .

٢- الموطأ :- للإمام مالك بن أنس الاصبـحي ت ١٧٩ هـ (١٩٨/٦) .

٣- مصنف ابن أبي شيبة :- أبو بكر عبد الله بن محمد القاضي أبو شيبة ت ٢٣٥ هـ ، ٤٧٠/٧ .

٤- الزهد :- للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني ت ٢٤١ هـ ، (٤٧٠/٧)

٥- مسند الإمام أحمد :- والكتاب من أجمع كتب الحديث النبوي يشتمل على ثمانية عشر مسنداً ، وجمع فيه ما يزيد عن ثلاثين ألف حديث ، فيها الصحيح ، والضعيف . الرسالة المستطرفة ص ١٤ (١٤٢/١) .

٦- مسند عبد بن حميد :- أبو محمد عبد بن نصر ، من حفاظ الحديث ، ت ٢٤٩ هـ . والكتاب مطبوع .

٧- صحيح البخاري :- الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، ت ٢٥٦ هـ . وكتابه أصح كتاب بعد كتاب الله . بلغت شروحه أكثر من اثنين وثمانين شرحاً . الرسالة المستطرفة ص ٩ (٣٨١/١) .

٨- صحيح مسلم : - للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٦١ هـ. وكتابه يعد ثاني الكتب الستة . (٣٠٩/١) .

٩ - سنن ابن ماجه : - أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني ، ت ٢٧٣ هـ . (٢٠٤/١١) ١٤٤/٧ .

١٠ - سنن أبي داود : - سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ت ٢٧٥ هـ . وهو أحد الكتب الستة . (٢٠١/١٠) .

١١ - سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن مودة السلمي ، ت ٢٧٩ هـ . وهو أحد الكتب الستة . (٤٣٨/١) .

١٢ - سنن النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن الأشعث النسائي ت ٣٠٣ هـ .

١٣ - المعجم الأوسط للطبراني : أبو القاسم سلمان بن أحمد الطبراني ، من حفاظ الحديث ، ت ٣٦٠ هـ . والكتاب مرتب على شيوخ الطبراني في الحديث ، طبع قسم منه (كشف الظنون ١٧٣٧/٢) (١٣/٢) .

١٤ - المستدرک للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري ، ت ٤٠٥ هـ . والكتاب مطبوع باسم (المستدرک على الصحيحين) (٧٤/٦) .

١٥ - سنن البيهقي أحمد بن الحسن بن علي الشافعي البيهقي ، ت ٤٥٨ هـ . وكتابه هذا يعرف بالسنن الكبرى . (الرسالة المستطرفة ٢٦) (١٠٧/١٠) .

١٦ - مسند الفردوس - للدبليبي شبرويه بن شهريزاد أبو شجاع الديلمي ، عالم بالحديث ت ٥٠٩ هـ . والكتاب مطبوع باسم (فردوس الأخبار) (٢٦٢/١٥) ١٨٣/٣ .

١٧ - الجمع بين الصحيحين للأصيلي : أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأصيلي ، ت ٥٨٢ هـ ، (١٠٧/١٠) .

١٨ - موضوعات ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ، ت ٥٩٧ هـ . والكتاب مطبوع في الحكم على الأحاديث . (٧٤/٦) .

١٩ - فتح الباري : لابن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢ هـ . والكتاب شرح لصحيح البخاري . (٥٣/١٥) .

٢٠ - الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر . والكتاب مطبوع على هامش الكشاف (٦٧/٩) .

٢١ - اللآلئ المصنوعة - للسيوطي : ت ٩١١ هـ .

والكتاب تلخيص لكتاب ابن الجوزي (الموضوعات) ، جمع كلام الحفاظ في تلك

الأحاديث (الباعث الحثيث ٧٥) (٤٤٧/٦).

٢٢ - وفاة الضمانة بأداء الأمانة في فن الحديث للشيخ محمد أطفيش ت ١٣٣٢.

والكتاب مطبوع في جزأين (٢٤٤/١٥).

٢٣ - جامع الشمل في حديث خاتم الرسل

للشيخ محمد أطفيش والكتاب مطبوع في جزأين (٢٤٤/١٥).

مصادره في اللغة ومعاني القرآن

لجأ الشيخ محمد أطفيش إلى كتب اللغة ، واعراب القرآن ، ومعانيه يستأنس بها على توضيح الآيات واعرابها وبيان غريبها . ومن أبرز المصادر اللغوية والنحوية التي اعتمد عليها في تفسيره ما يلي :-

١ - الكتاب لسيبويه عمرو بن عثمان قنبر امام النحو ت ١٨٠ هـ .

وكتابه يسمى (الكتاب) ، (سجل فيه أصول النحو ، وجمع أقوال من تقدمه من العلماء ، وزاد عليه ما استنبطه بنفسه ، (المدارس النحوية شوقي ضيف ص ٦) مطبوع (١٢/١).

٢ - معاني القرآن للفراء أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله النحوي الكوفي المعروف بالفراء . ت ٢٠٧ هـ ، (١١٨/٨).

٣ - مجاز القرآن لأبي عبيدة . معمر بن الحشبي التميمي النحوي ت ٢٠٩ هـ ، وكتابه مطبوع . (٤٨٦/٧).

٤ - معاني القرآن للأخفش . سعيد بن مسعدة أبو الحسن المعروف بالأخفش الاوسط ت ٢١٥ (٤١/٥).

٥ - أمالي ثعلب في النحو . أحمد بن يحيى بن يزيد أبو العباس ت ٢٩١ هـ . (٣٣٥/٦).

٦ - معاني القرآن للزجاج .

ابراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج ت ٣١٢ هـ ، (٣٦/٢).

٧ - أمالي القالي : لأبي علي اسماعيل بن القاسم بن هارون القالي البغدادي ت ٣٥٦ هـ . (٣٨٨/٦).

٨ - تهذيب اللغة للأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري الهروي ت ٣٧٠ هـ . (٣٢٠/١٢).

٩- الحجة لأبي علي الفارسي ، الحسين بن أحمد بن عبد الغفار ت ٣٧٧ هـ
(١٨٨/١)

١٠- الصحاح للجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٣ هـ
(١٠١/١) والكتاب معجم لغوي.

١١- المخصص لابن سيده : أبو الحسين علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده. نحوي ، ت ٤٥٨ هـ ، (٣٢٠/١٢).

١٢- دلائل الأعجاز :- لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الشافعي النحوي ، (٢٣٥/٦) ٤٢/٤.

١٣- إعراب القرآن للعكبري :-

لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، ت ٦١٦ هـ ، (٤٥١/٧) ك.

١٤- شرح ألفية ابن معطي :-

بهي بن عبد المعطي الزواوي المغربي الحنفي المعروف بابن المعطي ، ت ٦٢٨ هـ
(٢٠٠/٧).

١٥- شرح التسهيل للعرادي :- الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي، ت ٧٤٩ هـ ،
والكتاب شرح لكتاب :- (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو) لابن مالك،
(١٥٩/٦).

١٦- شرح الدماميني علي المقني :- محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي ، ت ٨٢٧ هـ ، وله شروح ثلاث علي مقني اللبيب، كشف الظنون ١٧٥٢/٢ ، وذكر الشيخ الذي
الفه في الهند (٤٥١/٧).

١٧- بيان البيان في علم البيان :- كتاب للشيخ أطفيش ، وهو في علم البيان (١١٨).
ومن ذكرهم الشيخ واستفاد من مصنفاتهم واعتمد عليهم ، وأخذ من أكثر من
مصنف لهم، وهم أئمة اللغة. ومنهم :-

١- الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن الفراهيدي ، ت ١٧٠ هـ . صاحب العروض ،
وواضع منهج النحو له (معجم العين في حصر اللغة) و (لامات الخليل) (٤/٢) .

٢- قطرب : محمد بن المستير بن أحمد ، اللغوي المشهور بقطرب ، ت ٦٠٢ هـ. له
معاني القرآن، والعلل في النحو ، والاشتقاق والقوافي (٣٨١/٧).

٣- المبرور : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس النحوي ، ت ٢٨٦ هـ ،

وصاحب كتاب : - (المقتضب في مسائل النحو والصرف) ، و (الكامل في الأدب) ،
(الحروف) ، (٤١٤/١) (الفهرست ٨٨) .

٤- ابن الأنباري محمد بن القاسم أبو بكر ت ٣٢٨ هـ ، من مشاهير من أُلّف في
اللامات ومواقعها في القرآن الكريم ، وشرح مسائل نحوية لمختلف النحاة (٣٢٥/٦) .

٥- ابن مالك جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن مالك الطائي
النحوي ت ٧٦٢ هـ . له عدة مصنفات منها : (الكافية) وهي منظومة في النحو والصرف ،
وله جامع النحو وسماه : (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) (٤٥/٢) .

٦- ابن هشام أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ، ت
٧٦١ هـ وله (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ، (أوضح المسالك إلى الفقه ابن مالك) ،
وله (ثمرات الذهب في معرفة كلام العرب) (١٦٧/٧) .

مصاحفه فقه الفقه.

لم يذكر الشيخ محمد أطفيش مصادر كثيرة في الفقه ، ولكنه كان يكفي بذكر
الاختلافات الفقهية بين المذاهب الأربعة ، والظاهرية ، والإباضية ، وأقوال الصحابة والتابعين .
أما أهم الكتب التي أوردتها فهي : -

١ - المبسوط للسرخسي : - تأسس الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن مهمل
السرخسي ، ت ٤٨٣ هـ . وهو كتاب في الفقه الحنفي ، (٣٥٢/١٣)

٢ - حاشية الجمل على شرح المنهج : - سليمان بن عمر بن منصور العجلي
المعروف بالجمل ، ت ١٢٠٤ هـ .

والمنهج : - كتاب في الفقه الشافعي للشيخ زكريا بن محمد الشافعي ، ت ٩٢٦ هـ ،
(٣٠٨/١٠) .

٣- شرح النيل وشفاء العليل للشيخ محمد أطفيش : -

وأنيل : - كتاب في الفقه الإباضي للشيخ عبد العزيز الثميني ، والكتاب عمدة
الإباضية في الفقه . ومطبوع ومحقق في ١٧ مجلدا (٢٧٦/٢) .

٤- قناطر الخيرات : -

لإسماعيل بن موسى الجيطالي (إياضي) عاش في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة . وكتابه مطبوع وتوجد منه نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية (٣٠٠/٤) . ومن ذكرهم الشيخ من أئمة المذهب الاباضي واستفاد من آرائهم الفقهية : أبو عمار عبد الكافي صاحب الموجز ت ٦٠٠ هـ (٣٣٦/٢) ، أبو يعقوب الوريثاني (٣٦٠/١٠) .

مصادره في السيرة والمغازي والتاريخ

تطرق الشيخ أطنيش في تفسيره إلى التاريخ ، وأفاد من بعض مصادره ، ومن أهم الأعلام الذين اعتمد على مصنفاتهم في تحرير حوادث السيرة النبوية الشريفة ، وسير الماضين

١- مغازي ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق بن يسار المصلي ولأ ت ١٥١ هـ (٤٦٥/٥) .

٢- طبقات ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري . كاتب الواقدي ت ٣٠٣ هـ (٣١٠/١٢) ..

٣- مروج الذهب - المسعودي -

لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ، من أشهر المؤرخين ، ت ٣٤٦ هـ (٤٧٧/٧) .

٤- الاستيعاب - لابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد الله الغرناطي ، ت ٤٦٣ هـ . والكتاب في تراجم الصحابة ، (٣٤٤/٢) .

٥- مقدمة ابن خلدون :-

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ت ٨٠٨ هـ (١٩/١٣) .

٦- كتاب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى

لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري والكتاب مطبوع (٢٠٠/١٠) .

المبحث الثاني : موقف الشيخ من المفسرين السابقين :-

من الطبيعي والباحث يرجو تبيان منهج الشيخ محمد أطفيش أن يقف على هذه القضية . لقد تبين آنفا عند الحديث عن مصادره في التفسير أن الشيخ استطاع أن يفيد ، وأن يطلع على مصادر تفسيرية متنوعة صنفت قبله ، واشتهرت وذاع شأنها .

وهذا يعد مفخرة لكل من وليح باب التفسير ، وخاض في لججه ، لما فيه من الاطلاع على التراث التفسيري الضخم الذي خلفه أمتا ولما فيه من إنصاف الآخرين ، والتجافي عن التحيز . فلا ينظر المفسر لكتاب الله نظرة خاصة تصدر من زاوية ضيقه ، أساسها التباين المذهبي الذي يجب أن يبدل ستاره ، خاصة في تفسير كتاب الله عز وجل .

والمطلع على هذا التفسير يجد أن الشيخ قد وقف مع المفسرين مواقف متعددة ، وتعامل مع تفاسيرهم على أنحاء متفرقة . والباحث وهو يشير إلى مدى تأثير الشيخ بمن سبقه ، وكيف تعامل مع تفاسيرهم إنما يلتزم الاختصار ما أمكن ، إذ لا سبيل إلى حصر هذا العدد الهائل من كتب المفسرين المتقدمين الذين نقل عنهم .

ولا أرى في ذلك هضمًا ولا بخسًا لحقوق من لم أذكر للسبب الذي ذكرته آنفا ، ولأن الهدف هو إبراز معالم شخصية الشيخ التفسيرية، وتحديد منهجيته ، ومدى تأثيره بمن سبقه من المفسرين ، يقول الشيخ الذهبي عنه :

(إن الرجل وقد قرأ الكثير من كتب التفسير - تأثر بما فيها ، واستفاد الكثير من معانيها) (١) .

أما أشهر كتب التفسير التي تأثر بها الشيخ أطفيش ، واستفاد منها في مجالات متعددة منها :

١- تفسير الطبري : المسمى جامع البيان في تفسير القرآن . وهذا التفسير من أجل كتب التفسير ، وأجمعها لأقوال الصحابة والتابعين . وقد أفاد منه كل من جاء بعده .

والشيخ محمد أطفيش قد تأثر بهذا التفسير شأنه في ذلك شأن غيره من المفسرين ، فهو عمدة الشيخ في الروايات التي رواها عن الصحابة والتابعين ، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات تفسير محمد أطفيش إلا وينقل فيها روايات عن الطبري دون أن يمزجها إليه ، إلا في القليل النادر . منها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ تَرَدُّعُونَ ﴾ . سورة الواقعة آية (٦٤)

(١) التفسير والمفسرون ٢/ ٣٢٠ .

فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا يقولن أحدكم زرعتم ولكن حرثتم] (١) قال أبو هريرة ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونوه أم نحن الزارعون ﴾ رواه الطبري وغيره . ويستحب للزارع أن يستعين بالله من الشيطان الرجيم ، ويقرأ الآية ، ويقول الله تعالى الزارع ، الثبت (٢) ، والمبلغ ، اللهم صلى على سيدنا محمد ، وارزقنا ثمره ، وجنبا ضرره ، واجعلنا من الشاكرين . ثم يقول : قال الطبري بلفظه وقد ظفرت بنسخة من تفسيره بخط اليد المشرقي . وأحيانا ينقل عن الطبري توضيح عبارات مبجلة فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ والذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ . المخرج آية (٢٣) يقول : قال أبو جعفر : المراد في الآية صلاة النفل مطلقا (٣) . وأحيانا يتعقب الطبري ولا يرتضي قوله ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ سورة البقرة آية (١١٠) . فبعد أن ذكر شيئا من تفسير الآية قال : رزعم الطبري أنها كفارة لصلاتهم إلى قول اليهود راعنا . وهو مردود (٤) . وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ... ﴾ مريم (١٥) . قال : أمان عليه من الله من أن يمس الشيطان كما يمس كل من ولد ، كذا قال الطبري ، وأقول : بل التحية المتعارفة من الله تشريفًا له في وقت أحوج ما يكون إليها ، ثم رأيت لابن عطية ، ويدل له حديث لأحمد عن الحسن أنه التقى عيسى ويحيى ، فقال لعيسى : أدع الله لي ، أنت خير مني فقال عيسى : ادع الله لي ، أنت خير مني مسلم الله عليك ، وأنا سلمت على نفسي (٥)

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٩٨/٢٢ ، واليزار (١٢٨٩ كشف الاستار) وابن حبان (٥٧٢٣) ٣٠/١٣ ، والبيهقي في السنن ١٣٨/٩ ، وابو نعيم في الحلية ٢٦٨/٨ .

وكلام الشيخ لأطيش يروى أن قول : ويستحب للزارع أن يستعين بالله ويقرأ .. من كلام الإمام الطبري ، والحق أن كلام الطبري لقطع عند نهاية الحديث ، بعد قول أبي هريرة . وقد لورد الأكرسي هذه الرواية ونسبها لقاسم بن أصبغ القرطبي - روح المعاني ١٤٨/٢٦ .

(٢) تفسير الطبري ١١٤/٢٧ .

(٣) تيسر التفسير ١٤٦/١٤ ، وعند مراجعة هذه الآية في تفسير الطبري لم أجد مانسبه إليه وإنما ذكر الطبري عدة أقوال ولم يرجح شيئا منها ٤٩/٢٩ - ٥٠ .

(٤) تيسر التفسير ٩١/١٣ ولم يبين لماذا رده أماما قاله الإمام الطبري فهذا نعمه : وإنما أمرهم . جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به ليظهروا بذلك من الخطأ الذي سلف منهم في استصحابهم اليهود وكون من ركن منهم إليهم من كان جفا منهم في عطايه صلى الله عليه وسلم بقوله راعنا .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٤/١٦ ، والإمام أحمد في الزهد ١٢٢ ، وذكره ابن كثير في تفسيره وسكت عنه ١٠٤/٣ وذكره السهول في الدر المنثور وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد ، كلهم يروونه عن الحسن والحسين هو البصري وهو تابعي فكيف يحدث بهذا الأمر القبيح دون أن ينسبه إلى أحد من الصحابة ؟

٢- تفسير الكشاف للإمام الزمخشري : لقد أفاد الشيخ محمد أطفيش من تفسير الزمخشري أيما إفادة ، ونقل عنه نقلاً غير حرفي ، فكان الشيخ يتصرف في عبارات الزمخشري بالزيادة أو النقص ، فاعتماد الشيخ على الزمخشري واضحاً جداً حتى يمكن القول : إنه لا توجد سورة ولا آية إلا وكلام الزمخشري إمامها ورائدها .

ومع هذا فإن الشيخ أطفيش كان أحياناً يبدى معارضة شديدة لبعض مواقف الزمخشري ، وتأويلاته الاعتزالية التي لا تتفق ومذهب الشيخ ، فيقف معها ناقداً ورافضاً . ولما أسلفته آنفاً فلن أعرض شواهد لما نقله الشيخ وعزاه إلى الزمخشري ، ولكن سأعرض لبعض النماذج التي تتبع فيها الشيخ الزمخشري وانتقده وهي كثيرة . ومن الشواهد على تتبع الزمخشري ما ذكر عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً ﴾ الأنعام آية (١٠٧) . حيث قال : لو شاء الله - سبحانه - عدم إشراكهم لم يشركوا وفيه دليل على أن الله أراد كفر الكافر وأنه لا يريد إيمانه وهذا مذهبنا ومذهب الأشعرية رد على المعتزلة ، وزعم الزمخشري أن المعنى لو شاء مشيئة إكراه ألا يشركوا لم يشركوا ، وأن مشيئة الاختيار حاصلة ألبته ، وهذا خلاف الظاهر فلا يقبل ؛ لأن شرط المشيئة بعد لو يؤخذ من جوابها وليس في الجواب ذكر الإكراه ، فلا يقدر في الشرط ، وفي الآية أن مراده تعالى واجب الوقوع فإنها أفادت بمنطوقها انتفاء عدم إشراكهم لانتهاء مشيئة توحيدهم ، دللت على أنه لو شاء توحيدهم لوقع ، فأفاد أن مشيئة الشيء توجب وقوعه ، ولا دليل في الآية على الإكراه ؛ لأن المعنى لو شاء لوقفهم (١) . وفي معرض رده على الزمخشري في ادعائه فضل جبريل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ سورة التكاوير آية (٢٦) . قال : ومن الخطأ ادعاء الزمخشري فضل جبريل عليه السلام على رسول الله بمدح جبريل دون وجه الخطأ أن مدح أحد لا يدل على فضل من يمدح ، بل يحتمل العكس والمساواة ، وأن المقام ليس مقام مدح له - صلى الله عليه وسلم - ، ومن أن المقام ليس لمدحه هو مدح له إذا أرسل إليه من هو أعز عليه ، فالمرسل إليه أفضل من المرسل ؛ ولا ينقص ذلك بأن الأمة ليست أفضل من الرسول ، لأن الكلام فيما لم يتبين ، والأمة قد تبين أنها دون نبيها ... (٢) ، وقد انتقد الشيخ الزمخشري في قضايا لغوية ، عندما فسر قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ... ﴾ سورة الأحزاب آية (٥٣) حيث قال : ويقدر قبل أن ، أي إلا أن يؤذن ، أو لأن يؤذن ، أو يقدر مضاف لأعلى الظرفية ، كجانب طلوع الشمس ، لأن نصب المصدر على الظرفية مشروط فيه أن يكون صريحاً ، وأجازه بعض ولو

(١) لم أجد هذا النص الذي عزاه الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية وإن جاء معناه عند تفسير الزمخشري لقوله تعالى : ﴿ سيفول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركوا ... ﴾ سورة الأنعام (١٤٨) .

(٢) تفسير التفسير ١/١٤ ص ٤٨٩ ، الكشاف ٨/٧١٤ .

غير صريح كآلية ، وعليه الزمخشري وهو محجوج بالذوق ، وعدم السماع ، وكونه إماماً في العربية لا يدفع ذلك عنه (١) أما المواضع التي نقل فيها عن الزمخشري ، ولم يعزوها إليه فمن أهمها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ سورة الطلاق آية (١) حيث يقول في بيان من هو المخاطب بالنساء ، ولماذا ؟ جاءت بهذه الصيغة لما كان أمام أمته - صلى الله عليه وسلم - خصه بالنساء ، وعم الخطاب بالحكم ، لأنهم لا يصدر عن إلا عنه . كما يقال لرئيس القوم : يا فلان انزلوا كذا إظهاراً للتقدمه بأمره . (٢)

وفي بيان أوجه المناسبة بين الآيات ﴿ قَاعِلِمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ ﴾ سورة محمد (١٩) . بين الآيات التي قبلها حيث قال : إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء ، وشقاوة هؤلاء ، قدم على اعتقاد أنه لا إله إلا الله ، والعمل بمقتضاه ، فإن ذلك من مرجبات السعادة . (٣) والشيخ محمد أطفيش لا ينقل القضايا العلمية فحسب ، بل كثيراً ما ينقل القصص والأحداث ، والقضايا التي حصلت مع الزمخشري ، والتي ينشأ في تفسيره ، فيذكرها الشيخ عند نفس الآيات التي ذكرها الزمخشري . (٤)

٣- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

لقد أعجب الشيخ محمد أطفيش أيما إعجاب بتفسير البحر المحيط فأدام النظر فيه ، والاعتراف من معينه ، ومدح صاحبه وأثنى عليه ، وهذا عجيب من الشيخ ! فلم أره يُثني على أحد من المفسرين خاصة القدماء إلا ما فعل مع أبي حيان . وكم وقف الشيخ معه وعرف به ، وذكر أنه أندلسي طال مقامه في مصر . وكثيراً ما ينتصر له ويدافع عنه ، ويذكر أن بعض المشاركة البغداديين (٥) إذا رأى لأبي حيان حسنة ذنبا ، أو يبغي له جواباً ، وإن رأى سبحة أشاعها ، ومتى شاء اغتصب منه الفائدة ، ويكرر ذلك في أكثر من موضع ويقول : إن لي حمة في الجواب عنه لكن لي أشغال . (٦)

(١) تفسير التفسير ٢٩٧/١ ، الكشاف ٥٥٤/٣ ، إملأ ما من به الرحمن العكبري ١٩٤/٢ .

(٢) تفسير التفسير ٢٠٦/١٣ والذي قاله الزمخشري هذا نصه : (خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنساء وعم الخطاب ، لأن النبي إمام أمته وقتوتهم ، كما يقول رئيس القوم وكبيرهم : يا فلان أفعل كذا وكذا ، إظهاراً لتقدمه ، واعتباراً لترؤسه) ٥٥٤/٤ .

(٣) تفسير التفسير ٢٤٦/٩٢ فارق ذلك مع تفسير الزمخشري ٣٢٣/٤ .

(٤) مثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فُلُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَهْمَ لِهَلْكَ لِقَالِ الْمُنِ ﴾ سورة إبراهيم آية ١٣٠ . فقد أورد للشيخ هنا قصة ذكرها . الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية حيث قال : قال الزمخشري : كان لي خيل بطلم عظيم القوة التي أنا فيها ، ويؤذي في ، فمات ذلك العظيم وسكنني الله ضيقه ، فنظرت يوماً إلى أبناء خالي يترددون فيها ، وبأسرون وينهبون . تفسير الزمخشري ٤٥٥/٢ .

(٥) ولعله يقصد بالبغدادي الإمام محمد بن عبد الله الألويسي البغدادي مفتي بغداد ، وعالمها في القرن الثالث عشر الهجري ولما معه فيما بعد وقفة مبصرة .

(٦) تفسير التفسير ٨٢/١٣ .

وكثيراً ما يصفه بأنه بحر العلم (١) ويستعين به في الرد على المعتزلة (٢). فيكثر من ترجيح رأيه فيقول: والحق ما قاله أبو حيان (٣)؛ قلت الحق مع أبي حيان (٤). ومع هذا الاحتفاء الشديد بأبي حيان إلا أنه أحياناً يتعقبه ويرد عليه بلطف، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ...﴾ سورة البقرة (١٤٠). حيث قال عن لفظة (أَمْ)؛ وأبو حيان لما رأى أن الغالب في المتصلة استدعاء إحدى الجملتين، والسؤال عن أحدهما، وما هنا ليس كذلك، واقتصر على المنقطعة وهكذا عادته. يرى غير الغالب كأنه غير موجود فيقتصر على الغالب. (٥) ومنه أيضاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ سورة الضحى (٨). قال: وفي نهر أبي حيان وبحره أنه رأى في النوم على حذف، مضاف أي وجد رهطك ضالاً فهذا: فيه مخالفة لما قبل وما بعد، لكن يسوغها أن هداية رهطه تقع له في الدين. (٦). وإذا أراد الشيخ أن يرجح قول الزمخشري على قول أبي حيان، فإنه يذكر الخلاف دون ذكر أسمائهما، فمن ذلك ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ...﴾ سورة محمد (٢٥). حيث يقول سَوَّلَ من السَّوَّلِ (٧) بفتح السين والواو وهو التسهيل، وأصله الاسترخاء استعير للتسهيل، والتشديد لتعديبه أي عده لهم سهلاً لا يبالى به. أو قيل: من السَّوَّلِ بمعنى التمني؛ أي حملهم على سؤلهم أي متمناهم، فالتشديد للحمل على معنى المصدر. وناقش القول الثاني، ثم قال: وما تقدم أولى لخلوه عن التكلف. (٨) والقول الأول قال به الزمخشري في كشفه. (٩) أما أبو حيان فقد أورد ما قاله الزمخشري، وعلق عليه بقوله ليس بجيد، ثم اختار: أنه من السَّوَّلِ بما يسأله الإنسان ويتمناه. (١٠)

٤- تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب:

وقد حظي هذا التفسير بشهرة واسعة، عند الشيخ أظنه ونقل منه واستشهد بأقواله، وترجيحاته. فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ اليمين﴾ اليمين ﴿سورة الواقعة (٢٧)﴾.

-
- (١) تفسير تفسير ٧٥/١٠
(٢) تفسير التفسير ٢٦٨/١
(٣) تفسير تفسير ٢٠/١٣
(٤) تفسير التفسير ١٧/١٥
(٥) تفسير التفسير ١٩٩/١، انظر البحر المحيط - لأبي حيان ١١٤/١
(٦) تفسير التفسير ٢٠٨/١٥، انظر البحر المحيط - لأبي حيان ٤٨٩/٨
(٧) أنظر معجم مناهيس اللغة - لابن فارس ١١٩/٢، القاموس المحيط الفيروز آبادي ٤١٠/٣
(٨) تفسير التفسير ٢٥٩/١٢
(٩) الكشف ٢٢٦/١
(١٠) البحر المحيط ٨٣/٨

قال : وقال الفخر - يقصد الإمام الرازي - في الميمنة والمشأمة ؛ دلالة على الموضوع ، والإزواج الثلاثة يتميزون بالموضع فجاء أولاً بما يدل على الموضوع ، وثانياً بأمر يميزهم . (١) . وأحياناً يتعقبه بالنقد والرد فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس ﴾ التوبة (٢٨) وقال : وروى الفخر إذ قال : المعنى لا نجس من الناس إلا مشرك ، وإنما ذلك لو قال (إنما النجس المشركون) (٢) .

وهناك مفسرون أعلام تأثر بهم الشيخ محمد أطفيش ، ونقل الكثير من أقوالهم وترجيحاتهم وضمنها تفسيره دون أدنى إشارة إليهم ، وهذا مسلك من الشيخ غير سديد ، ولا يتفق مع الأمانة العلمية الموضوعية . وهم أكثر وسأضرب مثالا على ذلك بالإمام محمود بن عبدالله الألوسي (٣) . البغدادي . (١٢١٧ هـ - ١٢٧٠ هـ) (٤) . والذي ثبت لدي بالدليل أن الشيخ محمد أطفيش قد نقل من تفسير الألوسي نقلاً واضحاً وجلياً ، واستفاد من تحقيقاته الدقيقة ، واستدراكاته القيمة ، بل حاول أن يقلده في طريقته في التفسير ، ولا غرابة في ذلك فالإمام الألوسي فرغ من تفسيره سنة (١٢٦٧ هـ) أي قبل وفاته بثلاث سنين ، أما الشيخ محمد أطفيش فقد انتهى من تفسيره تقريباً سنة (١٣٢٣ هـ) . ولا شك أنه قد اطلع عليه وحصل منه نسخة ، وأكد أجزم بذلك ، وآية ذلك أن الشيخ محمد أطفيش يقول عند تفسيره لسورة الواقعة ، وذكره رأي أبي حيان : (ورد عليّ تفسير قبل هذه السورة . بمقدار لبغدادى يكثر فيه الرد على أبي حيان ، ولى همة في الجواب عنه لكن لي أشغال) (٥) . وسأوضح ما قلته بمثال واحد ، وأحيل بعضها على الهامش . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ... ﴾ سورة الدهر آية (١) . يقول الشيخ محمد أطفيش : (هل) حرف وضع للاستفهام من أول مرة كهزمة الاستفهام ، وليس أصله التحقيق في الأخبار كنقد ، ثم نقل إلى الاستفهام نيابة عن الهمة ، ولا باقية على التحقيق مصدراً قبلها همز الاستفهام . ومن المعجائب دعوى ذلك بمجرد بيت شاذ :

سائل فوارس يربوع بتمدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

(١) تيسير التفسير ٧٤/١٣ ، انظر - الفخر الرازي ١٦٢/٢٩ .

(٢) تيسير التفسير ٤٨٤/٤ انظر الفخر الرازي ٢٥/١٦ .

(٣) نسبة إلى (ألوس) جزيرة في نهر الفرات بين بغداد والشام .

(٤) أنظر ترجمته في أول الجزء الأول من النسخة الأميرية المطبوعة في بولاق .

(٥) تيسير التفسير ٢٨/١٣ هكذا جاء نص الشيخ .

بدخول الهمزة عليها ، وما هذا إلا تأكيد مع أن الرواية الصحيحة أم هل رأونا ، بأم المنقطعة بمعنى بل كما قال السيرافي ، ومع أن في نسخة قديمة وجدها السيوطي ، فهل رأونا بالفاء فهي استفهامية حقيقية ، والاستفهام هنا تقرير ، وإذا استعملت في غير الاستفهام فمجاز كما فسرها ابن عباس بمعنى قد . وكذا سيوية والكسائي ، وقيل للتقريب ، وقيل للتحقيق ، ولا يؤتى لها بمعادل ، وعبرة بعض إذا كانت بمعنى الهمزة جاز أن يؤتى به ، وعبرة بعض تجوز بعدها أم المنقطعة ... (١)

وأما الذي قاله الألوسي فهذا نصه : (٢) (أصله على ما قيل أهل على أن الاستفهام للتقرير أي الحمل على الإقرار بما دخلت عليه والمقرر به ، وقد علم أنهم يقولون : نعم قد مضى على الإنسان حين لم يكن كذلك ... وهل بمعنى قد وهي للتقريب ، أي تقريب الماضي من الحاضر . فلما مدت هل مد الهمزة دلت على معناها . ومعنى الهمزة معا ، ثم صارت حقيقة في ذلك فهي للتقرير والتقريب ، واستدل لذلك الأصل بقول زيد الخيل :

سائل فولس يربوع يشدنا أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم

فبل هي للاستفهام ولا تقريب ، وجمعها مع الهمزة في البيت للتأكيد . بل التأكيد هنا أقرب لعدم الاتحاد لفظاً ، على أن السيرافي قال : الرواية الصحيحة أم هل رأونا على أن أم منقطعة بل وقال السيوطي في شرح شواهد المعنى الذي رأته في نسخة قديمة من ديوان زيد فهل رأونا بالفاء ، وعن ابن عباس وقناة هي هنا بمعنى قد ، وفسرها بها جماعة من النحاة كالكسائي ، والمبرد ، والقراء وحملت على التقريب ، ومن الناس من حملها على معنى التحقيق . وقال أبو عبيدة : مجازها قد أتى على الإنسان وليس بالاستفهام . وفي ختام الحديث عن موقف الشيخ محمد أطفيش من المفسرين هناك ملحظ اترو إليه وهو اعتداد الشيخ بنفسه فقد وقف مع بعض المفسرين مواقف فخر فيها بنفسه ، وأضاد بمذهبه ، وساق عبارات الثناء لنفسه ، وأن ما جاء به هو الحق والصواب ، وكثيراً ما يصرح بالقول أنه كان يقول به ويراه لغلان من الناس ، حتى إنه أحياناً يقسم على ذلك . ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ سورة البقرة آية (٢٨٦) . قال : ولعل معنى النسخ هنا أن ذلك غير

(١) تفسير التفسير ١٤/٣٢٧

(٢) روح المعاني ٣٠/١٥٠

والأمثلة على ذلك كثيرة قارن بين التفسيرين - خاصة في الأجزاء الأخيرة - : تفسير التفسير ١٣/٣٥٠ ، ٣٥٣ ، الألوسي ٢٨/٩٨ - ١٠٢ ، تفسير التفسير ٧/٤٥١ ، روح المعاني ٣/١٦٦ ، التفسير ١٤/٣٢٨ ، روح المعاني ٢٩/١٥٥ ، التفسير ١٢/٢٢٠ - ٢٢٣ ، الألوسي ٢٦/١٢ - ٤٦ .

مراد بالتكليف ، ثم والله رأيته لبعض المحققين ممن تقدم . (١) . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه.... ﴾ سورة الإسراء آية (٢٣) . قال : (....) وأنا أبهج بذلك من صغر سني إلى أن رأيته للشيخ زاده . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً... ﴾ سورة البقرة (٢٥) . قال : وقد ألهمنا تأريلاً صحيحاً بلا تكلف . (٣) وكثيراً ما يردد : هذا ما عندي ولجمهور المتكلمين ، ولكن زدته إيضاحاً واستدلالاً . (٤)

وهكذا نرى الشيخ محمد أطفيش مفسراً ، جامعاً ، مهذباً ، صاحب شخصية قوية واسعة الاطلاع ، ثري المحصلة ، حيث حاول أن يجمع خلاصة كتب التفسير وأقوال مؤلفيها ، وتلخيص آرائهم ، وتقديمها حسب الوجه الذي يرتضيه ، ورغم كثرة نقول الشيخ - سواء مع العزو ، أو بدون عزو - فإن الغارئ لهذا التفسير لا يدرك بأنه يسبح في بحر من أقوال المفسرين المتقدمين ، بل يشعر بأنه يعيش مع تفسير الشيخ محمد أطفيش صاحب الشخصية العلمية البارزة.

المبحث الثالث : منهجه العام :

شهد التفسير قديماً - أي منذ القرن الثالث الهجري - إتجاهين في التفسير أطلق علي الأول : التفسير بالمأثور ؛ وأطلق على الثاني : التفسير بالرأي . والحق أنه ليس بينهما حد فاصل ، فهما وإن تباينا في ناحية فإنهما يتفقان في أخرى ، فكلتا النوعين مرتبطان بالآخر ارتباطاً وثيقاً. فلم يقتصر أصحاب التفسير بالمأثور على الأخبار الثقلية فقط ، بل أخذوا بشيء من النظر العقلي ، والاستنباط ، واللغة ، والعكس كذلك . وإن بعض التفسير يصعب تحديد الاتجاه ، أو الصبغة العامة عند صاحبه ، بسبب كون ذلك التفسير موسوعياً تراحم فيه الاحتمالات ، وتكثر فيه التأويلات ، وتشعب فيه التخریجات ، وتختلف فيه المنازع والمعتقدات. فمن تصدى لدراسة مثل هذه التفسير تركته وإلهم حليفه ، والتفكير ديدنه.

وقد ظهرت لي دلائل - منذ الوهلة الأولى - عند دراستي لتفسير التفسير للشيخ محمد أطفيش : أن هذا التفسير من ذلك النوع من التفسير ؛ - الذي أشرت إليه آنفاً - لأن الشيخ لم يختر لنفسه منهجاً معيناً في دراسته للنص القرآني ليستطيع الباحث التعرف على الطريقة التي يسير عليها ، والوقوف على مدى ما أحرزه في تطبيقه من نجاح.

(١) تفسير التفسير ٤٧٤/٩ .

(٢) تفسير التفسير ١٦٦/٧ ، يقصد محي الدين شيخ زاده صاحب حاشية زاده

على البضاري هكذا جاءت عبارة الشيخ ولعل الصحيح ألهج.

(٣) تفسير التفسير ٤٢/١ . (٤) تفسير التفسير ٥٠٥/٦ .

مقدمة تفسيري:

اعتاد كثير من المفسرين وضع مقدمات بين يدي تفاسيرهم تكون بمثابة الكشف ، الذي ينقي الضوء عما في الكتاب ، ويبين المنهج الذي ينتهجه كما فعل ذلك شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري ، والإمام الفرطبي ، وأبو حيان في بحره ، والآلوسي ، والشنقيطي ، وابن عاشور ، وغيرهم كثير - رحم الله الجميع - وأما الشيخ محمد أطفيش - رحمه الله - فلم يسلك هذا المسلك - ولو فعله لأراح الباحث في هذا التفسير ، ليكون فهمه لمنهج الشيخ على أساس منه - لكن مقدمة الشيخ جاءت في نصف صفحة : بدأها بحمد الله الذي يجدده توالي دقاتي الجديدين على تيسير بيان القرآن ، ثم صلى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه . وكل عبد مجل لله ، ثم ألمح إلى سبب تأليفه لهذا التفسير ، وذكر أن الهم لما تقاصرت عن أن تهيم بهميان الزاد الذي ألفه في صغره ، وتكاسلوا عن داعي العمل ، نشطت همته إلى تفسير لا يمل ، وصرح بأنه سيقصر على قراءة تافع . ثم سأل الله سبحانه - أن يقبله بفضله ، ويتمه قبل الأجل ، وأن ينعم عليه بالقبول والإكمال . هذه مقدمة للشيخ

والذي يسر أغوار هذا التفسير لا يجد لمؤلفه قاعدة مضطردة ، ولا أسلوباً محدداً يفلب عليه ، وإنما كان يدخل الشيخ إلى تفسير كل سورة بأسلوب خاص ، فمرة يقدم الحديث عن أسباب النزول كما فعل في سورة التحريم والأنفال . وثانية : يقف مع اسم السورة أو أسمائها إن وجد ، ويعلق على التسمية ، ويستطرد في ذلك حتى تبلغ عدة صفحات كما فعل في سورة المزمل والحشر والممتحنة . وفي موضع ثالث : يذكر فضائل السورة وموضوعاتها ويتجاوز ذلك إلى فروع وتفاصيل كما فعل ذلك في سورة طه ، والاحلاص ، وفي سورة أخرى يقف مع البسطة وفضلها وخطها ، كما فعل في سورة الفاتحة والأحزاب . وفي مواطن أخرى ينقل المأثور من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو الصحابة والتابعين كما فعل في سورة مريم . وأحيانا يقف مع المسائل اللغوية ، والبلاغية . ويختم كل سورة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ، أو يسوق بعض الأحاديث المتعلقة بالسورة ، وأحيانا يختمها بالدعاء ، أو بقوله الله أعلم . بعدما تقدم من ذكر مقدمات خاصة بكل سورة يدخل الشيخ إلى تفسير النص القرآني على شاكلة المفسرين الذين سلكوا المنهج التحليلي للآيات ، غير أن للشيخ أسلوباً خاصاً ، هو الجمع بين الآيات المتعلقة بالمعنى بغض النظر عن الترتيب المعمود والمنهج في المصحف ، ثم يعتمد إلى تفسير الآية فيكشف عن معاني اللفظة القرآنية ، أو الجملة بلغة غير سهلة فيها شيء من الصعوبة والتعقيد ، وتحتاج إلى وقفة وتأمل . ثم يعرض لمعانيها واستقائها ويخوض في إعرابها ، ويناقش المفسرين الأعلام ، ويرجح ما يراه مناسباً ، ويتوسع في مسائل الخلاف بين المدارس النحوية ، ويعالج هذه القضايا معالجة الخبير الماهر بالعربية وعلومها ، ثم يمضي ليوضح وجوه القراءات القرآنية لبعض الآيات ، وإذا كان هناك نظائر للآية ذكرها ، ويحاول أن يدفع الاشكالات التي تبدو من ظاهر النظم في الآيات ، ويحرص على

(والقرآن كلام واحد في تصديق بعضه بعضاً، وتفييده ببعض)، (والقرآن يفسر بعضه بعضاً) (١) وفيما يلي بيان لطريقة الشيخ في هذا النوع من التفسير : يورد بعض الآيات ليوضح فيها معاني بعض المفردات . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ سورة البقرة (٣٥) قال : وتطلق الشجرة ولو على ما ليس له ساق ، كقوله تعالى : ﴿ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ (٢) الصافات (١٤٦). وأحياناً يحمل المجمل على ما نسر في مكان آخر، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ... ﴾ سورة البقرة آية (١٨٠). يقول : وقد استعمل الخير في المال .

مطلقاً . كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدَ ﴾ سورة العاديات آية (٨) ، وفي المال الحلال كقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفْقَهُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ سورة البقرة (٢٧٣) . ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لبدء سورة المائدة (١) في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا يَتْلِي عَلَيْكُمْ ﴾ آية (١). قال بعد في هذه السورة إذا نزل وهو قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ... ﴾ آية (٢) . وأحياناً يحمل المطلق على المقيد، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٤) سورة الشورى آية (٥) . يقول من المؤمنين كما قال عز وجل : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ سورة غافر (٧) . ومن ذلك ما أشار إليه في تعيين القوم الآخرين الذين ذكرهم الله بقوله : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ سورة الدخان آية (٢٨) . هم بنو إسرائيل الذين ذكرهم الله بقوله : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الشعراء (٥٩) . ثم يقول : (ولا تترك الآية لتاريخ ما لا سيما تاريخ جاء على يد اليهود المعروفين بالتحريف، أن بني إسرائيل لم يرجعوا إلى مصر (٥) . وأحياناً يتوسع في ذكر نظائر الآية حيث التشابه في الدلالة ، كما فعل في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَسُمِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سُرَابًا ﴾ سورة النبا آية (٢٠) . فبعد أن يذكر طرفاً من تفسير الآية قال : كما قال تعالى : ﴿ وَسُمِّرَتِ الْجِبَالُ بِمَا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾ الواقعة الآيات (٦٠، ٦١) . وكما قال ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ... ﴾ سورة طه (١٠٥-١٠٧) . وكما قال : ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ... ﴾ سورة إبراهيم ٤٨ (٦) . وإذا كان هناك شبه تعارض أو تناقض بين الآيات فإن الشيخ يجتهد في إزالة ما توهم منه ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ سورة محمد (١١) . قال متولي أمرهم فهو ينصرهم . (وأن الكافرين لا مولى لهم) . لا ولي لهم يدفع عنهم والله مولاهم، بمعنى مالكهم لا دافع عنهم ، كما قال : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) أي مالكهم ، فلا تناقض بين الآيتين .

(١) تيسير التفسير ١٤/٢٩٦، ١٢/١١٢، ٦/٢٩١ .

(٢) تيسير التفسير ١/٢٥٥ .

(٣) تيسير التفسير ١/٥٥٥ .

(٤) تيسير التفسير ٣/٦ .

(٥) تيسير التفسير ١٢/٩٠ .

(٦) تيسير التفسير ١١/٤٥٤ .

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ سورة هود آية (١٠٥) (١). قال : أي كلاماً نافعاً ، أو منجياً ، أو شفاعة فلا ينافي . ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادُلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ سورة النحل (١١١) ونحو قولهم : ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام آية (٢٣) . ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿سَاءَ لَكُمْ مِمَّا بَخِعْتُمْ...﴾ سورة النمل آية (٧) حيث قال : وما هنا وعده بصورة الجزم ، والمراد قوة الطمع ، بدليل الآية الأخرى : ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ﴾ طه آية (١٠) بصورة الترجي ، لا تناقض بين الجزم هنا بالإتيان بالنار ، وبين ترجيه في قوله تعالى : ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ﴾ لأن الراجي إذا قوى رجاءه حزم ، ولأنه يبنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بالخبر والنار معاً ظفر بأحدهما . (٢).

٢- منهجه في تفسير القرآن بالحديث.

حفل تفسير الشيخ محمد أطفيش - رحمه الله - بحصيلة وفيرة من الأحاديث الشريفة، واتخذت طرقاً ومسالك متعددة، ولا غرابة في ذلك . فالشيخ ليس دخيلاً على علم الحديث، بل له مؤلفات حديثة أشرت إليها من قبل.

والشيخ قد سار على نفس الطريقة التي سلكها المفسرون الذين تتلمذ على تفاسيرهم ، فاعتمد الحديث اعتماداً كلياً ، واعتبره من العلوم المهمة التي تتعلق بها فهم القرآن الكريم . حيث قال : (... وإذا صح تفسير عنه - صلى الله عليه وسلم - وقف معه ولم يجاوز إلا إن كان حديث آخر، فيجمع بينها، أو شيء يفهم من الحديث). (٣)

وسأعرض فيما يلي منهج الشيخ في رواية الأحاديث الشريفة كما رأيتها:

- ١- موقف الشيخ من كتب الحديث عند الإباضية .
- ٢- أمثلة لبعض الأحاديث التي استشهد بها مع الإشارة إلى تخريجها.
- ٣- استشهاده بالأحاديث الضعيفة، وتأويل الأحاديث التي لا تتفق ومذهبه.
- ٤- توضيحه وشرحه لبعض الأحاديث التي يوردها ، وإبراده الحديث دون الإشارة إلى أنه حديث شريف.

٥- موقفه من الاستشهاد بالحديث الشريف في اللغة.

أولاً : موقفه من كتب الحديث عند الإباضية.

لعل أول ما يخطر في ذهن القارئ لهذا التفسير التساؤل التالي :

ما مدى اعتماد الشيخ أطفيش على كتب الحديث الشريف عند الإباضية ؟

(١) تيسير التفسير ٢٦/٦.

(٢) تيسير التفسير ٣١٥/٩.

(٣) تيسير التفسير ٥١/١٣.

وأظن أن الجواب يكون واضحاً جلياً لمن إطلع على مصادر الشيخ في كتب الحديث، وأزيد الأمر وضوحاً هنا لأقول: إن جل الأحاديث التي ذكرها الشيخ واستشهد بها وعزا البعض منها هي كتب الأمهات، والمصادر الحديثية الأصلية عند أهل السنة. أما بالنسبة إلى الكتب الأصلية عند الإباضية، فليس عندهم سوى كتاب واحد، وهو مسند الربيع بن حبيب، وأقف هنا وقفة يسيرة مع هذا المسند ومصنفه. فالربيع بن حبيب - رحمه الله - أصله من عمان، ثم ذهب إلى البصرة، وتلمذ على جابر بن زيد، ثم رجع آخر عمره إلى عمان، وتوفي فيها في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وتذكر بعض الروايات أنه توفي عام (١٧٠) (١) وعنه الدرجيني صاحب الطبقات في الطبقة الرابعة، وهم الذين عاينوا ما بين (١٥٠ - ٢٠٠ هـ)، ووصفه بأنه (طرد المذهب الأسم، وعلم العلوم، ومن تشد إليه جبال الرواحل: روي عنه المسند المشهور...) (٢) وأما المسند فهو مطبوع (توجد منه نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية)، ويضم ألفاً وخمسة أحاديث مختلفة. تتعلق: بالعقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والأمانة... غيرها. وأغلب المرويات فيه عن علمين من أعلام الإباضية هما جابر بن زيد، وأبي (٣) عبيدة مسلم بن أبي كريمة، حيث روى فيه جابر عن أبي عباس، وعائشة وابن عمر، وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عن الجميع. وأغلب الأحاديث التي يتضمنها المسند تتفق مع أصول المذهب الإباضي. وقام بعض المتأخرين وهو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوريثاني (٥٧٠ هـ)، بترتيب هذا المسند، وتنظيمه بعد أن رآه مشوشاً، وسماه (الجامع الصحيح)، ولعل هذه التسمية جاءت مضاهاة لما هو عند أهل السنة من كتب الصحاح. وهذا المسند هو عمدة المذهب الإباضي في رواية الأحاديث، ويعتبرونه أصح كتب الحديث وأعلها سنداً، ويصفه شارحه الشيخ عبدالله السالمي: بأنه أصح كتاب بعد القرآن العزيز (٤). مع أن المجمع عليه عند المحدثين سلفاً وخلفاً أن أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى هو صحيح البخاري (٥)، وأنه أول من (اعتنى بجمع الصحيح، ثم يليه صاحبه وتلميذه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، فهما أصح كتب الحديث) (٦). والإباضية بناء على نظرتهم لمسند الربيع بن حبيب فهم يقدمونه على الصحيحين، فإذا صادف أن وقع تعارض بين صحيح البخاري ومسلم، وبين مسند الربيع فالمقدم في هذه الحالة - بدون شك

(١) الأعلام - الزركلي ١٤/٣.

(٢) طقات الشانخ بالمغرب لأبي العباس الدرجيني ٢٧٢/٢.

(٣) مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء البصري من فقهاء الإباضية تلمذ على جابر بن زيد ذكره ابن حبان في الثقات ثم قال: إلا أنني لا اعتمد عليه - ذكره الدرجيني في الطبقة الثالثة/ لسان الميزان ٣٢/٦، طبقات الدرجيني ٣٣٨/٢.

(٤) مسند الربيع بن حبيب ٤/٦.

(٥) الرسالة المستطرفة - الكنتاني ٩.

(٦) الباعث الحديث - ابن كثير ٢٢.

هو مسند الربيع وقد بحثت عن ترجمة وافية للربيع بن حبيب في كتب تراجم الرجال عند أهل السنة فلم أعثر له على أدنى ترجمة أما عند الإباضية فلا أعلم أن لهم كتباً في علم رجال الحديث. ثم أخذت أبحث واقتش عن دراسة علمية لهذا المسند يعتمد عليها ، فلم أعثر منها على شيء ، ثم سألت أصحاب الشأن فلم أجد عندهم ما يشفي العليل . ولضيق المجال ، ولقلة ثقافتي الحديثية التي لا تسمح لي بتقويم هذا المسند والحكم عليه من ناحية حديثيه ، فأترك ذلك لغيري ، والله المستعان. وانطلاقاً من ارتباط الإباضية بهذا المسند ويدافع من الألفة المذهبية سار الشيخ علي ذلك ، ونظر إلى مسند الربيع نظرة مذهبية فاعتبره أفضل كتب الحديث، إلا أنه لم يعتمد عليه في إيراد الأحاديث ، وجعله ما روى منه من أحاديث في تفسيره (تيسير التفسير) لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة . منها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالغِيلَ وَالْبَغَالَ وَالْحَمِيرَ لِرَكْبِهَا وَزِينَةً ... ﴾ النحل (٨) . فبعد أن ذكر طرفاً من تفسير الآية الكريمة، وأشار إلى اختلاف الفقهاء في تحريم الخيل . قال : وفي أفضل كتب الحديث للربيع بن حبيب عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد : بلغني عن علي بن أبي طالب : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل الحمر الإنسية ، إلا أنه مقطوع وهو في تلك الكتب - يقصد كتب أهل السنة - موصول (١) وعند ذكر رواية الحديث وترتيبهم، يبدأ بمسند الربيع ثم البخاري ومسلم .. وهكذا (٢) وأحياناً يذكر حديثاً دون أن يشير إلى من رواه ولا من أي مصدر أخذه ، ثم يقول وهو مخالف لمتن حديث الربيع (٣) .

ثانياً : أمثلة لبعض الأحاديث الصحيحة التي استشهد بها ، مع الإشارة إلى تمحيصها :-
ف عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ... ﴾ آل عمران (٣٦) . فبعد أن ذكر شيئاً من تفسير الآية الكريمة، قال : كما قال البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - كل ابن آدم يطعمه الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد ، غير ابن مريم فإنه ذهب ليطعمه فطعمته في الحجاب (٤) أي المشيمة . ومن هذا القبيل ما ذكره في معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ آل عمران (٥١) حيث قال : روى الترمذي ومسلم وغيرهما عن سفيان الثوري : أن رجلاً قال : يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك . قال : قل أمنت بالله ثم استقم (٥) . واكتفى

(١) تيسير التفسير ٤٦٣/٦ روى البخاري في كتاب الفتيان باب لحوم الحمر الأهلية رغم الحديث (٥٥٢١) ٥٦٩/٩

(٢) المصدر السابق ١١٩/٦ .

(٣) المصدر السابق ٣٢٢/٢ .

(٤) تيسير التفسير ٥٢/٢ . وجاء هذا الحديث في فتح الباري شرح صحيح البخاري بغير هذا اللفظ ، رقم الحديث ٣٤٣١ في كتاب الأنبياء ٥٤٠/٦ .

(٥) تيسير التفسير ٧٨/٢ . هذا الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان شرح النووي ٨/٢ . ورواه الترمذي في باب الزهد في حفظ اللسان ٢٤٩/٩ ، ورواه كذلك الإمام أحمد في مسنده ٤١٢/٣ .

بهذين المثالين ، والأمثلة على ذلك كثيرة في هذا التفسير .

وأما بالنسبة إلى تخريج الأحاديث التي يرويها ، فالشيخ لم يخرج معظم الأحاديث التي استشهد بها ، ولم يمتن بكشف النقاب عن أسانيدها ، إلا في القليل النادر . ثم إن تخريجه للأحاديث ليس كافياً ، وإنما يذكر موطن وروده ويمزوه إلى رواته ، وأحياناً يورد الحكم على الحديث ناقلاً أقوال المحققين والمحدثين فيه . وهذه الأمثلة : فعند تفسيره لقوله تعالى :

﴿... والله يهدكم مفرقة منه وفضلاً﴾ سورة البقرة (٢٦٨) . بعد أن ذكر طرفاً من تفسير الآية ، قال : روى الترمذي وقال : حسن غريب ، عن ابن مسعود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : إن للشیطان بابن آدم لمة ، وللملك لمة به ، فأما الشيطان فأيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فوعده بالخير وتصديق الحق . (١) ومما نقل فيه أقوال المحدثين وحكمهم على الحديث ، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً﴾ سورة يوسف (٤) حيث قال : روى الحاكم في مستدركه مسنده إلى جابر بن عبد الله أن يهودياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فتزل جبريل عليه السلام فأخبره بهن . قال : الجوزي : حديث موضوع ، وقال زرعة منكر الحديث (٢) ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابه فتنة انقلب على وجهه﴾ سورة الحج (١١) قال : وضعف ابن حجر ما روي عن أبي سعيد : أسلم يهودي فذهب بصره ، وماله ، وولده . فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أقتلي أصبت بالإسلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : الإسلام لا يقال ، الإسلام يسبك الرجل كما تسبك النار الذهب ، والفضة والحديد . فنزلت الآية - ثم يعقب الشيخ قائلاً : ووجه ضعفه أن اليهود لا تعبد الأصنام . (٣)

ثالثاً : استشهاده بالأحاديث الضعيفة ، وتأويل الأحاديث التي لا تتفق ومنهج : رغم أن

الشيخ كانت له وقفات مع بعض الأحاديث ، إلا أنه أورد الكثير من الأحاديث الضعيفة الراهية دون التعقيب عليها ، ومن أبرز ذلك ما ذكره في فضائل السور . والشيخ لم يأت بالأحاديث

(١) تيسر التفسير ٤٣٨/١ الحديث رواه الترمذي في كتاب التفسير رقم الحديث : (٢٩٨٨) ٢١٩/٥ .

(٢) تفسير التفسير ٧٤/٩ قال ابن حجر في الحكم على هذا الحديث : أخرجه الحاكم من طريق أبيات عن السدي عن عبد الرحمن عن جابر ، ورواه أبو يعلى ، والبزار ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الغلائل ، والطبراني ، وأبو حاتم ، وذكره العقيلي وقال : لا يثبت . ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وذكره ابن أبي حاتم في العلل عن أبي زرعة أنه حديث منكر . ٤٤٣/٢ .

(٣) تيسر التفسير ٣٩٧/٨ قال ابن حجر : هكذا ذكره الواحدي لكنه يغير إسناده ، وأخرجه ابن مردويه ، وإسناده ضعيف . وأخرجه العقيلي من رواية عنه وعنه ضعيف جداً . الكافي للشافعي في تخريج أسانيد الكشاف - لابن حجر ١٤٧/٣ .

والتي تروى في فضل كل سورة والتي قال بها طائفة من المفسرين .

إلا أنه - رحمه الله - لا ينكرها، ويرى أن الوعود السخية بالعطاء والمبالغة في تقدير الثواب التي تترتب على من قرأ هذه السور صحيحة . ومن أمثلة ذلك ما ذكره في مطلع تفسيره لسورة الإخلاص حيث قال: كل ما قيل في فضل هذه السورة فعند الله - سبحانه وتعالى - أكثر، وشأنها أكبر، وكل ما قيل من فعل أو صلى كذا أو قرأ كذا، أو تصرف بكذا، أو نحو ذلك غفر له، أو له كذا مما يستغرب فلا غرابة فيه؛ لأن المعنى أنه يفعل ذلك مخلصاً فيكون سبباً للتوبة من ذنوبه فيحصل لذلك الفضل ففعله ذلك مفتاح. (١) . وأقف هنا وقفة بسيرة لأقول: ليس كل ما جاء من أحاديث في ذكر فضائل السور ضعيفاً أو موضوعاً، ويكفي أن الإمام البخاري - رحمه الله - أفرد كتاباً خاصاً في صحيحه أبان فيه فضائل بعض السور، فنقرأ فيه باب فضل سورة الفاتحة، باب فضل سورة البقرة .. وهكذا (٢) . أما القسم الذي ذكر العلماء أنه موضوع فهو ما ينسب لأبي ذر كعب، وابن عباس. والنسبة إليهما قطعاً لا تصح - يقول الإمام الزركشي : (.. وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضيلة سورة سورة، فحديث موضوع .

ثم يتابع قائلاً : (وعن نوح بن أبي مريم أنه قيل له : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بهغه أبي حنيفة، ومغازي محمد بن اسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبة) (٣) . أما الشيخ محمد أطفيش فقد خلط في ذلك فأحياناً ينقل فضائل بعض السور مقتصرًا على ما صح فيها من روايات، وأحياناً يأتي بأحاديث معظمها لا يصح. دون أن يشير إلى ذلك .

(١) تيسير التفسير ٤٠٣/١٥

(٢) كتاب فتح الباري / كتاب فضائل القرآن، باب ٦٦، ٨، ٦٦٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن. للزركشي ٤٣٢/١

فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لمطلع سورة (يس) حيث قال: وفي أبي داود (أقرأوا على موتاكم يس) (١)، ثم ذكر عدة أحاديث في فضائل هذه السورة. ومن الأحاديث التي ذكرها ولم يعلق عليها شيء ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَقْسَمُوا طَاعَةَ معروفة﴾ سورة النور (٥٢). قال كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو أن أحدكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب، ولا كوة لخرج عمله لإنسان كائناً من كان) (٢) أما عن تأويل الأحاديث التي لا تتفق ومذهبه فهي كثيرة وهذا مظهر من مظاهر تعصب الشيخ - رحمه الله - لمذهبه، حيث أول الأحاديث التي لا تتفق وما ذهب إليه الإباضيون وما قرروه من مبادئ، فجعل الشيخ أصوله مسلمة وأول لها الأحاديث، أو يقوم الشيخ بالتشكيك في صحته، وقد يتجاوز ذلك إلى تجريح رواته، واتهامهم بالخطأ والغلط وعدم الغبط، والتأويل عنده منهج مضطرب خاصة في أحاديث الصفات، فيحملها على التمثيل والمجاز، ويخضعها لسلطان العقل، ويعالجها في ضوءه. فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ سورة القلم (٤٢). قال: (وما ورد من إثباته عن أبي سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (يُكشَفُ ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رباً وسمعاً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طيقاً واحداً). وإن صح الحديث فالساق فيه عبارة عن شيء يظهره الله لهم مما شاء أو عن الأمر الشديد، وكذا حديث (يتبع كل أحد يوم القيامة معبوده إلا المؤمنون. فيبقون حتى يجيء بهم فيعرفونه ساقه فكشفها لهم وفيها علامة). ، ولا يقولون: أنت ربنا وإن قالوا فالمعنى أنت ملك ربنا، وهذا قول عياض (٣) وهو عالم عظيم (٤) أما الأحاديث الدالة على إثبات الرؤية في الآخرة للمؤمنين فهي عند

(١) تفسير التفسير ٦/١١ والحديث رواه أبو داود في كتاب الجنائز ١٦١/٣ ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٦/٥ ، وقاله الحافظ في التلخيص رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وأعله ابن القطان بالاضطراب، ونقل ابن العربي عن الدار قطني أنه حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن ولا يصح في الباب حديث ١٠٤/٢ رقم الحديث ٧٣٤.

(٢) تفسير التفسير ١٣٦/٩. وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه في باب الرقائق عن أبي سعيد الخدري، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٩/٣. وأبو يعلى الموصلي في مسند أبي سعيد الخدري رقم الحديث ١٣٧٨. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وكنا حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٥/١٠. وأما الشيخ الألباني فقد ضعه في سلسلة الأحاديث ٢٨٨/٤

(٣) القاضي عياض بن موسى الحصري المالكي ت ٥٤٤ هـ، وهو محدث، ومؤرخ وقته، ونحوي، له كتاب الشفاء. أنظر ترجمته: تذكرة الحفاظ ٩٦/٤، وبيان الأعيان ١٩٦/١.

(٤) تفسير التفسير ٧٨/١٤. والحديثان اللذان شكك في صحتهما الشيخ رواهما الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب (يوم يكشف عن ساق)، وفي الحديث (٢٩١٩) ٥٣١/٨، وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم رقم الحديث (٦٥٧٣) ٤٥٢/١١. ولنا عودة إلى هذه القضايا في الفصل السادس عن منهج العقلي.

الشيخ موضوعه ، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَجِئَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاضِرًا إِلَىٰ رِبِّهَا نَازِرًا ﴾ (١) .
 والقيامة (٢٣، ٢٢) . يقول : (٢) .. ووضعوا أحاديث منها أنه ينظر إليهم وينظرون إليه (١) .
 وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ سورة ق (٣٠) يسوق حديث : (احتجت الجنة والنار ..) ، ثم يقول : ولعل الحديث موضوع وكيف
 تفتح النار بالعصاة ، وكيف يهون على الجنة من يدخلها ، وإن لم يكن موضوعا فالمراد
 التمثيل فلا نطق ولا محاجر (٢) ثم يتابع قائلا : أعوذ بالله من الكفر كله ، وهذا كله تعسف
 من الشيخ وتمصّب ، وتدنيد بالمتبين لهذه الأحاديث ، وتضييع عليهم ، وهذا الصنيع من الشيخ
 يدل على سوء ظن بالصحيحين وما فيهما فأين يذهب الشيخ بعد ذلك ؟ وعلى ماذا يعتمد من
 كتب الحديث إذ لم يعتمد على الصحيحين ، ولا أرى ما هي العلة القادحة لرفضه هذه
 الأحاديث إلا مخالفتها لمذهبه ، وهذا لا يجدي في البحث العلمي المستقل .

٤- توضيحه وشرحه لبعض الأحاديث التي يروونها ، وإبراده الحديث دون الإشارة إلى أنه
 حديث شريف من الملاحظ على الشيخ محمد أطفيش - رحمه الله - وهو يورد الحديث أنه
 يقف مع بعض مفرداته التي بحاجة إلى توضيح ، أو يستوعب شرحه ويبين معناه ، ومن الشواهد
 على ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .
 الرحمن (٧٨) فبعد أن فسر الآية ، جاء بحديث عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا بمقدار ما يقول : اللهم أنت السلام
 ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام) . ثم قال : وفيه تفسير الإنصاف بالتسليم ،
 والمراد والله أعلم - لم يقعد مستقبلا للقبلة إلا ذلك المقدار فيستقل الناس . (٣) . ومن ذلك ما
 فعله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾
 الحشر (٧) . فبعد أن يخلص من تفسير الآية يأتي بأحاديث تدل على وجوب اتباعه صلى الله
 عليه وسلم ومنها ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود أنه لعن الوائسة والمستوشمة ،
 والمتمصبات ، والمستوحمة ، والمتفلجات للحسن ، المغبرات لخلق الله ، كما لعنهن رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم . وقال ابن مسعود : إن ذلك في القرآن ، فقالت أم يعقوب الأسدية :
 قرأت القرآن كله ولم أجده ، فقال هو في قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ (٤) .

(١) تيسر التفسير ١٤/٣٩٤ .

(٢) تيسر التفسير ١٢/٤٣٥ . والحديث رواه البخاري في كتاب التفسير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾
 وفي الحديث (١٨٥٠) فتح الباري ٨/٤٦٢ ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ١٧/١٨١ ، وأحمد في مسنده (٧٧٠٤)
 ٢/٢٧٦ .

(٣) رواه أبو داود في مسنده رقم الحديث (١٥٠٩) ٢/٨٣ ، الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث (٦٥٥٤٧) ٦/١٨٤ .
 (٤) رواه البخاري في كتاب الطب رقم الحديث (٥٩٣١) فتح الباري ١٠/٣٨٤ ، ورواه مسلم في كتاب اللباس
 والزينة باب تحريم الوائسة والمستوشمة ٢/١٠٢-١٠٩ .

ثم يقف الشيخ مع ألفاظ هذا الحديث مينا لإياها حيث يقول : -

والواشمة التي تشم غيرها، والمستوشمة الطالبة أن يفعل بها الوشم، وكذا في النامصة والمنمصة وتحوه الفاعلة التي تفعل النمص بغيرها، والمتفعلة التي تطلب أن يفعل بها ذلك النمص غيرها، وعكس بعضهم ذلك، والفلج : التي تفسح بين أسنانها تطلب ذلك من نفسها فتفعله أو تطلب من غيرها أن يفعله بها، وقيل : تنفسح في مشيتها . ومن ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ ﴾ .
الجاثية (٢٤) حيث وقف الشيخ مع أحاديث سب الدهر، وأورد شواهد من هذا الحديث حيث قال : وفي مسلم عنه صلى الله عليه وسلم : (لا يسب أحدكم الدهر ، فإن الله هو الدهر) (١) ثم قال في توضيحه لهذا الحديث : يعني أن ما تنسبون فعله إلى الدهر من الحوادث وتنسبونه لأجلها ليس فعلا له ، بل لي ، فأنا الفاعل لا ما تنسبون فعله إلى الدهر ، ومعنى يؤذيني : يفعل ما نهيت عنه ذلك أن مخالفة النامي في الجملة تضر النامي بالغيظ والحزن ، وتغير القلب . تعالى الله عن ذلك . وروى البيهقي : لا تسبوا الدهر ، قال الله عز وجل : أنا الليالي والأيام ، أجدها وأبليها وأتي بملوك بعد ملوك) . وعبارة البعض إن الآتي بالحوادث هو الله ، فإذا سببت الدهر على أنه فاعل وقع السب على الله ، قلت : ما ذكرته أولى ، وقد لا يسب الدهر من يعرف أن الله تعالى هو الآتي بالحوادث ، فيكون فاسقا بالجرع بما أجرى الله عز وجل . وسب الدهر كبيرة ومن سب الله أشرك .. أما إيراد الحديث دون الإشارة إلى أنه حديث شريف : - واعني بذلك أن الشيخ يذكر معنى حديث شبيه بحديث وارد عن النبي صلى الله عليه وسلم دون أدنى إشارة إلى أن هذا الكلام، هو حديث نبوي شريف فمن ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَنَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة (٤٤) .

حيث أخذ في تفسير الآية ، ومن ضمن ما قاله : يطلق ناس من أهل الجنة على ناس في النار فيقولون : كنتم تأمروننا بأعمال دخلنا بها الجنة ، فيقولون : كنا نخالف إلى غيرها، قال ذلك الشيخ دون أن يشير إلى أنه حديث أو يضعه بين قوسين مع أن هذا معنى حديث . والحديث وارد في الصحيحين (٢)

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الألفاظ في الآداب باب النبي عن سب الدهر ، صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/١٥ وإخرجه المنطوري في الترغيب والترهيب في باب الترهيب من سب الدهر . ٤٨٠/٣ .

(٢) كما رواه البخاري : يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أفتابه في النار ، فيبور كما يبور الحمار برحاه ، فيجمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شئت لك أليس كنت تأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتية ، وإنهاكم عن المنكر وآتية) . كتاب بدء الخلق باب صفات النار رقم الحديث ٣٨١٦/٦ (٣٢١٦٧) .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ . سورة الأحزاب (٥٣) ، بعد أن ذكر طرفاً من تفسير الآية قال : - والنظر منهم مسموم من سهام إبليس ، حيث أورد الشيخ هذه العبارة دون أن يشير إلى أنها معني حديث أو نص حديث (١) .

سابعاً، موقفه من الاستشهاد بالحديث الشريف في اللغة -

لقد ذهب الشيخ - رحمه الله - إلى عدم جواز الاحتجاج والاستشهاد بالأحاديث في اللغة العربية، وصرح بذلك في غير ما موضع ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ... ﴾ سورة التوبة (٣٤) فبعد أن شرح الآية جاء بحديث رواه الترمذي عن ثوبان لما نزلت ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ... ﴾ كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض أسفاره ، فقال بعض أصحابه : نزلت في الذهب والفضة ، فلو علمنا أي المال خير اتخذناه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (أفضله لسان ذاكر ، وقلب شاكراً ، وزوج صالحة تعين المؤمن على إيمانه) (٢) . ثم يعقب الشيخ قائلاً : ولفظ الحديث زوجة صالحة بالتاء في زوجة ، ثم يقسم بالله قائلاً : والله لا يقول النبي ذلك إن شاء الله تعالى ، وإنما يقول زوج ، وكذا لا يقوله الصحابي ، وهذا مما يقوي ما ذهبت إليه من أنه لا يكون الحديث حجة في النحو ؛ لأن رواه يفيرونه إلى ما لا يجوز ، أو يضعف جداً كضعف زوجة بالتاء ، وضعف مثني مرتين ، ولم أر حديثاً يتكرر فيه مثني ولا خبر كاد لم يقرن فيه بأن ، وذلك لا يوصف به كلامه - صلى الله عليه وسلم - والمعنى . ويكرر هذه المسألة في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَنَسْتَوْفِيَنَّ عَلَى ظُهُورِهِمْ ... ﴾ سورة الزخرف (١٣) . يذكر أن اللام هي لام التعليل ، ثم يقول : وأما قوله - صلى الله عليه وسلم - : (لتأخذوا مصافكم) ، (٣) فالتحقيق أن رواية الحديث قد لا يحسنون

(١) وفي الأصل أن هذه العبارة حديث رواه الحاكم في مستدركه (عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للنظرة منهم مسموم من سهام إبليس من تركها من عرف الله أتابه جلي وعز إسمائلاً بعد حلالته في قلبه) . وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، مستدرك الحاكم ، باب الرقاق ٣١٤/١ ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن مسعود رقم الحديث (١٠٣٦٢) . والمعجم الكبير للطبراني ٢١٤/١٠ . ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث ابن عمر ، حلية الأولياء لأبي نعيم ١١١/٦ . وحكم عليه صاحب كشف الخفاء بقوله رواه الحاكم وصححه وأقره العراقي ، وضعفه المنلوي ٤٣٧/٢ . وحكم عليه محقق مستدرك الشهاب القضاعي بالضعف ، مستدرك الشهاب رقم الحديث (٢٩٢) ١٩٥/١ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير رقم الحديث : (٣٠٩٤) وقوله حديث حسن ٢٥٩/٥ ، رواه ابن ماجه في كتاب النكاح باب فضل النساء ٥٩٦/١ .

(٣) لم أجده نخرجهما ذكره القرطبي عند تفسيره لهذه الآية بهذا النص ٣٥٤/٨ . وفي البخاري قريب من معناه (فلتسوروا صغرفكم) صحيح البخاري كتاب الأذان باب تسوية الصفوف رقم الحديث (٧١٧) ٧١٢/٢ .

العربية، فلا يحتاج بهم ولو كانوا ثقافة في المعنى، فنقول: روه بالمعنى، ولو رجع الاحتجاج بهم الجمهور. مما تقدم يتبين أن الشيخ لا يجوز الاحتجاج بالحديث في مجال اللغة، ولي مع الشيخ وقفة بسيرة في هذه القضية، لنصل إلى جذور هذه المسألة.

فقد وقع الخلاف في هذه المسألة بين النحويين قديما، ابتداء في القرن السابع الهجري، أي بعد خمسة قرون من وضع قواعد النحو العربي. وكان أول من تحدث عن هذه القضية ابن الضائع (١)؛ وهو أبو الحسن علي بن محمد الأنسيلي من نحاة الأندلس، توفي سنة (٦٨٠ هـ). ولم يجوز الاحتجاج بالحديث في اللغة، ثم قال بذلك أبو حبان الأندلسي، وناهما على ذلك جلال الدين السيوطي. وخلاصة قولهم: أن الأحاديث رويت بالمعنى، وأن أئمة النحو من المتقدمين لم يحتجوا بشيء منها، هذا دليلهم. أما من رأى جواز الاحتجاج بالحديث في اللغة، فهم كثيرون، وعلى رأسهم ابن مالك الأندلسي، وابن هشام، وابن سيده، وابن فارس... وغيرهم (٢). وقد بسط الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها) (٣) الحديث في هذه القضية وخصص لها فصلا بحث فيه هذه المسألة، وبين أدلة المانعين والمجوزين، وناقش أدلتهم، وخلاصة بحثه أنه يرى الاستشهاد بالألفاظ التي رويت في كتب الحديث المدونة في المصدر الأول، وإن اختلقت فيها الرواية، ولا يستثنى إلا الألفاظ التي نجىء في رواية شاذة، أو يغمزها بعض المحدثين بالألفاظ أو التصحيف.

ومن عرض لهذه القضية المذكورة خديجة الحديثي في كتاب خاص سمته: (موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف)، وناقشت هذه القضية، وتبعت فيها الأقوال، ثم ضمنت كتابها بقرار من مجمع اللغة العربية بالقاهرة والذي أجاز فيه الاستشهاد بالحديث في اللغة. ومضمون هذه القرار ما يلي

(١) لا يحتاج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في المصدر الأول ككتب الصحاح الستة فما قبلها.

(٢) يحتاج بالحديث المدون في الكتب السابقة على الوجه التالي: الأحاديث المتواترة المشهورة، والأحاديث التي تستعمل ألفاظها في المبادات، والأحاديث التي تعد من جوامع الكلم، وكتب النبي - صلى الله عليه وسلم -، والأحاديث المروية أنه - صلى الله عليه وسلم -.

(١) بغية الوعاة للسيوطي ٢/٤٠٤.

(٢) خزائن الأدب لميد القادر البغدادي جزء ١/ص ٩-١٤ باختصار.

(٣) دراسات في العربية وتاريخها. ص ١٦٦ - ١٨٠.

كان يخاطب كل قوم بلغتهم ، والأحاديث التي عرف من حال روايتها أنهم لا يجوزون رواية الحديث بالمعنى ، والأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة . (١) ويرى مهدي المخزومي أن التحاه الذين لم يحتجوا بالحديث في اللغة أبعدوا جانباً مهماً من المصادر اللغوية ، ثم يقول : ولا يسع الناس إلا الاطمئنان إلى سلامة ما ذهب إليه ابن مالك ، ومن شايعه من اعتبار الحديث من المصادر التي يعتمد اللغوي ، والنحوي عليها . (٢) ومن عرض لهذه القضية الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه قواعد التحديث ، فبعد أن ذكر الخلاف في هذه المسألة قال : (والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوي في ضبط ألفاظه ، ويلحق به ما روي عن الصحابة وأهل البيت) (٣). وبعد هذه النصوص التي أوردتها أرى أن إنكار الاحتجاج بالحديث غير مقبول بالمرة ولا أقر الشيخ عليه ، فحجة القائلين بالمنع واهية عند النظر الدقيق يستلزم منها عدم الوثوق بكثير من الأحاديث ، فمما هو معلوم أن كثيراً من علماء الحديث منعوا الرواية بالمعنى ، ومن أجاز ذلك ، اشترط أن يكون على علم ، وأن يكون محيطاً بمواقع الألفاظ ، وقد عقد البندادي في كتابه (الكفاية) (٤) أبواباً في هذا المجال منها : (أ) : باب ما جاء في رواية الحديث على اللفظ ومن رأى ذلك واجباً . (ب) : باب ذكر الرواية ممن لم يجر إبدال كلمة بكلمة ، أو تقديم كلامه على أخرى ، أو حذف بحرف .. وهلم جرا . والشيخ محمد أطفيش يجيز رواية الحديث بالمعنى ، فعند تفسيره لسورة النمل ونفيه التناقض بين (لعلّي آتيكم) و(سآتيكم) ، يقول : وفي القضيتين جواز حكاية الكلام ، وحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمعنى فيما لم تعبد بلفظه . وما احتج به الشيخ على هذه المسألة لا يقرم به الاستدلال ، فإن كلمة زوجة استعملت في أحاديث غير هذا الحديث الذي جاء به ، وذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم - عن أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مع إحدى نسائه فسر به رجل فدعاه فجاءه فقال : يا فلان هذه زوجتي فلانه ، فقال : يا رسول الله من كنت أظن به فلم أكن أظن بك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم . (٥) يقول الإمام النووي - رحمه الله - مقلداً ومعباً على لفظه (زوجتي) ، هكذا هو في جميع النسخ (زوجتي) بالثناء قبل الياء ،

(١) موقف النجاة من الاحتجاج بالحديث، الدكتور حديجة الحديثي ص ٤١٤ - ٤١٨ .

(٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحر ، مهدي المخزومي ص ٩٠ .

(٣) قواعد التحديث جمال الدين القاسمي . ٢٩٠ - ٢٣٩ .

(٤) الكفاية في علم الرواية البندادي ص ٢٢٨ - ٢٤٦ .

(٥) رواه مسلم في كتاب السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدعول عليها ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٤ / ١٥٣ .

في جميع النسخ (زوجتي) بالثاء قبل الياء ، وهي لغة صحيحة وإن كان الأشهر حذفها ، وبالحذف جاءت آيات القرآن والإنجيل كثير أيضا. وذكر ابن منظور في لسان العرب: أن لفظة زوجة مستعملة في كلام العرب ، وأنها لغة تميم، وأورد في ذلك شواهد شعرية (١) . والمعجب أن الشيخ نفسه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ سورة البقرة (٢٥) . يستشهد ببيت الفرزدق (٢) الذي أورده ابن منظور على جواز لفظة زوجة حيث قال : والجمع للقلة، والمراد الكثرة . وقبل لغة تميم ، وكثير من قيس . ولعل هذا بدل على إن القضية عند الشيخ ليست قضية مبدأ متأصل ولكنها مجرد فكرة نظرية ليس لها حجة من دليل .

٣- الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين :-

ذهب نفر من العلماء إلى أن ما نقل عن الصحابة والتابعين يعد من التفسير المأثور ، وهذا ما رجحه الدكتور محمد حسين الذهبي (٣) ولقد حرص الشيخ محمد أطفيش - رحمه الله - على الاستمداد من عطاء الصحابة والتابعين، فجاء تفسيره حافلا بأقوالهم ، حتى ان المتبوع لصفحات هذا التفسير يجد أنه لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من نقل عن علم من أعلام الصحابة والتابعين وغيرهم. غير أن الشيخ يوردها دون أن يعزوها للمصدر الذي أخذ منها ، وغالبا ما يؤثر الصمت عليها، فلا يتعقبها بشيء وهذه أمثلة على ذلك: فأول ما يطالعنا من اهتمامه فيما يروي عن مشاهير الصحابة والتابعين ، ما قالوه في مجال الحروف المقطعة في بدايات السور، كما فعل ذلك في أوائل سورة يونس، وطه ، والشورى ، فعند تفسيره لسورة طه يقول : ومعنى طه : يا رجل ، أو يا إنسان عند مجاهد (٤) ، والحسن (٥) ، والضحاك (٦) ، وعطاء (٧) وغيرهم . (٨) والذي يبدو والله أعلم بما ينزل أن كل ما ذكر في معاني هذه

(١) لسان العرب ٢/٢٩٢-٢٩٣.

(٢) البيت هو : وإن الذي يسعى ليقسد زوجتي كساع إلى أسد الشرى يسيئها

أورد صاحب لسان العرب ونسبه إلى الفرزدق تحت ملء (زوج) ٢/٢٩٢.

(٣) التفسير والتفسيرون - الذهبي ١/١٥٢.

(٤) مجاهد بن جبر يكتي بأبي الحجاج المخزومي من فلاميد ابن عباس، ت ١٠٤ هـ - الإصابة ١/٩٧.

(٥) الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري تابعي وروى، ت ١٦٠ هـ ، تهذيب التهذيب ٥/٦٥.

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي البجلي ، مفسر وثقه أحمد ، ت ١٠٥ هـ ووفيات الأعيان ١/٤١٦.

(٧) عطاء بن أبي رباح المكي من سادات التابعين ، ت ١١٤ هـ . تهذيب التهذيب ٧/١٩٩-٢٠٣.

(٨) تيسير التفسير ٨/١٣٧ ، انظر الدر المنثور ٥/٥٠٥ الآلومي ١٦/١٤٩.

الحروف اجتهادات من العلماء لا دليل عليها ومعظمها لا يصح لأن الوقوف على المعنى الحقيقي لا يتسنى إلا بورود نص صحيح ولم يتوافر من ذلك شيء يقول الشاطبي (إن هذه القوانح اسرار لا يعلم تأويلها إلا الله) (١) وفي مجال عرضه لأسباب النزول في بعض الآيات يورد اختلاف السلف فيمن نزلت فيهم هذه الآيات، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِحُوا لَكُمْ جَاهِدُوا وَصَبِرُوا﴾ سورة النحل (١٨٠). يورد قول الحسن وعكرمة (٢)

بأنها نزلت في عبد الله بن أبي السرح، وقول مقاتل أنها فيمن أسلم بمكة، وذكر البعض أن الآية في عمار واضرابه. (٣) وفي معرض توضيحه لمعنى (سيماهم) (٤) الواردة في قوله تعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وجوههم من أثر السجود﴾ سورة الفتح (٢٩). يقول: وعن سعيد بن جبير (٥) وسعيد بن المسيب: (٦) السيماء ندى الطهور، وثراب الأرض، وقال مجاهد وسعيد بن منصور: (٧) أن السيماء الخشوع والتواضع. وعن عكرمة والضحاك: السيماء صفرة الوجه من السهر في العبادة، وفي قول لعطاء: حسن بعثري وجوه المصلين، وعن ابن عباس: السيماء الحسن، والحسن بياضاً في الوجه يوم القيامة يعرف به. أما اختيار الشيخ فهو موافق لما قاله مجاهد وسعيد حيث قال: فإن الذي يتبادر لي من حين صفرة السن وهو موافق لنوع ما قاله مجاهد وسعيد بن منصور، وهو الخشوع والتواضع. (٨) ومن ذلك ما نقله من عبارات المفسرين من الصحابة والتابعين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هِمَزَةٍ لِهَمَزَةٍ﴾ (٩) حيث قال: - وفسر ابن عباس الهمزة بالمشاء بالنسبة، المفرق بين الناس عمومًا، واللمز في المفرق بين الأخوان خصوصًا، وعن مجاهد الهمزة الطعان في الناس في الانساب، وعن أبي

(١) المرافقات ٢٣٧/٣

(٢) عكرمة أبو عبدالله المدني تابعي ثقة، ت ١٠٤ هـ تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧.

(٣) تيسر تفسير ١٠٣/٧ - ١٠٤ وذكر الأكرسي عدة أسباب وأحوال ثم قال: والله أعلم بحقيقة الحال ٤٠/١٤.

(٤) تيسر التفسير ٣٤٠/١٢ - ٣٤١، ومعظم هذه الروايات أوردتها السيوطي في القدر المشهور ٥٤٢/٧ وما بعدها.

(٥) سعيد بن جبير الأسدي من كبار التابعين وثقة أهل التعديل قتله الحجاج، ت ٩٥ هـ، تهذيب التهذيب ٣٦٥/١.

(٦) سعيد بن المسيب المخزومي من أجل التابعين مختلف في وقته قيل ٩٦ وقيل غير ذلك. تذكرة الحفاظ ٥٤/١.

(٧) سعيد بن منصور بن شعبة الحفاظ المروزي، ت بسكة ٢٢٧ هـ، تهذيب التهذيب ٨٩/٤.

(٨) ومعظم هذه الروايات نقلها الطبري في تفسيره، وأنتظر الوجد الذي قال به الشيخ ألقميش - الطبري ٧٩/٢٩، الأكرسي ١٢٤/٢٦.

العالية الهمزة في الحضرة ، واللمزة في الغيبة ، وعن ابن جريج (١) الهمز بالعين أو الشدق ، أو باليد أو الشفتين والغمز باللسان ، وقيل الهمز واللمز باللسان ، وهو ظاهر حسن (٢). وقد حفل الجانب الفقهي في هذا التفسير بحظ وفير من آراء الصحابة والتابعين ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ الكهف (٢٤) . حيث قال في مجال الحكم الشرعي في مسألة الإستهانة في اليمين : - قال ابن عباس : - يستثنى ولو بعد سنة أو أكثر ، وعن سعيد بن جبير أربعة أشهر ، وعن الحسن وطاووس (٣) ، وعطاء ، مادام في المجلس ، وعن مجاهد ستان . (٤) . وأحياناً يورد الشيخ أطنيش أقوال الصحابة والتابعين

ويدلل على صحتها ليستعين بها علي تأييد مذهبه . فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ ﴾ . الفارعة (٦) . حيث قال : موازينه جمع موزون : أي أعماله الموزونة الحسنة التي عوملت في تدقيق عددها ، وحالها ، ومقابلتها بجزائها ، معاملة الشيء بالوزن ، هذا مذهب المعتزلة ومذهب الفراء ، ومجاهد والضحاك ، والأعشى (٥) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس (٢٦) . يقول : - (الحسنى) الجنة (والزيادة) دوام رضا الله عليهم ، أو غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب كما روي عن علي ، وجابر بن زيد (٦) . أما تعقيب الشيخ علي ما ينقله من آراء الصحابة والتابعين ، وأقوالهم فتادراً ما يفعل ذلك فمن ذلك ما رد فيه قول ابن عباس عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْهَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ سورة ص (٧٧) . حيث قال : (وعنه أنه كان في جنة عدن لاني جنة الخلد ، ولعله لا يصح ، فإن الجنات كلها سواء في أن لا يخرج منها داخلها ، والله - عز وجل - أمره بالخروج مع ذلك لأنه لم يدخلها ثواباً لعمله) . (٧) ومن ذلك ما رد فيه

(١) ابن جريج : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي بالولاء من كبار التابعين ت ١٤٩ هـ ، انظر وفیات الأئمة ١٩٣/٣ .

(٢) تفسير التفسير ٣٣٤/١٥ ، انظر تفسير الطبري ١٨٨/٣٠ .

(٣) طاووس بن كيسان البجلي تابعي ثقة روى عن ابن عباس وابن مسعود . ت ١٠٩ هـ تهذيب التهذيب ٥/ ١٠ .

(٤) تفسير التفسير ٣٦٤/٧ ، انظر تفسير القرطبي ٣٨٦/١٠ .

(٥) الأعشى : هو الإمام الحافظ أبو محمد سليمان بن مهران الكوفي ، ت ١٧٤ هـ سير أعلام النبلاء ٤٧٠/١١ .

(٥) تفسير التفسير ٣١١/١٥ . قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية : فأما من ثقلت موازين حسنة يعني الوزن ١٨٢/٢٠ وقال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية : وقد تقدم القول في الميزان وأن له كفه ولسان توزن فيه الصحف المكشوفة ١٦٦/٢٠ ، وانظر ابن كثير ٤٣/٤ .

(٦) تفسير التفسير ٢٤٢/٥ . لقد ذكر الشيخ هنا ما نسب إلى علي وجابر فقط وكان التزاماً عليه أن يأتي بالرأي الآخر في بيان معنى الزيادة وقد روى أنس أن النبي سئل عن هذه الآية فقال : الحسنى : الحسنة والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم وهذا قول أبي بكر وحذيفة وأبي موسى الأشعري . وعبدية بن الصامت وكنب بن عجرة وصهيب وعلي بن أبي طالب في رواية وابن عباس في رواية ، وهو قول جماعة من التابعين . قال القرطبي : وهو الصحيح في الباب . تفسير القرطبي ٣٣٠/٨ (٧) تفسير التفسير ٢٢٦/١١ .

قول عكرمة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم... وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ الفتح (٢٩). حيث قال : ومن الفساد في التفسير ما قيل عن عكرمة، أخرج شطأه بأي بكراً، فأزره بعمر، فاستغلف بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي (١). وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها ﴾ البقرة (٦٦). رد قول مجاهد أنهم لم يسخروا صورة ولكن قلوبا. المبحث الخامس: موقفه من الإسرائيليات

الذهبي : الإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى إسرائيل أبناء يعقوب ومن تناسلوا منهم فيما بعد وهي ما روي من أخبار، وقصص عن مصدر إسرائيلي أو نصراني (٢). ونوسع فيها حتى شملت كل ما هو غريب عن البيئة الإسلامية ودخيل عليها ، وإن لم يكن مصدره يهودياً أو نصرانياً . وفي عصره - صلى الله عليه وسلم - لم تكن هذه القضايا منتشرة ، وإنما ظهرت وتضخمت في عصر التابعين ، ثم جاء من شغف بالإسرائيليات ، وأفرط في الأخذ منها خاصة الرعاظ والقصاص . وقد تسربت هذه الإسرائيليات إلى ميدان التفسير وامتزجت به ، وراجت بين المفسرين ، وتفاقم خطرهما، وتاهلوا في نقلها ، واستوت في ذلك تفاسير المتقدمين والمتحدثين ، على تفاوت بينهم في ذلك قلة وكثرة، تعقبا عليها وسكوتا عنها ، (٣) ومع ذلك فقد تعالت صيحات كثير من العلماء لمحاربة الإسرائيليات والتنبيه عليها، ومن هؤلاء : ابن تيمية حيث أبان عن حكم التعامل مع هذه الإسرائيليات، وصرح أن ما وافق شريعتنا تجوز روايته للاستشهاد لا للاعتقاد ، وما خالفها فيجب تكذيبه ولا تصح روايته ، وما سكت عنه فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته على أن ينسب إليه، وما عندنا يغبينا ويكفينا (٤) . ويقول الدكتور محمد أبو شهبة - رحمه الله - في بيان حكم رواية الموضوعات والإسرائيليات (قال العلماء سلفاً وخلفاً لا يحل رواية الحديث الموضوع في أي باب من الأبواب إلا مقترنا ببيان أنه موضوع مكذوب سواء في ذلك ما يتعلق بالحلال والحرام أو الفضائل أو الرغيب أو التهيب ومن رواه من غير بيان فقد باء بالإثم العظيم . وفي حكم الموضوعات الإسرائيليات التي الصفقت بالنبي صلى الله عليه وسلم زورا وكذبا عليه ؟ (٥) . وحين نأتي إلى موقف الشيخ

(١) تفسير التفسير ١٢ / ٣٤٦.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : الدكتور الشيخ محمد أبو شهبة ص ١٦ ، التفسير والمفسرون الذهبي ١ / ١٦٥.

(٣) انظر كتاب الإسرائيليات في التفسير والحديث للشيخ محمد حسين الذهبي ص ١١٦ ، التفسير والمفسرون - الذهبي ١ / ١٦٩.

(٤) مقدمة في أصول التفسير . ابن تيمية بنصرف . ١٠٠ . ١٠٢ وانظر مقدمة تفسير القرطبي ١ / ٣٨.

(٥) الإسرائيليات والموضوعات ص ١٧.

محمد أطفيش من الإسرائيليات ، نجد أن التيار قد جرفه ، فجاء تفسيره محشواً بذكر الروايات الضعيفة الواهية ، والغرائب والمعجائب . وكان المؤمل من الشيخ وهو صاحب العلم الغزير أن ينزه تفسيره ويصونه عن مثل هذه الخرافات ، وأن ينكرها أشد الإنكار ، خاصة أن الشيخ يعد من العلماء المحدثين المجددين الذين كان لزاماً عليهم أن يتحملوا الجهد في تخريج الروايات التي أوردوها المتقدمون ، ويتفقدوها ، ويميزوا صحيحها من دجيلها ، ولكون الشيخ صاحب فكر يعمل العقل والفكر فيما يعرض عليه ويمحصه . ولعل الشيخ قد أدرك بأنه قد أسرف في ذكر الروايات الغريبة ، فأراد أن يبرر موقفه ، حيث قال : (وأعلم أنني أذكر القصص في التفسير ، ولو مع كثير منها عندي ليستريح إليها القارئ والمستمع) (١) . وهل هذا الذي ذكره الشيخ يرفع له ؟ ثم هل القارئ لتفسير كلام الله يعمل فيحتاج إلى أن يلفظ نفسه ، يأخذ فترة استراحة ، مع هذه الروايات ؟ والأصل أن القرآن الكريم يقصد من إيراد القصص موطن العبرة ، والعظة ، والادكار ، ولم يكن غرضه سرد الوقائع التاريخية لمجرد الأخبار ، ثم إن القارئ لهذا التفسير قد يكون من العوام ، فما يلزمه الصحيح من غيره ، فهو يسلم بصحة ما يقرأه ويستمع إليه .

وأرى أن موقفه من هذه الروايات ينقسم إلى ثلاثة أقسام :-

- ١- قسم أوردته دون أن يقف معه ويعقب عليه .
- ٢- قسم علق عليه ولكن هذا التعليق لم يكن محدداً وواضحاً .
- ٣- قسم عقب عليه وحكم عليه بالرد .

وفيما يلي عرض لهذه الأقسام ، فمن القسم الأول ذلك ما ذكره في قصة خلق حواء من آدم - عليه السلام - فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ البقرة آية (٣٥) ، يقول الشيخ : - وبعد أن استقر فيها خلق الله زوجته حواء من ضلعه اليسرى وهو نائم ، ولم يحس ألماً ، فيقال لو أحس الألم كان الرجل لا يعطف على المرأة ، وخلق الله في موضع الضلع لحمة . ثم يورد قصة الإخراج من الجنة وكيف توصل إبليس إلى آدم وزوجه ، ثم فصل في كيفية الهبوط ، وأين كان حيث قال : (ودخل الجنة متصوراً في صورة دابة من دواب الجنة ، ولم تعرفه الملائكة أو دخل الجنة في قم الحية فمنه سمها ، وكانت بقوائم على طولها ومن أحسن الدواب فعوقت بسلب القوائم ، وقبل تسورت على الحائط ، وقبل وقف طاووس على الجدار ، فذهب إليه آدم وحواء فوسوس منها إليه ، وقد جاء إلى قرب الحائط وقبل وسوس إليها من وراء الجدار . ثم يقول إن آدم نزل في الهند على جبل يسمى نود ،

(١) تيسر التفسير ١٣٤/٥ هكذا جاءت العبارة ولعل فيها نقصاً بعد عندي (لم يصح) .

وحواء بجدة، وإبليس في البصرة، وزوجة إبليس في أصبهان، والطاووس بالشام. (١) والغريب من الشيخ أنه ساق هذه الروايات والحكايات ولم يستدها لأحد دون أدنى تعقيب أو تعليق، مع أنها في غاية الغرابة، وقد عتب ابن كثير على مثل هذه الروايات حاكما عليها بأنها من الإسرائيلية. (وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيد، وأبي العلية، ووهب بن منبه وغيرهم ههنا أخبارا إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس، وكيف جرى من دخول إبليس الجنة ..) (٢) ومن صرح كذلك بطلان هذه الروايات الفخر الرازي. (٣) وناقش الدكتور محمد أبو شهبة هذه الروايات من الناحية العقلية ورأى: (أن وسوسة إبليس لآدم - عليه السلام - لا تتوقف على دخوله الجنة، إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب أو مشافهة، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه، والحية خلقها الله يوم خلقها على هذا، ولم تكن لها قوائم ...). (٤) ومن الإسرائيلية التي ضمنها الشيخ أطفيش تفسيره ما ذكره عند حديثه عن قصة بناء الكعبة، فحشد لنا مجموعة من الروايات في بناء البيت ومن بناءه، ومتى بناءه، وموضع الكعبة قبل الأرض، وأنها كانت قبل الأرض بألفي سنة، زبدة يضاء، وبسطة الأرض من تحتها، واستوحش آدم إلى الله - عز وجل - فأنزل عليه البيت المعمور ياقوته من الجنة لها بابان من زمرد أخضر، ثم أنزل عليه الحجر الأسود، وحج آدم من الهند ماشيا، وأن الله - عز وجل - أمر الملائكة أن ينوا في كل سماء وأرض بيتا على سمت الكعبة، ورري أن الأرض انشقت إلى متنهاها، وقذفت الملائكة حجارة كالإبل وبنوا البيت عليها ... (٥). وقد ذكر الشيخ هذه الأقوال ولم يعقب عليها بشيء، وقد صرح ابن كثير (٦) في تفسيره بأن غالب من يذكر هذا إنما يأخذ من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب، ولا يعتمد عليها بمجرد ما، أما إذا صح الحديث في ذلك فعلى الرأس والعين. ومن الروايات الإسرائيلية التي ذكرها الشيخ أطفيش ولم يبنه عليها لا بقليل ولا بكثير، ما ذكر في سورة الكهف. فقد ذكر أسماء أصحاب الكهف ونسبهم، ومتى وجدوا، وفي أي مكان كانوا، واسم كلهم أهو قطمير أم غيره؟، ومالونه أهو أصفر أم أحمر؟ ثم قال: (قال رجل من أهل الكوفة رأته كآله نوب إنجاني، ومن الذي كان بقلب أصحاب الكهف ذات اليمين وذات الشمال، وكم مرة في السنة وفي أي

(١) تفسير التفسير ٥٦/١ - ٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٨٠/١.

(٣) مفاتيح الغيب - الرازي ٣٠٧/١.

(٤) الإسرائيلية والموضوعات في كتب التفسير د. محمد أبو شهبة ١٨٠.

(٥) ولو أنه ذكر الرواية التي ذكرها البخاري في صحيحه لكان في ذلك غنية عن كل ماذكر، كتاب التفسير بـ

(وإن رفع إبراهيم القواعد)، ورقم الحديث (٤٤٨٤). فتح الباري ١٩/٨.

(٦) تفسير ابن كثير ١٧٣/١.

يوم، وهل طالت شعورهم وأظافرهم، ومن الملك الذي كان يومها؟ ثم يذكر أنهم لما ماتوا جعلهم الملك في توابيت من ذهب فأتوه في الليل، فقالوا: خلّقنا من تراب فجعلهم في توابيت من ساج. وفي نهاية ذلك يقول: وبطفاً الحريق - إن شاء الله - بإلقاء ورقة مكتوب فيها أسماء أهل الكهف، وإن كتبت على دار لم تحترق، أو مناع لم يسرق وتدفّع بإذن الله للطلب والهرب، وبكاء الأطفال والحمى والصداع. رحم الله الشيخ، من أين أتى بهذه الخرافات التي لا تمر حتى على العجائز، وما الحكمة من إيرادها، ثم المرور عليها دون أدنى تعقيب أو مناقشة. وقد استكر الإمام ابن كثير هذه الروايات، فقال: وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً.. ولا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي - والله أعلم - بأي بلاد الله هو، ولو كان لنا فيه مصلحة لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه. (١) ثم ذكر اختلافهم في لون الكلب فقال: واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها. ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه فإن مسندها رجم بالغيب. (٢) وعند تفسير الشيخ للآيات التي تحدثت عن لقاء موسى - عليه السلام - والخضر، وما جرى بينهما، وعن قصة ذي القرنين يورد هناك من الأخبار العجيبة، والروايات الواهية ما الله به عليم (٣). ويعلق الحافظ ابن كثير على هذه الروايات بقوله: (وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أنهما طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له فيه طول، وغرابة في أشكالهم، وصفاتهم وطولهم، وروي ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدُها). (٤) ومن الإسرائيليات التي تورط فيها الشيخ وضمناها تفسيره وهي ظاهرة البطلان، خيالية الوقوع، ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ...﴾ النحل (٢٣). حيث قال ما ملخصه: تملك سباً تنصرف فيهم تنصرف المالك للمال بلقيس، وقبل اسمها ليلي، وقيل أبوها السرح بن الهذاهد ملك اليمن، من أربعين أباً كلهم ملوك، وهو آخرهم.

وجاء الحديث بأن أحد أبوي بلقيس جني، ويقال: كان أبوها ملك اليمن، ويقول لملوك الأطراف: لا كفولي منكم، أتزوج منه، وكان كثير الصيد، وكان يصيد الظباء فيشبين له أنها من الجن. فبطلقها، وظهر له ملك الجن وشكر له فعله، وانخله صديقاً، وزوج له بنته، وهي ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس، وقيل رأى حية سوداء تغلبت على حية بيضاء فقتلها، وحمل البيضاء وصب عليها الماء وأطلقها، ورجع إلى داره وقعد منفرداً، فإذا شاب

(١) تفسير ابن كثير ٧٥/٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٦/٢.

(٣) تفسير الفهر ٤٢٦/٧ - ٤٧٨.

(٤) ابن كثير ١٠٤/٢.

جميل فخاف ، فقال: لا تخف أنا الحية البيضاء ، وأما السوداء فعبد طفلي وقتل عدة منا وعرض عليه المال. قال: لا حاجة لي فيه، ولكن زوجتي بتك إن كانت لك بنت ، ففعل فولدت له بليس. (١) ثم يذكر قصة غريبة في توليها الحكم ويصف عرشها، ويأتيك بكل غريب عجيب ، ويشير إلى قصتها مع سليمان (٢) عندما أراد أن يتزوجها.

فقبل له : إن رجلها رجل حمار، ويستطرد في ذكر مرويات مختلفة مكذوبة بلا شك. وبهر الشيخ على هذا القصص الخيالي دون أن ينبه علي ذلك، أو يبين وجه الحق والصواب ولا بكلمة واحدة ، بل يتفاعل معها وينشد إليها ، وكان الأخرى به بعد أن نقلها أن يقف معها ويتعقبا ، كما فعل الحافظ ابن كثير الذي قال: (والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلفاة عن أهل كتاب مما وجد في صحفهم ، كروايات وهب (٣) وكعب (٤) سامحهما الله تعالى فيما نقلنا من أخبار بني إسرائيل من الأرباب (٥) ، والغرائب ، العجائب مما كان ، وما لم يكن ، وما حرف ، ونسخ وبدل ، وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه ، وأنفع وأوضح ، وأبلغ ، والله الحمد والمنة (٦).

القسم الثاني : ما أورده رعلق عليه ولكن هذا التعليق لم يكن محمدا :

لقد أورد الشيخ - رحمه الله - بعض الإسرائيليات ، والمرويات المختلفة ، وأشار إليها بإشارات تتراوح ما بين قبولها أو الاعتراض بها ، مصرحا أحيانا وملصحا أحيانا أخرى . مع أن هذه الروايات واضحة البطلان وضوح الشمس وضحاها ، تتعارض مع ما في شريعتنا من تعاليم، وليس لها أدنى حجة تثبت صحتها. ومن ذلك ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿... وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ سورة البقرة (١٠٢) . حيث يقول في مجملة : وأما ما روي - عن هاروت وماروت - أنها ملكان من أعبد الملائكة ، تعجبت الملائكة من كثرة ذنوب الناس. فقال الله - عز وجل - : لو ركب فيكم ما فيهم لعصيم مثلهم، فاختاروا هاروت وماروت ، فركب فيهم الشهوة ، وأمرهما بالقضاء بين الناس، فما مد عليهما مدة حتى افتتنا بامرأة إختصمت إليهما، فراوداها فأبى حتى يشربا الخمر ، ويسجدا للعصم ،

(١) تيسر التفسير ٣٣٧/٩. (٢) ٣٤٦/٩. (٣) ٣٤٦/٩.

(٤) وهب بن منبه من قضاة بني قيس وهو أبو عبد الله اليمني الصنعاني ، ت ١١٠ هـ ألف كتابا في المختار في أكثر فيه من الإسرائيليات . تهذيب التهذيب ١١/١٦٦.

(٥) كعب : هو أبو اسحاق كعب بن مانع الحميري أسلم في خلافة عمر وقيل أمي بكرت ٣٢٢ هـ. تهذيب التهذيب ٨/٤٣٨.

(٦) جمع أبهذه وهي الأمر العجيب يشرب له ، لوالداهية يعني ذكرها أبدا ، وجمعها لولاه واوله الكلام غرابه وعجابه. انظر المعجم الوسيط ٢٢/٩.

(٦) ابن كثير ٣/٣٦٦.

﴿أفريتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ النجم (١٩، ٢٠).

قرأ الشيطان محاكيا لصوته: تلك الغرائيق العلا، وأن شفاعتهن لترجى، ويرى قرأ ذلك ناعسا، وما في قلبه شيء من ذلك، ورضي عنه المشركون وسجد حينئذ وسجدوا، واتبه لذلك، أو نبهه جبريل عليه السلام - فأخبرهم بأنه لم ينطق هو بذلك، أو لم يقصد ذلك. ثم يقول: وضعف البيهقي، وعياض ذلك الحديث، ثم يذكر احتمالات ويقنها حيث يقول: إما أن يتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم. عمدا وهذا لا يجوز لأنه إشراك، وإنما يعنه الله لإبطال الشرك، والطمع في الأصنام لا لمدحها.

وإما أن يجري الشيطان ذلك على لسانه - صلى الله عليه وسلم. إجبارا بحيث لا يقدر أن يمتنع وهذا باطل؛ لأنه لا قدرة للشيطان على ذلك في حق غيره، وكيف في حقه - صلى الله عليه وسلم. وإما أن يجري ذلك على لسانه في غفلة أو نوم وذلك لا يجوز؛ لأنه يؤدي إلى عدم الاعتماد على ما يقول وقال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت (٤٢). فلما بطلت هذه الوجوه بقي أن يقال: إنه تمت قرأته - صلى الله عليه وسلم.

عند قوله (ومناة الثالثة الأخرى). قال الشيطان غيب ذلك محاكيا صوته تلك الغرائيق العلا. سمعوا صوته، وقد سمع الناس في مواضع كما قال يوم أحد إن محمدا قد قتل، ويوم بدر لا غالب لكم اليوم وسموه. (١) وهكذا نرى الشيخ مضطربا فمرة يتكرر هذه الرواية ومرة يجعل لها أصلا، وعندما اطلمت على هذه الاحتمالات التي أوردها ظننت أنه رأي فطير. أتى به الشيخ من تلقاء نفسه، فلما رجعت للمسألة في فتح الباري (٢) فإذا بهذه الاحتمالات يوردها ابن حجر مع إضافات أخرى ويجعل للقصة أصلا، ويحملها على هذا التأويل الأخير الذي ارتضاه الشيخ ورجحه. ولرى أن هذا التأويل والتخريج لهذه الرواية لا يصح لا نقلا ولا عقلا، ولا يسمح به السياق، بل إن جعل القصة لها أصل يطل ما أثبت أولا من عصمته - صلى الله عليه وسلم - فكيف يتكلم الشيطان على لسانه - صلى الله عليه وسلم - وهو لا يدري والأمة مجمعة على أنه معصوم فيما يبلغ، والتلاوة أعظم البلاغ، ثم إن هذه القصة من ناحية الرواية لم ترد في كتب الصحاح، ولم يروها أحد من أهل الصحة، ولا أسندها ثقة بسند صحيح متصل، وهي رواية مرفوضة حتى وإن رواها من (جاوز القنطرة) على حد تعبيرهم.

ولله در الإمام الرازي (٣) إذ قال: (هذه رواية باطلة موضوعة، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعتقول. ونقل قول ابن خزيمة: - إنها من وضع الزنادقة) وقد أوضح ابن كثير

(١) تيسير التفسير ٤٣٨/٨ وما بعدها.

(٢) وهذا يدل على أن هذه الأقوال مأخوذة من فتح الباري بقرينة وجودها فيه وترجيح ما رجحه مصنف الكتاب. فتح الباري من ٢٩٣/٨ - ٢٩٤.

(٣) مفاتيح الغيب - الرازي ٣٢/٥ باختصار.

حقيقة هذه الروايات فقال: وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرابي.. ولكنها من طرق كلها مرسله ولم أرها مستندة من وجه صحيح والله أعلم (١) وجمع الرد على هذه الرواية الموضوعة الشيخ القاسمي في محاسن التأويل (٢) فأقرأها هناك بنين لك وجه الحق والصواب إن شاء الله. ومن القصص ظاهرة البطلان التي أوردتها الشيخ: ما أثير من قصة زواجه - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش - رضي الله عنها - فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُذِيقُوا لَذَّةَ الْحَيَاةِ﴾ (٣) يقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله (٤) الأحراب (٥) يورد رواية موضوعة في سبب نزول الآية ملخصها كما جاء عنده: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاء إلى بيت زينب ذات يوم لحاجة، فابصر زينب فوقعت في نفسه، فقال سبحانه الله مقلب القلوب، وسمعت فأنخبرت زيدا حين جاء. ويأتي برواية أخرى منها: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاء إلى زيد فلم يجد في بيته، فعرضت عليه زينب الدخول فلم يدخل، وسمعت يقول: سبحانه الله، فأنخبرت زيدا بما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - فجاءه فقال: هلا دخلت يا رسول الله لعلها أعجبك فاطلقها فقال: (أمسك). ثم يعلق قائلا: وأنكر العلماء القوانين جدا - ولعله يريد محبتها أو إرادة طلاقها - ولا أرى فيهما بأسا؛ لأن ذلك بأمر الله تعالى ولأن الأنصار يطلقون بعض نسائهم ليتزوجهن المهاجرون. (٦) سامح الله الشيخ وعفا عنا وعنه كيف يجرؤ على إيراد هذه القصة وإن ذكرها غيره وهي ظاهرة البطلان حتى ولو رويت من طريق سلسلة الذهب - كما يقولون - فكيف وهي من القسم الذي علمنا كذبه بما عندنا من حقائق شرعية فيجب تكذيبه، وتحرم روايته.

فهذه الرواية المتهافة لا تناسب مع منصبه الشريف - صلى الله عليه وسلم - ولا يليق أن يقال عن آحاد الناس فضلا عن أكرم الخلق، وكيف نصدق مثل هذه الرواية المساقطة في أمانيها فتقع في شراكمها. ونرى أنه لا بأس بها، ونفتح بذلك بابا للمستشرقين وأبواقهم ينفذون منه للطعن في النبي الكريم، الذي أحرست سيرته النقية كل خصومة. وباليك الشيخ كان ظهيرا قويا ومشايخا لمن سبقه من المفسرين في إبطال هذه الروايات، وإعراضه عنها إعراض الخبير بها كما فعل الحافظ ابن كثير - رحمه الله - إذ قال: وذكر ابن أبي حاتم، وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف أحبنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نورد لها. (٧)

ومن استعرض هذه الروايات ورصدها، ونقدها نقدا علميا في غاية الأحكام، القاضي أبو بكر بن العربي، فجزاه الله خيرا. (٨)

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٢٩.

(٢) محاسن التأويل للشيخ جمال الدين القاسمي ١٢/٣٨-٥٧.

(٣) تفسير تفسير ١٠/٢٦٣-٢٦٤.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٢٩١.

(٥) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٣/١٥٢٧-١٥٣٢.

القسم الثالث : وهو معلق عليه وحكم عليه بالرد .

لئن أخذ على الشيخ - رحمه الله - صنيعة فيما أورده من قبل ، فإنه يسجل له هنا أنه كان يورد بعض الروايات ، ويقف معها مبينا بطلانها ، أو ناقلا لأقوال المحققين لهذه الروايات .

نجد تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ يوسف (٢٤) . ذكر أن هم امرأة العزيز القصد منه المباينة . أما يوسف فلم يهم بها ، لأنه رأى برهان ربه ، ولولا للامتناع كأنه قيل : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، وبعد أن اختار هذا القول ثراه ساحة نبي الله يوسف - عليه السلام - من الروايات الكاذبة التي نسبت إليه . بقوله : والقول بذلك في نبي فسق . والحجة في ذلك عصمة الأنبياء قبل البعثة وبمدها . (١)

والرأي الذي اختاره الشيخ هنا هو الرأي الذي قاله الرازي ودافع عنه بشدة ، (٢) واختاره أبو حيان في البحر المحيط (٣) ، وجوزه الشنيطي في أضواء بيانه . (٤)

ومن الإسرائيليات الباطلة التي ذكرها ونبه عليها وسخر من القائلين بها ، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالْقَيْنَا فِيهَا رِاسِي وَأُنْبِتَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ق (٧) . حيث قال : والارض أنزلها الله تعالى في الفراغ لا ترتكز على شيء ، كما ظنه اليهود أنها ارتكزت على قرن ثور ، وأن الثور على صخرة ، والصخرة على حوت ، والحوت في البحر ، والبحر على ظلمة ، ونحو ذلك من أقوال باطلة ، وهل ترى الظلمة جسيما يحمل شيئا ؟ ولزم التسلسل فدع السلسلة إلى قدرة الباري الماسك لها بالتكوين دون مركز ، ولعل بعض الفراعنة الذين يعبدون البقر وضع ذلك عمدا أو تمعنا أن الثور المعبود هو الواسطة في حرثها ، وغرسها ، ونسي هنا المعنى المجازي وحمل الكلام على ظاهره . (٥)

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ لقمان (٢٧) . حيث قال : روي الطبراني ، وابن المنذر عن ابن عباس : أنه خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها ، ومن وراء ذلك جبلا محيطا به ، يقال له (ق) ، وخلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ... حتى عد سبعة أراضي ، وسبعة أبحر ، وسبعة أحيل ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ . والله أعلم بصحة ذلك ، والله تعالى قادر على ما لا يحصى من ذلك ، وهب أنه ذكره كعب الأحيار رضي الله

(١) تيسير التفسير ١١٠/١١١.

(٢) مفاتيح الغيب - الرازي ١١٧/١١٨.

(٣) البحر المحيط - أبو حيان ٢٩٥/٥.

(٤) أضواء البيان ٦٠/٣.

(٥) تيسير التفسير ٤١٥/١٢.

عنه ، لكن لعله آخذه من كتب الإسرائيليين ، وهو في نفسه ثقة ، ويبحث بأنه إذا كان ثقة لم يرو إلا ما صح ، فيجانب بأنه رواه فلانا أنه صحيح . مع أنه ليس مما يقطع فيه العذر . (١) وبالنسبة للشيخ محمد أطفيش - رحمه الله - سلك في القسنيين السابقين كما سار عليه في هذا القسم ، ولعل هذا يعود إلى أن الشيخ لم يجعل لنفسه قاعدة تجاه هذه الإسرائيليات ، فابتلي بها وأتقل بها تفسيره ، ولوجرد هذا التفسير وخلص من هذه الروايات الواهية ، والقصص الخيالية لكان أقل حجما بكثير مما هو عليه الآن.

سادسا : اهتمامه بالأسور التاريخية :-

من الأمور الهامة لدى الشيخ أطفيش تعلقه الواضح بالاعتماد التاريخية وتوسعه بذكر أحداث السيرة ، ومجريات غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم - تمثيا مع نزعة الشيخ القصصية ، التي من مقوماتها سوق مثل هذه الأمور . إلا أنه يحاول أن يكون العرض لأحداث السيرة ، والغزوات وفقا لما جاءت به الآيات القرآنية الكريمة . مستشهدا لها بما نقله عن أصحاب السير والمفسرين .

فقد سرد عند تفسيره لسورة الأنفال مجريات وأحداث غزوة بدر حتى تأخذ منه ما يزيد على خمس صفحات . (٢) ويعرض لغزوة أحد (٣) ، ويفف مع هذه الغزوة في مواطن متعددة وفقا لما جاءت بها الآيات.

وفي سورة التوبة يسوق معظم الروايات التي ذكرت في أحداث الهجرة (٤) متوها بفضائل أبي بكر رضي الله عنه ، ويتوسع في غزوة حنين (٥) ويسرد كثيرا من القصص التاريخية ، فيورد قصة أصحاب القبل (٦) ، ويورد قصة تخريب بيت المقدس (٧) ، وتحرير صلاح الدين له . وكثيرا ما يتطرق إلى أحداث تاريخية وقعت في الأندلس ، وينوه بقائد المرابطين يوسف بن تاشفين (٨) الذي استجاب لدعوة الأندلسيين .

(١) تفسير التفسير ١٠/١٥١.

(٢) تفسير التفسير ١/٥٠٣، ٣١٠.

(٣) تفسير التفسير ٢/١٥٨، ١٧٦.

(٤) تفسير التفسير ٥/٢٤، ٣٠.

(٥) تفسير التفسير ٤/٢٧٤، ٢٨٢.

(٦) تفسير التفسير ١٥/٢٤١، ٣٤٢٦.

(٧) تفسير التفسير ١/١٦١.

(٨) يوسف بن تاشفين بن ابراهيم أمير المسلمين سلطان المغرب الأقصى وباني مدينة مراكش (٤١٠ - ٥٠٠هـ).

ورأى أن فريضة الجهاد توجب عليه تلبية إخوانه المسلمين ، وكم تمنى الشيخ أن يكون جندياً غازياً في جيش يوسف بن تاشفين ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾ التوبة (٤١) . قال : أكب على التأليف ، إذ لم أجد لنا ابننا غازياً يوماً ولا ماله أغزو ، ولو كنت في زمان الأمير يوسف بن تاشفين لكنت أطلع عليه من سائر أحواله . إن شاء الله . ولعل الله يجعل لي ثواباً لقصدي .

الفصل الخامس

قضايا علوم القرآن في هذا التفسير

وفيه المباحث التالية :

أولاً : أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم

ثانياً : أسباب النزول .

ثالثاً : المناسبة بين الآيات والسور.

رابعاً : النسخ والمنسوخ .

خامساً : التكرار وموقفه منه.

سادساً : القراءات القرآنية .

سابعاً : المحكم والمتشابه.

ثامناً : إعجاز القرآن.

التمهيد : لقد عرض الشيخ محمد إطفيش - رحمه الله - لمباحث علوم القرآن الكريم ، ومما لا شك فيه أن مباحث هذا العلم ذات قيمة علمية مهمة، إذ تخدم الباحث في الوصول إلى فهم الكتاب العزيز، والعلم به واجب وشرط من شروط المفسر لكتاب الله.

والشيخ محمد كغيره من المفسرين يعتني في تفسيره بأهم المسائل المتعلقة بعلوم القرآن ، ويفف على كثير من أنواعها. ومما يجدر ذكره أن هذه المسائل نجدها عند الشيخ غير محررة ؛ وذلك لأن الحديث عنها جاء عرضاً أثناء التفسير .

وسأعرض لأهم المباحث التي تناولها الشيخ في تفسيره ، وهي تضم القضايا التالية :

المبحث الأول : أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم :

يذهب الشيخ تبعاً لما عليه أكثر المفسرين ، والمحققين من أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق صدر سورة العلق . ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ . آية (١) ، وقد بحث الشيخ هذه القضية في أكثر من سورة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ الدخان (٢) . يقول : كان ابتداء الوحي مناما في ربيع الأول ، وبعد ذلك نزل القرآن نزولاً وهو : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ . في يوم الإثنين في سبع عشرة مضت من رمضان، أو لسبع منه ، أو لأربع وعشرين منه، ومضت ثلاث سنين بعد نزول (اقرأ) ، فنزلت ﴿يا أيها المدثر﴾ المدثر (١) . وعند تفسيره لسورة المدثر يسرد حديث (١) جابر بن عبد الله . حيث يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ سأله عن الآية : لما قضيت جوارى بحراء ، وقد جارت فيها شهراً، هبطت فنوديت بيميناً وشمالاً وعظفاً قلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فإذا السلك الذي جالس على كرسي في الهواء فرعيت فقلت لأهلي : دنروني ، فنزلت ﴿يا أيها المدثر﴾.

وعن جابر أنها أول ما نزل ، ثم يقول الشيخ : ولا يصح عنه هذا ، فإن هذه السورة نزلت بعد سورة المزمل بثلاث سنين ، وهو وقت إرساله . ألا ترى إلى الملك الذي جاءني بحراء ، فإنه جاء فيها فضمه . فقال : اقرأ وأطلقه.. ولعل جابراً أراد الأولوية بالإضافة إلى الإرسال بالإنذار أي أول ما نزل من الإرسال بعد فترة الوحي. وفي سورة العلق يأتي بحديث عائشة (٢) في بدء الوحي بنمائه مع حديث جابر، ويورد مثل هذا الكلام ، ويجمع بين

(١) حديث جابر رواه الإمام البخاري في كتاب التفسير باب سورة المدثر رقم الحديث (٤٩٢٢) من ٥٤٥/٨ ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان بدء الوحي ٢٠٦/٢.

(٢) حديث عائشة رواه الإمام البخاري في كتاب بدء الوحي ، رقم الحديث (٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٠١/٦ ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بدء الوحي صحيح مسلم شرح النووي ١٩٩/٢.

الحديثين الصحيحين ويزيل الإشكال بينهما ، ويرجح أن أول ما نزل هو سورة الملق. وقد أصاب الشيخ في ترجيحه هذا ، وهو ما جاء عن كثير من العلماء والمفسرين (١).

أما آخر ما نزل من القرآن الكريم:

لقد أورد الشيخ في معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة (٢٨١). رواية عن ابن عباس أن هذه الآية آخر ما نزل بها جبريل - عليه السلام - ، نزل بها وقال : ضمها على رأس المثنتين والثمانين من سورة البقرة . وهو الصحيح ، ثم يورد الأقوال الأخرى التي قبلت في آخر ما نزل . فقيل : إن هذه آخر آية نزلت في البيوع ، وعاش النبي بعدها واحدا وعشرين يوما وهو المختار ؛ لأنه عاش بعد قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ . المائدة (٣). واحدا وثمانين يوما ، وقيل تسعة أيام ، وقيل سبعة ، وقيل ثلاث ساعات . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ التوبة (١٢٨) . أورد حديثا رواه الحاكم (٣) أن آخر ما نزل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ . وعند تفسيره لآخر سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ . النساء (١٢٧) . ينقل الخلاف في آخر ما نزل ويوسع في ذلك ، ويأتي برواية ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا ، وآخر سورة نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحِ ﴾ النصر (٤) ، وروي أنه - صلى الله عليه وسلم - عاش بعد سورة النصر عاما ، ونزلت بعدها (براءة) ، وهي آخر سورة نزلت كاملة . وعاش النبي بعدها ستة أشهر ، ثم نزل في طريق حجة الوداع قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ النساء (١٧٦) . قيل : نزلت وهو يتجهز لحجة الوداع في الصيف ، ونزلت وهو واقف بعرفات ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، وعاش بعدها واحدا وثمانين يوما ، ثم نزلت آية الربا ، ثم نزلت ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴾ . وعاش بعدها واحدًا وعشرين يوما . وذكر البخاري ومسلم عن البراء أن آية يستفتونك آخر آية نزلت في الفرائض . (٥) هذا ما ذكره الشيخ وهو صحيح لوروده في صحيح البخاري ، وصحيح البخاري مقدم على غيره ، ولكثرة ما ورد في ذلك من أخبار عن الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأن هذه الرواية حددت المدة التي عاشها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي تسع ليال ، وقد

(١) البرهان في علوم القرآن لزمخشري ٢٠٦/١ ، وقد جزم الإمام النووي ببيان القول المنسوب لـ جابر حيث قال : (وهو ضعيف بل باطل) شرح مسلم ٢٠٧/٢ ، الاثنان ٢٤١/١ .

(٢) انظر الأقوال في ذلك تفسير ابن كثير ٣٨٣/١ . الاثنان ٢٢٦/١ . ٢٨٠ .

(٣) رواه الحاكم في كتاب التفسير وصححه ووافقه الذهبي ٣٣٨/٢ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفطر ١٦٨/٨ .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب التفسير سورة النساء ١١٧/٨ .

اختار هذا القول جماعة من العلماء . (١)

المبحث الثاني : أسباب النزول:

تمهيد :

يراد بسبب النزول ما نزلت الآية أو الآيات متحدة عنه أو مينة لحكمه أيام وقوعه، كأن تقع حادثة أو يوجه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - سؤال فتنزل الآية أو الآيات فيما يتصل بتلك الحادثة، وبجواب ذلك السؤال . فيقال بعد ذلك في هذه الآية أو الآيات سبب نزول كلنا . (٢) . وقد اعتنى المفسرون في كتبهم بأسباب النزول ، والذي يطالع تفسير الشيخ يلاحظ كثرة عنايته، واهتمامه بهذا العلم ليساعد على توضيح المعنى المراد، ومع ذلك فهو يشير إلى أن العبرة بمعوم اللفظ لا بخصوص السبب. وفيما يلي بعض الأمثلة التي عرض لها وهي كما يلي :-

لـ تعدد أسباب النزول والنازل واحد.

ب - إيراد سببا واحدا لأكثر من آية واحدة.

ج - يحقق القول في سبب النزول.

أ - تعدد أسباب النزول والنازل واحد.

فعند تفسير الشيخ لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الحجرات (١) . نرى الشيخ يورد عدة وجوه لأسباب نزول هذه الآية .

(١) انظر أسباب النزول / للشيخ البهاني / للزركشي ١/٢٦٠، فتح الباري ٨/٥٣، الإنفاق / للسيوطي ١/٢٦١. وقد حاول ابن حجر المصحح بين هذه الروايات خاصة فيما جاء عن ابن عباس، فقد جاء عنه رواية أخرى ما نزل آية البراء، ورواية أخرى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ حيث قال : وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في البراء، إذ هي معطوفة عليهن : وأما ما جاء في آخر سورة النساء من حديث البراء آخر سورة نزلت (براءة) ، وآخر آية ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فيجمع بين قوله وبين قول ابن عباس بأن الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما جاءهما، ويحتمل أن تكون الأخيرة في آية النساء مفيدة بما يتعلق بالمواريث، مثلاً بخلاف آية البقرة ويحتمل عكسه، والأول أرجح بما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول. فتح الباري ٨/٥٣.

(٢) انظر البرهان للزركشي ١/٣١١، الإتيان للسيوطي ١/٤٢١، متاعل للزرقاني ١/٢٦١.

ثم يقول : والآية على عمومها ، ولو خص سبب كما أخرج البخاري (١) عن عبدالله بن الزبير : قدم وفد من تميم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : أمر القعقاع بن عمرو ، - رضي الله عنه - فقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، فقال صمر : ما أردت خلافتك فتمارها حتى علت أصرانتهما ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلُوبُوا ﴾ . ثم جاء برواية ثالثة عن جابر بن عبدالله أن الآية في قوم ذبحوا الضحايا قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنهوا عن ذلك ، وأمروا أن يعبدوا . ثم جاء برواية ثالثة تنسب رواية جابر ، أخرجه الطبري (٢) عن الحسن : ذبح فاس قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم النحر فأمرهم أن يعبدوا ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلُوبُوا ﴾ . وعن الحسن كثرت الوفود إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأكثروا السؤال - يعني يقولون : أيجوز كذا ، أيجوز كذا ، لو نزل الوحي لي كذا لكان كذا ، فنزلت الآية لا تبدوا بالسؤال (٣) . ثم يعلق قائلا : وظاهر كلام الحسن هذا مع ما تقدم عنه أن الآية نزلت في جميع ما يروى . أو يأتي بعد وقوعه ، ومجموعه سبب النزول لا خصوص ما يذكر رواة الحديث . كما روي أنه بعث - صلى الله عليه وسلم - سرية سبعين رجلا إلى تهامة ، وأمر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي ، فقتلهم بنو عامر ، وعليهم عامر بن طفيل إلا ثلاثة نجوا ، فلقوا رجلين من بني سالم فقتلوهما وسلبوهما . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : بئسما صنعتم ، الرجلان من سليم ، كانا من أهل العهد ، وما سلبتم عنهم من ثياب هو ما كسوتهما ، فأعطى - صلى الله عليه وسلم - ورثتهما دينهما ، فنزلت الآية . وعن عائشة - رضي الله عنها - : كان قوم يصومون قبله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت أي : يصومون يوم الشك آخر (شعبان) . دخل مسروق على عائشة يوم الشك آخر شعبان فأمرت جارية أن تسقيه عسلا . فقال : إني صائم . فقالت : نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن صوم هذا اليوم ، وفيه نزل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية ، أي فيه وفي غيره ، أو أرادت لا يخرج عن الآية ، أو هذا مثل قول ابن مسعود للتي قالت : قرأت القرآن وما وجدت فيه ما قلت من لعن الواثمة ، فقال : إن

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة المحجرات رقم الحديث (٤٨١٧) فتح الباري ٤/٨ ، ٤٦.

(٢) تفسير الطبري ٧٤/٢٦ ، البر المنثور ٥٤٧/٧ .

(٣) تفسير الأكرسي ١٣٣/٢٦ .

قرأته فقد وجدت ، الا ترى قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ (١) الحشر (٧) لقد ساق الشيخ هذه الروايات على كثرتها دون ترجيح ، إلا أنه يفهم من كلامه أن هذه الروايات ليست أسباب نزول مباشرة للأية ، وإنما هي حوادث حدثت ، وقصص وقعت ، سابقة أو لاحقة ، وفي هذه الآيات ما يناسبها ، فجاءت عبارات بعض الثاقبين لها توهم أن هذه الحوادث والأسباب هي المقصودة من تلك الآيات. مع أن الصحيح أنها مما يدخل في عموم الآية أو مشابهة لسبب النزول. وكما لا يخفى أن معظم الروايات التي ساقها الشيخ لا تصلح أن تكون سببا لنزول هذه الآيات إلا الرواية التي أخرجه البخاري ، لأنها أصح الروايات ، ومن المعلوم أنه عند تعدد الروايات يقدم ما في الصحيحين على غيره. وأكفي بهذا المثال مع أن الشيخ فعل ذلك في أكثر من موضع ، (٢)

ب - يهود سببا واحدا لأكثر من آية :

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ البقرة (٢٢١) يروي حديثا عن ابن عمر (٣) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث مرثدا الغنوي إلى مكة ليخرج منها نامسا من المسلمين سرا ، وكان يهوى امرأة في الجاهلية ، فأتته فقاتلت له : ألا تخلو ، فقال : ويحك إن الإسلام حال بيني وبينك ، وحرم الزنا ، فقاتلت له : هل لك أن تتزوج بي ، فقال : نعم ، ولكن أرجع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستأمره ، فسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزل ﴿ ولا تنكحوا المشركات ﴾ كذا قبل - والصحيح عندهم أن قصة هذه نزل فيها : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ النور (٤) ، كما أخرجه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي من حديث ابن عمر ، ولا مانع من نزول آيتين في القصة (٥) .

(١) تيسير التفسير ١٢/٣٥٠-٣٥٢ . وقد ساق الألوسي معظم هذه الروايات التي فني بها الشيخ وعلق على معظمها بالبعد ١٣٣/١٣٤ .

(٢) تيسير التفسير ج ١٥/٢٠٠ ومن أوضحها كذلك ما جاء في سورة الضحى

(٣) أنظر أسباب النزول للقيساوي ص ٤٥ . انظر المستور ١/٦١١ ، وأورد السيرطي هذه الرواية وتعليقها : بأن هذا ليس سببا لنزول هذه الآية . وإنما هو سبب في نزول آية النور . لباب القول في أسباب النزول ، هامش الجلالين ١١١ ، روح المعاني الألوسي ٢/١١٨ .

(٤) تيسير التفسير ١/٣٢٨ الحديث رواه الترمذي في كتاب التفسير في باب سورة النور رقم الحديث (٢١٧٧) ٣٢٨/٥ .

ومن هذا القبيل ما فعله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ الإسراء (٨٥) .
وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولْ لشيءٍ إِنِّي فاعلٌ ذلك غداً .. ﴾ الكهف (٢٣) . وقوله تعالى :

﴿ والضحى والضحى والليل إذا مسجى ﴾ الضحى (١) . حيث يقرر أن سبب نزول هذه الآيات يدور على سؤال المشركين للرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الروح ، وذوي القرنين ، وأصحاب الكهف فقال أنخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله ، فاحتسب الوحي (١) .

جـ- يحقق القول في أسباب النزول :-

أحيانا يورد الشيخ الروايات في أسباب النزول ويناقشها ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك مبعا من المثنى والقرآن العظيم ﴾ الحجر (٨٧) . جاء برواية عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه وافى بأذرعات سبع قوافل لقريظة ، والتفسير فيها أنواع من البر ، والطيب ، والجواهر ، وسائر الأمتعة ، فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقربنا بها ، ولأنفدناها في سبيل الله . فقال لهم : (لقد أوتيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع) ، ولعله واقفاها في بعض أسفاره . ثم يقول : ولا يكون هذا سببا لنزول قوله تعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا ... ﴾ الحجر (٨٨) ؛ لأن هذه السورة مكية ومصادفته القوافل بعد الهجرة في آخر عمره ، في ذهابه للشام للقتال . (٢) .

(١) انظر أسباب النزول للنيسابوري ١٩٧ ، الدر المنثور ٢٧٧/٥ . والترمذي في كتاب التفسير باب سورة الإسراء ٢٨٤/٥ ، وساق الآوسي عدة روايات في سبب نزول سورة الضحى وقال : والروايات في ذلك مختلفة ، وحووز بعضهم أن يكون الإبطاء لتجمع الأسباب . روح المعاني ١٥٨/٣٠ الآكوسي . ولعل هذه الرواية لا تصح لأنها من مرويات ابن إسحاق من شيخ مجهول . قال السيوطي : أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر - ولم يسمه - عن حكيم عن ابن إسحاق وساق الحديث ، لباب القول في أسباب النزول على هامش الجلالين ٤٩٢ .

(٢) تيسر التفسير ٤٤٦/٩ ، انظر أسباب النزول للنيسابوري ص ١٨٧ ، تفسير الآكوسي حيث أورد الآكوسي عند ذكره لأسباب نزول هذه الآية عدة روايات ، ثم قال : - وحكى بعضهم في سبب نزول الآية أنه وافى وأخت من بعري وأذرعات سبع قوافل لقريظة وللتفسير في يوم واحد ، فيها أنواع من البر والطيب ... وذكر هذه الرواية . ثم قال : وروى هذا الحسين بن الفضل . وتعقب بأنه ضعيف لا يصح لأن السورة مكية . وغريظة والتفسير كانوا بالمدينة . فكيف يصح أن يقال ذلك وهو كما نرى . ٨٠/١٤ .

ومن ذلك ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِيانًا وَبَيْتًا وَاسِيرًا ﴾ الإنسان (٨). فبعد أن ذكر طرفاً من تفسير الآية، قال: أنفق أبو بكر، وعمر، وعلي، والزبير، وعبد الرحمن، وسعد، وأبو عبيدة، علي أسارى بدر، فقالت الأنصار: قاتلناهم في الله ورسوله وتمينونهم في النفقة، فأنزل الله ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا... سَلْسِيلًا ﴾ الإنسان (١٨-٥)، تسع عشرة آية ثم يتابع قائلاً: - وهو حديث لا يوثق بصحته، وما رواه إلا ابن عساكر مع أن السورة مكية عند الجمهور. والقصة تقتضي مدنيته.

(١)

المبحث الثالث: المناسبة بين الآيات والسور :-

القرآن الكريم كلام منتظم من أوله إلى آخره، لذلك درج بعض المفسرين على أن يذكروا أوجه الارتباط بين سور القرآن أو آيات السورة الواحدة. قال الإمام الزركشي في التعريف بهذا العلم (وعلم المناسبة علم شريف . تحزّر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ، ويجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوي بذلك الارتباط ، وبصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلاحم الأجزاء) . (٢) .

والشيخ - رحمه الله - لم تفته الإشارة إلى بعض المناسبات بين السور أو الآيات إلا أنه لم يعرض له بصورة مستمرة ، ومعظم المناسبات التي ذكرها سطحية لم تتسم بالعمق ، وأحياناً ينقلها عن الزمخشري ، والرازي مع التصرف في عباراتهم. فمن باب ارتباط السور بعضها ببعض ما أشار إليه من مناسبة بين سورة هود وسورة يوسف ، حيث قال: وسماها الله أحسن قصة لما فيها من العبر والأحكام ، ومصالح الملوك العامة، وبيان مكر النساء ، والصبر والعفو مع المقدر، ويقال : أن أهل الجنة يتفكهون بسورة مريم وسورة يوسف. وأنه لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها . فيناسب أن يقال هذه لعلها نزلت بعد سورة هود التي شيبته - صلى الله عليه وسلم - ليزول بها بعض همه، وفيها أيضاً تسلية بما لاقى يوسف ممن هم

(١) تفسير التفسير ٣٣٨/١٤. أنظر الدر المنثور ٣٧٠/١٩، وتفسير الألوسي حيث ساق هذه الرواية ثم علق عليها بقوله : والخبر لم أره لفردي غير ابن عساكر، ولا وثق لي بصحته، وهو يقتضي مدنية هذه الآيات، وهي مكية عند الجمهور . ١٥٥/٢٩. وما بين ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا... سَلْسِيلًا ﴾ ثلاث عشرة آية وليس تسع عشرة آية، وهذا هو نص الرواية كما أوردها السيوطي في الدر المنثور، والألوسي ، ولعل المقصود السورة من بقايتها.

(٢) البرهان للزركشي ٣٦/١. الاثنان ١٠٩/٢.

أقرب إليه وهم اخوته. (١) ومن لطائف مناسبة سورة الطور لسورة النجم ما قاله في بداية الثانية : اتصلت بالنبي قبلها لاختتامها بالنجوم ، كاجتماع هذه بعد البسملة المشتركة ، ووار المقسم بالنجوم ، ولأن في الأولى ذكر الذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان . وفي هذه ﴿ وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة ﴾ (٣٢) . وهو متضمن لذكر ذرية اليهود ، وأيضا قال في الكفار أو الموم ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ (٣٩) (٢).

ومن باب ذكر مناسبة الآيات القرآنية لبعضها البعض ما نوه إليه عند تفسيره لقوله تعالى :

﴿ وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ الإسراء (٨) . حيث ذكر وجه ارتباط هذه الآية بالنبي بعدها حيث قال : لما ذكر الله - عز وجل - الإسراء وبعض أخبار التوراة وموسى - عليه السلام - أنني على القرآن المشتمل على ذلك ، وغيره من الحكم والمصالح ، والشرعيات . فقال : ﴿ إن هذا القرآن يهدي ... ﴾ (٣) الإسراء (٩).

ومنها ما ذكره عند تفسيره لسورة ق في قوله تعالى : ﴿ ذلك رجع بعيد ﴾ (٣) . وارتباط هذه الآية بالنبي بعدها وهي قوله - عز وجل - : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ﴾ (٤) . حيث قال : .. ووجه إنكارهم البعث تفتت الجسم وفناؤه ، فرد الله تعالى عليهم بأنه عالم بما تفتت وما غني منهم في الأرض . فقال : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ﴾ . (١) ومن هذا القبيل ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ الأحزاب (٥٦) . يبين وجه الاتصال بين هذه الآية والتي قبلها وهو قوله تعالى : ﴿ لا جناح عليهن في آباتهن ... واتفقن الله إن الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ الأحزاب (٥٥) . ووجه اتصال الآية بما قبلها زيادة التشريف ، كيف تؤذونه أو تكلمون نساءه بلا حجاب ، أو تزوجونهن مع أنه تعالى يصلي عليه ، وملائكته يصلون عليه ، وهو أهل لفضل الله ، ولو كان نبيا فقط ، فكيف وهو نبي رسول ، فلذلك ذكره بالنبوة ، وفي ذكره بالنبي على وجه المعاهدة أو الغلبة حتى انه المراد وشرفه أيضا بأن الملائكة يصلون عليه مع كثرتهم ؛ فالإضافة للاستغراق بإضافتهم إليه تعالى. (٥)

(١) تيسير التفسير ٧١/٦ .

(٢) - - ٥٢٣/١٢ .

(٣) = - ١٥٠/٧ .

(٤) تيسير التفسير ٤٠٩/١٢ .

(٥) تيسير التفسير ٣٠٥/١٠ .

المبحث الرابع : النسخ والمنسوخ

مبحث النسخ في القرآن من المباحث الأصولية، ومع ذلك فله علاقة كبيرة مع علوم القرآن بل لا يستغني عنه دارس لأصول الشريعة وفروعها ، وهو من أعظم الموضوعات وأكثرها حاجة إلى التحليل والتحقيق ، وقد اشتغل العلماء على اختلاف مذاهبهم بهذا الموضوع قديماً وحديثاً، فتوسع به قوم وضيقه آخرون، والمنسرون على ثبائين مناهجهم واتجاهاتهم قد اهتموا بهذا الموضوع ، وقد نال مبحث النسخ من الشيخ أطفيش اهتماماً جماً، وجعل له نصيباً وافراً في تفسيره . ومن الجدير بالذكر أن الشيخ لم يكن من المغالين في ذكر الآيات المنسوخة بل وقف مع المغالين ، ورد كثيراً مما توهم أن فيه نسخاً ولا نسخ فيه . وقد عرض الشيخ لمعاني النسخ في اللغة والاصطلاح ، وفرف بينه وبين البداء وهو الظهور بعد الخفاء ، وأوضح أن المخالفة في النسخ بدعوى الزام البداء هي مخالفة باطللة ، والبداء غير جائز . وقد عرف الشيخ النسخ بأنه : (إزالة حكم قضى في الأزل أنه يزال لا ظهور لما خفي) . والتعريف هذا الذي ارتضاه الشيخ للنسخ يماثل في مضمونه المعنى الشرعي للنسخ ، عند الفقهاء والأصوليين الذي هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر (١) . وقد حاول الشيخ أن يحافظ في تعريفه على المعنى اللغوي للنسخ الذي هو الرفع والإزالة . واستهدف في تعريفه بيان أن النسخ معلوم لله - سبحانه - ينقل عباده من حكم إلى آخر بمقتضى علمه الأزلي المطلق ، والله سبحانه علم وقت الأمر به أن سينسخه وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ البقرة (١٠٦) . وقف وقفة طويلة ، فذكر سبب نزول الآية ثم فسرها بقوله : نرفع حكمها ولفظها ، أو نرفع حكمها ونبقى لفظها ، أو نرفع لفظها ونبقى حكمها ، ومضى (ننسها) نرفعها من قلبك ونمحها منه ، ومن قلوب أصحابك ، فلا يدركون لفظها ومعناها ولا العمل بها . وهذا قسم آخر لأنه قد يكون في الأخبار وقد يكون في غيرها ، ثم يتابع قائلاً : وهو شامل للنبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله : ﴿ ستقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ﴾ الأعلى (٧٩) . وأما الامتناع في قوله تعالى : ﴿ ولو شئنا لئذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ سورة الإسراء (٨٦) . فباعتبار ما يجوز نسخه أو باعتباره الكل . ثم يفرق الشيخ بين النسخ والإنسَاء ويرى أن بينهما عمومًا وخصوصًا يجتمعان في الرفع عن القلوب ، ويختص النسخ بمنسوخ الحكم مع بقاء التلاوة وبالعكس ، ويختص الإنسَاء بالأخبار التي أذهبت عن القلوب . ثم يتناول الشيخ عند تفسيره لهذه الآية تقسيم النسخ ، وبيان أنواعه ، مع ذكر الأمثلة

(١) تفسير التفسير ٢١١/١ . النسخ والمنسوخ تحقيق حلمي كامل ص ٤٠ ، النسخ والمنسوخ ص ٩ .

فيقول : ومما نسخ لفظه وحكمه ، عشر رضعات (١) معلومات يحرم من ، وكثير من سورة الأحزاب ، وكانت كالبقرة إلا أنه يحتمل بقاء بعض حكمها في سورة أخرى . ومنها ما نسخ لفظه فقط مثل آية الرجم : (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما) (٢) . قال عمر : قرأناها ، ورجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجمنا معه إذا كانت البيعة أو الحمل أو الاعتراف ، وكانت في سورة الأحزاب وقيل في سورة النور . ومنها ما نسخ حكمه فقط : مثل من آية عدة الوفاة بالسنة ، نسخت بآية العدة بأربعة أشهر وعشراً ، وآية وجوب ثبوت واحد لعشرة بآية ثبوت واحد لاثنتين . (٣) ثم يذكر أن من النسخ ما يكون بالإبدال إلى الأخف كالأربعة أشهر ، والمصاهرة بأقل من ثلاثة . وقد يكون إلى أثقل كوجوب الصيام بعد التخيير بينه وبين الإطعام . (٤) أو نسخ الإباحة إلى التحريم كتحریم الخمر بعد إباحتها .

أو إلى مساو كنسخ الصلاة إلى القدس بالصلاة إلى الكعبة . (٥) . ثم يشير إلى قضية نسخ الشرائع فيرد على شبهة اليهود الرادين للنسخ ، وبين أن الله - سبحانه - قد مسحهم قرده وخنازير ، بعد أن كانوا في صورة بشر ، وليس ذلك بدعوة ، بل قضى الله في الأزل أن يقاءهم في صورة البشر إلى وقت مخصوص . فكذلك قضى الله فيه أن الآية تبقى إلى كذا .

(١) لحديث عائشة في صحيح مسلم شرح النووي كتاب الرضاع ١٠/٢٩٩ . قال الامام النووي في المراد بقول عائشة في الحديث (وهن ما يقرأ) أن النسخ بخمس رضعات تأخر أنزاله جللاً حتى توفي رسول الله وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرناً متلوا لكونه لم يلقه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ رجموا عن ذلك واجتمعوا على أن هذا لا ينل (وقال مكي في الايضاح) : لهذا على قول عائشة غريب فلانسخ غير متلو والمنسوخ غير متلو وحكم النسخ قائم) ص ٥٠ .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٢/١٤٣ ، صحيح مسلم شرح النووي ١٦/١٩٩ التامخ والنسخ - الهنداوي ٥٤ .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿لَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَّا إِيمَانُهُ وَهُوَ يُعْمَلُ بِالْإِيمَانِ﴾ (١٦٦) .

(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ (البقرة ١٧٨) .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿قُلْ وَجْهِي لِلدِّينِ أَصْلَابُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ (البقرة ١٤٤) .

(١) وهناك آيات أوردتها الشيخ وجزم بتسخنها، فمن ذلك الاتجاه إلى بيت المقدس في الصلاة، نسخ بقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، فلتوليئك قبلتاً ترضاهما ﴿البقرة (١٤٤)﴾ (٢) ومنها نسخ تحريم القتال في الأشهر الحرم في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ﴿سورة البقرة (٢١٧)﴾. ومنها كذلك تقديم الصدقة قبل مناجاته - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾. المجادلة (١٢). نسخت بالآية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿أَتَشْفِقُونَ أَنْ تَقْدُمُوا...﴾ (١٢) (٣) وهناك قسم وقف معه الشيخ ورد القول بالنسخ، وأبدي في ذلك رأيه فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّانِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ...﴾ النساء (١٥). ذكر حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - لما نزل الجلد والرجم قال صلى الله عليه وسلم -: هما السبيل. خذوا عني - خذوا عني - (٤). وليس ذلك نسخاً بل غاية، لأنه ذكر السبيل، وآية الجلد والرجم بيان لا نسخ... ومن الآيات التي رد النسخ فيها قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ البقرة (٢٥٦) فبعد أن ذكر طرفاً من تفسير الآية. قال: ولا نسخ في الآية كما زعم من زعم. (٥) وأحياناً يذكر الشيخ الخلاف في الآية ويرجع، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْمَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ لِيَأْخُذُوا مَنْ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءُ﴾ محمد (٤). فيرى الشيخ أن الحكم الذي نصت عليه الآية قد نسخ بقوله تعالى في سورة التوبة، وهي آخر ما نزل في هذا الشأن ﴿فَأَقْضُوا الْغُرُوبَ﴾ حيث وجدتموهم ﴿التوبة (٥)﴾. وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا تُنْقِصُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَدُ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ الأنفال (٥٧). ثم عرض لأقوال العلماء في هذه الآية، ونقل قول مجاهد: ليس اليوم من ولا فداء، لكن القتل أو الإسلام، وأورد قول ابن عمر، والحسن أنه لا نسخ في ذلك فإما فداء، وإما من. ثم ذكر حكم الاختلاف في قتل الأسير، وذكر رأي مذهبه بالجواز، ثم خلاص إلى القول في النسخ فقال: - والقول بالنسخ، قول ابن عباس، والضحاك،

(١) تفسير التفسير ١٢٤/٨.

(٢) تفسير التفسير ٢١١/١، انظر البخاري في كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة رقم الحديث ٣٩٩/١ ٥٩٨. : مارواه الترمذي في كتاب التفسير. باب سورة البقرة حديث رقم (٢٩٥٨) ٢٠٥/٥.

(٣) تفسير التفسير ٢٠٢/١٣، انظر: تولى القرآن. ابن الجوزي ٢٢٦.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الحدود باب حد الزنا ١١٨٨/١١.

(٥) تفسير التفسير ١١٢/١، انظر النسخ والنسخ للنحاس ص ٨٠.

وقتادة ، ومجاهد ، ويكاد يجمع عليه . (١) وكثيرا ما يناقش الشيخ القائلين بالنسخ في آيات القتال فيرد ذلك ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةً ﴾ محمد (٢٠) . يقول : (لا أشكال في معناها أو لا نسخ ولا قتال في القرآن منسوخ . وأحيانا ينقل القول بالنسخ ولا يعقب على ذلك ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ النور (٢) . يقول : وفي هذه السورة أو سورة الأحزاب قولان : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة .. (٢) ، نسخ لفظه لا حكمه . وقد التقى الشيخ هذا القول هنا وتركه دون تحجيص أو تحقيق ، أو الإشارة إليه من قريب أو بعيد ، مع أن هذه مسألة كثر الأخذ والرد حولها . (من خلال ما تقدم في هذا البحث تبين لنا أن الشيخ - رحمه الله - قد ذهب في موضوع النسخ إلى ما ذهب إليه أئمة الإسلام سلفا وخلفا ، وحاول الرد والتبیه على الذين خالفوا وجه الحق ، والصواب في هذا الموضوع .)

المبحث الخامس: التكرار وموقفه منه . -

لفتت ظاهرة تكرار بعض الآيات في القرآن الكريم نظر الشيخ أطفيش فوقف معها ، ودرس هذه الظاهرة حيثما وجدت ، وقرر أن ما يكرر في القرآن إنما هو حق وحكمة . (٣) وأن في التكرار تسكيناً ، وأن التكرار في القرآن جاء على أسلوب العرب وما ينكره إلا جاهل معاند ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٤) الرحمن (١٣) . يقف معلقا

(١) تفسير التفسير ١٢ / . ذكر للملأء في هذه الآية خمسة أقوال ولخصها القرطبي في تفسيره ٢٢٦/١٤ . وذكر ابن الجوزي في المناسخ والنسخ في الآية قولان : الأول أنها محكمة ونسبها إلى ابن عمر والحسن ومجاهد والشافعي وأحمد . والثاني أنها منسوخة ونسبها إلى ابن عباس ، وقتادة ، والكلبي وأبي حنيفة ، ولم يختار منها أو يعقب عليها . نواسخ القرآن لابن الجوزي (٤٤) . أما الإمام الطبري فقد حكمى دعوى النسخ ودعوى الأحكام . لم قال : والصواب في القول عندنا في ذلك أن الآية محكمة وغير منسوخة ، ثم ذكر كلاما عليها استدلل به على أن الإمام البخاري - الطبري ٢٧/٢٦ . وقد أنكر دعوى النسخ في الآية أبو جعفر النعمان في فتناسخ والمنسوخ ٢٢٠ . ويبدو - والله أعلم أن الآية محكمة وأن الإمام مخير في ذلك يفعل ما فيه مصلحة الإسلام وأهله والنبي قد فعل ذلك كله .

(٢) والذي يبدو - والله أعلم - أن ما قبل حوز مثل هذا النوع من روايات لا يثبت بها قرآناً باتفاق ، فإليات آية من القرآن لا بد أن يكون دليلها متواتراً لا أساداً . ثم لا بد من إثبات أنها آية من القرآن ثم إثبات نسخها . زد على ذلك أن اللفظ مثل هذا النوع لا تظهر عليه البسمة البلاغية القرآنية ، وهذه العقوبة التي نصت عليها ليست مقررة على الشيخ والشيخة ، وإنما هي مقرونة على الاحصان . ومن عادة القرآن الكريم أنه لا يستخدم كلمة الشيخة للدلالة على المرأة الكبيرة السن ، وأعياراً إن كلمة (البنت) ثم فرد في القرآن الكريم مطلقاً ، والرجم ثابت بالأحاديث ، انظر : ضح الجاري رقم الأحاديث (٦٨١٢) ، (٦٨١٤) ، (٦٨٣٠) ، (٦٨٢٩) . شرح النووي كتاب المغلود باب الزنا ١٩٠/١٩٢ . (٣) أنظر : البرهان في علوم القرآن ٣/١١٦-٣٣٠ .

(٤) كزوت الآية إحدى وثلاثين مرة ، أنظر : أسرار التكرار للكرمانى ١٩٨ .

المرسلات، ومن ذلك قول المهلهل يرثي كليبا ، فيأتي بالآيات التي ذكرها في سورة الرحمن الرحمن ثم ينقل لنا أربعة قصائد بلغت مجمرها ثلاثة وخمسين بيتا ليبدلك من خلالها على أن التكرار شائع في كلام العرب (١) . وقد يحدث التكرير في آيات متواليات ، فيقف معها الشيخ ويميز معنى كل واحدة ، كما في قوله - سبحانه وتعالى - ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ البقرة (١٤٤) . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ البقرة (١٤٩) . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ حيث ما كنتم قولوا ووجهكم شطره ﴾ البقرة (١٥٠) . يقول الشيخ : ذكر ذلك ثلاث مرات كل لعل غير علة الأخرى ، ذكره المرة الأولى ليريه أنه قد أجاب له فيما يشاق إليه ، ورحم تضرعه ، وأنه أهل لأن يجاب لعظم شأنه عند الله - عز وجل - كما قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ . وذكره المرة الثانية : ليبين أنه جعل لكل أمة قبلة تمتاز بها ، إذ قال (ولكل وجهة) أي لكل أمة ، وذكره في المرة الثالثة : ليدفع حجة اليهود ، إذ يحتجون بأنه لو كان النبي الموعود به لتحول إلى الكعبة كما في التوراة ، وأنه لو كان يجع قبلتنا مع أنه ينكر ديننا ، ولدفع حجة مشركي العرب : إذ يحتجون بأنه لو كان نبيا لم يخالف قبلة إبراهيم . مع أنه يدعيها ، كما قال بعد قوله : (لئلا يكون للناس عليكم حجة) . البقرة (١٥٠) (٢) وهكذا يتعرض الشيخ - رحمه الله - لهذه القضية ، فيقف معها ليتحسس مواطن الجمال والجلال في الأسلوب القرآني ، ويدفع شبهة التكرار لأجل التكرار نفسه إلى الحديث عن حكمه وأساره ، فيأتي بأقوال رشيدة سديدة .

المبحث السادس : منهجه في عرض القراءات القرآنية : -

عرف ابن الجزري (٣) القراءات في كتابه منجد المقرئين (٤) بقوله : - القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة . ووضع ضابطا للقراءة الصحيحة في أول كتابه : (النشر في القراءات العشر) . فقال : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن سواء كانت عن الأئمة السبعة ،

(١) تفسير التفسير ١٤/٤٧٦/٤٨١

(٢) تفسير التفسير ١/٢١٠ ، قارن بما جاء في أسرار التكرار للكرمانى (٣٦) .

(٣) هو محمد بن علي بن يوسف الجزري يكنى أبا الطير : ت ٨٣٣ هـ ألف في التفسير والفقه واللغة وانتهت إليه دراسة علم القراءات في عصره أنظر ، ٢/٤٧٧ شذرات الذهب ٧/٢٠١ ترجمته في منجد المقرئين

(٤) منجد المقرئين ، ابن الجزري ص ١٥ .

أم عن العشرة (١) ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه

الأركان الثلاثة اطلق عليها ضعيفة ، أو شاذة ، أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة ، أو عن هو أكبر منهم؛ هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف. (٢) و نقل السيوطي في الاتقان هذا الضابط وقيله (٣) . ولقد نالت القراءات اهتمام الشيخ وعني بها عناية فائقة، وهذه أهم المخطوطات المريضة لسنهجه في هذا الموضوع ، لقد جاء تفسير الشيخ زائراً بمباحث هذا العلم ، وأورد فيه قراءات منسوبة إلى أئمة القراء ، وقراءات منسوبة لبعض الصحابة، والتابعين ، وأهل البيت ، ولم يقتصر في ذلك على القراءات الصحيحة بل أورد الشاذ منها دون أن يصفها بالشاذ، أو يحكم عليها إلا قليلاً.

ومما يجدر التنبيه إليه أن الشيخ اعتمد في تفسيره على قراءة نافع، وبني عليها تفسيره . كما ذكر في مقدمة كتابه أنه سيقصر على حرف نافع. (٤) وأثناء التفسير كثيراً ما يقول: (وفي قراءتنا) . والشيخ محمد أطفيش يرى أن القراءات سنة متبعة ، ونص على ذلك في أكثر من موضع، فكثيراً ما يقول: والقراءات مرويات عن الصحابة لا اختيار من القراء ، ولا يُقرأ لفظ إلا على ماورد. (٥) ونرى الشيخ يكثر من ذكر القراءات المنسوبة إلى الصحابة فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمِزْمَل ﴾ المزمّل (١). قال : أصله المزمحل كما قرأه أبي . (٦) القراءات عن أهل البيت ؛ فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ المطففين (٦). وبروي بعض . حيث قال عن كلمة (يوم) ، وكونه مرفوعاً خبر لمحذوف أي ذلك اليوم ، والعظيم هو يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ويدل له قراءة زيد بن

(١) انظر : حديث نزل القرآن على سبعة أحرف . صحيح البخاري ١٨٥/٦ تفسير الطبري ١/١٠٠ ، مسند أحمد ٢٢٤/١ رقم الحديث (١٥٨) .

(٢) الشر في القراءات العشر ابن الجزري تار الفكر ، ٩/١ ، متجدد المقرئين ص ١٥ .

(٣) الإتقان ٧٥/١ .

(٤) تفسير التفسير ٧/١ . ولكن مراجع هذا التفسير كان يتدخل في تغيير ، وتصحيح بعض الكلمات التي كتبت على قراءة نافع التي اعتمدها الشيخ . ظناً أن قسماً قد كتبها خطأ ، فمن ذلك ما فعله عند تفسير الشيخ لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ الزعراف (١٩) . حيث قال: المؤلف قال عند الرحمن ، والصواب عباد الرحمن ، وعلى رأيه شرح كلمة عند ، والصحيح أن لراءة عند وعباد كلاهما قراءتان صحيحتان ، وقراءة عند قراءة نافع . انظر : الكشف عن وجوه انحرافات السبع ، وعللها ، حججها مكى بن أبي طالب ٢٥٦/٢ .

(٥) تفسير التفسير ، ١٥٩/١١ ، انظر البرهان ٣٢٩/١ .

(٦) تفسير التفسير ٢٢٤/١٢ ، البحر المحيط ٣٦٠/٨ ، فقرطي ٣٦/١٩ وهي قراءة شاذة.

علي (١) يرفعه. وأحياناً بسند القراءات إلى أصحابها. فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْمُرُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ، وَلَا تَنْفِرُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ الحديد (٢٣). حيث قال: فأُسند الاتيان إلى الله - عز وجل - ولم يقل بما آتاكم بهمز بلا مد كما قرأ أبو عمرو بن العلاء. (٢). ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا أَلْقِمْ﴾ الواقعة (٥٧). حيث قال: أو ألف زائدة إشباعاً كقراءة هشام: (٣) (فاجعل أكلة) بإشباع الهزة. ويدل له قراءة قالون (لأقسم) بإسقاط الألف. وأحياناً يعرض لذكر القراءة (٤) دون القراءة؛ فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ المجادلة (١١). حيث قال: وقيل مجالس القوم فهي للجنس كل أحد له مجالس.. كما قرئ: (في المجالس) بالجمع. وأحياناً ينقل القراءة، ويقول كما قرأ البعض. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة (٧١). يقول: وأصله المتطهرون بالتاء دون قلب وإدغام كما قرأ البعض. (٥)

ويعرض لبعض القراءات مع تسمية المصاحف؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أَمْهَاتُهُمْ﴾ الأحزاب (٦) يقول: وفي مصحف أبي وهو أب لهم، وعن عكرمة في النسخة الأولى: وهو أبوهم. (٦)

وكثيراً ما يحمل الشيخ بعض القراءات على القراءات التفسيرية؛ إذ هي تعزز الوجود التفسيرية وتقريبها، ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْتُمُوا خَاصَرِينَ﴾ آل عمران (١٦٨). حيث يقول: وقرئ بكبدهم وهي قراءة مقوية. لدعوى الإبدال، ولعل القراءة إن صحت قراءة تفسير لا تلاوة. (٧)

(١) انظر البحر المحيط لأبي حيان ١٤٠/٨. زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان إماماً في القراءة والحديث وفقهه، توفي ١٢٢ هـ شهيداً بالعراق تهذيب التهذيب ٣٦٢/٢.

(٢) تفسير التفسير ١/١٣، البحر المحيط ٢٢٥/٨. للكشف عن وجوه القراءات. مكى ٣١١/٢.

(٣) هشام بن عمار أبو الوليد السلمي البغدادي. مفرىه لعل دمشق ومفتهم، وثقه ابن معين، ت ٢٤١ هـ. طباقات القراء. ابن الجوزي ٣٥٤/٢. انظر تفسير الطبري ١١٧/٢٧.

(٤) تفسير التفسير ١٣/٩٩، قرأ عاصم (في المجالس) بالجمع، وقرأ الباقون بالتوحيد لأن التفسير أتى أنه يراد به مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجه على المعنى. انظر الكشف عن وجوه القراءات، مكى بن أبي طالب، ٣١٥/٢. تفسير ابن كثير، ٣٢١/٤.

(٥) تفسير التفسير ١٣/٩٩. انظر: الزمخشري ٤/٣١٦٩. البحر المحيط ٨/٢١٥.

(٦) تفسير التفسير ١٠/٢٠٧. انظر: الزمخشري ٣/٢٥١. تفسير أبي حيان ٧/٢١٢ وهي شاذة.

(٧) تفسير التفسير ٢/١٦٥. انظر تفسير أبي حيان ٣/٥٢.

مجالات متنوعة (١) والغريب أنه يوردها دون التنبيه على أنها من الشواذ ، ومن هذه المجالات التي أفاد منها الشيخ مجال توجيه الإحتجاجات النحوية ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ . الليل (٣) أورد مسألة الجبر على الجوار ، ثم قال : كما قرئ الحمد لله بكسر الدال تبعاً للام بعدها ، وبضم اللام تبعاً للدال : الحمد لله . (٢) كذلك نجد الشيخ يستشهد بها لإبراز معاني جديدة للمفردة القرآنية أو تحديدها . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ الرحمن (٦٠) حيث قال وقرأ ابن أبي اسحق (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) (٣) ومنه ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ الإسراء (٤) . قال : النوراة أو الجنس ، كما قرأ ابن أبي العالقة ، وابن جبير ، في الكتب بضم الكاف والتاء . (٤) وأحياناً يستعرض أثناء توجيهه لبعض القراءات الشاذة ، لهجات بعض القبائل ، ولغاتها ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إني أراي أعصر حمرا ﴾ . يوسف (٣٦) . قال : فسره أبي ، وابن مسعود بالعنب ، وقيل العنب من أول الأمر حمراً بلغة أزد عمان ، وغسان ، وقرأ عبدالله وأبي أعصر عنباً (٥) .

(١) لم يتردد بعض العلماء في إطلاق القول بأن توجيه القراءات الشاذة أقرى في الصناعة من توجيه المشهورة كما قال الزركشي في البرهان ٣٤١/١ . وقد نقل الزركشي ما أثنى به النووي في شرح المذهب (والمذهب كتاب فقه على المذهب الشافعي للفتي إبراهيم بن محمد الشيرازي ، ت ٤٧٦ هـ أنه لا تجوز القراءات في الصلاة ولا غيرها من القراءة الشاذة ، لأنها ليست قرآناً ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر والقراءة الشاذة ليست بالقراءة المتواترة ، ومن قال غيره فهو مغالط أو جاهل . السبليل السابق ٣٣٣ .

(٢) انظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه حيث أورد هاتين القراءتين عن إبراهيم بن عتبة ص ١ ، تفسير الرمضاني ٨/١ تفسير أبي حيان ٣٨/١ .

(٣) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ١٥٠ البحر المحيط ١٩٨/٨ .

(٤) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٧٤ البحر المحيط ٨/٦ .

(٥) انظر تفسير الطبري ١٢/١٢٧ وتفسير أبي حيان ٨/٥ - ٣ .

الجمع بين القراءات :-

كان الشيخ أحياناً يقف مع بعض القراءات ، فيقوم بمعالجتها ، والجمع بينها ، ومحاولة توجيهها . ومن الشواهد على ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ۚ سُرَّةَ الْمَزْمَلِ (٢٠) ۚ حَيْثُ يَقُومُ تَوَجُّهَ الْآيَةِ عَلَىٰ قِرَاءَةِ الْإِمَامِ نَافِع ۚ وَهِيَ بِالْخَفْضِ (نِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) ، فيقول : عطف على ثلثي فيكون يقوم ما يقارب من الثلث تارة ، وهو مادون النصف ما لم يصل لثلاث كالرابع ، والحاصل أنه يقوم أقل من الثلثين ، وأقل من النصف ، وأقل من الثلث ، وهذا فيما علم الله تعالى : أنه يقع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والطائفة ، وقوله تعالى ﴿ قُمْ اللَّيْلَ ۚ ﴾ - فيما أمره الله به - وبذلك يجاب عن التخالف بين قراءتنا بالجهر ، وقراءة نصب نصفه وثلثه عطفاً على أدنى . فإن حاصلها أنك تقوم أقل من الثلثين ، وتقوم نصف الليل تارة ، وتقوم ثلث الليل أخرى . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ القيامة (٧) - قال : والمعنى تحير فرعا من هول يوم القيامة ، من (برق) الرجل إذا نظر البرق فدهش بصره ، وغير ذلك من الأفعال المشتقة من أسماء الأجناس ، أي كاد يصير كمن دهش بصره بالنظر إلى البرق . وذلك لغة في برق بالكسر ، والفتح قراءة نافع ، ومحجوب ابن الرحيل من أصحابنا العمانيين يروي عنه قولنا (٢) .

المبحث السابع : المحكم والمتشابه وسوقه منه :-

لقد اضطربت مقالات أهل التفسير ، واختلفت آراؤهم في تحقيق معنى المحكم والمتشابه وما المراد بهما ، وقد أجمل هذه الأقوال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره المنار (٣) . أما الشيخ أطفيش - رحمه الله - فيوضح موقفه من هذه القضية عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ ۚ آل عمران (٧) ۚ حيث يقول الشيخ ما ملخصه : (محكمات) : - أي واضححات الدلالة ، ولو احتملت النسخ (هن أم الكتاب) أصله المعتمد عليه ، كل واحدة أم

(١) تفسير التفسير ١٤/٢٤٥ ، انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع مكّي بن أبي طالب ٢/٣٤٥ تفسير أبي حيان ٨/٣٦٦ .

(٢) تفسير المنار ١١/٣٠٢ انظر الكشف عن وجوه القراءات ٢/٣٥٠ . تفسير أبي حيان ٨/٣٨٥ ، محجوب ابن الرحيل لم أجده له ترجمة في كتب التراجم عند أهل السنة وذكره الدرر جني في الطيفات دون ترجمة ١/٢٠١ .

(٣) تفسير المنار - محمد رشيد رضا ٣/١٦٣ - ١٦٥ انظر البرهان للزركشي ٢/٨٠ ، مناهل العرفان ٢/٢٩١ .

الكتاب أو هن كالأية الواحدة في التكامل ، والأصل ما يرد إليه غيره كقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ الأنعام (١٠٣) . يرد إليه قوله تعالى : ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ القيامة (٢٣) . بتفسيره بمستظرة ، (وأخر متشابهات) لا يفهم معناها ، ومعنى متشابه مشتبه ، أي منهم غير متبين ، فلا يحتاج إلى ما يشاركه في الشبه ، فلا إشكال ، وذلك كأوائل السور ، أو متشابهات فكأنه قبل عارضوه بما شئتم ، بصريحه أو غير صريحه قلن تستطيعوه ، أو المتشابه مالا تعلم علته ، كأعداد الصلوات ، والمحكم ما عقلت علته ، والتشابه من صفات المعنى ، وصف بها اللفظ مجازا ، من إسناد ما للمدلول للدال . ويطلق المحكم أيضا ، على معنى نفي العيب ، معنى ولفظا ، والمتشابه على معنى تشابهها في الصديق ، والحسن ، وكل القرآن لا عيب فيه وصادق حسن ... (فأما الذين في قلوبهم زيغ) ميل إلى الباطل ، (فيتبعون ما تشابه منه) عملا بظاهره أو بتأويله بباطل . (ابتغاء الفتنة) طلبا لصدف الناس عن دين الحق ، ك تفسير يد الله : باليد الحقيقية وهو شرك ، وتفسيرها باليد بلا كيف وهو فسق ، وكذا سائر أسماء الأعضاء ، والجهات في القرآن في حق الله تعالى . (ابتغاء تأويله) طلبا لرجعه إلى معنى باطل ، فإن التأويل يطلق على التفسير الباطل كما يطلق على التفسير الصحيح ، أو المراد التأويل الصحيح في زعمهم . وفي تأويلهم تشكيك للناس ، وابتغاء التأويل يوجب ابتغاء الفتنة ، (وما يعلم تأويله) . أي تأويله المتشابه . (إلا الله والراسخون في العلم) . عطف على لفظ الجلالة يعلم الله ، والمتسكون في العلم معنى المتشابه كما فسرنا بالاستواء بالقلبية ، واليد بالقدرة ، وإن أريد بالمتشابه ما اختص الله بعلمه ، وعلم وجه الشيء

كلمة الدنيا ، أو سائر خلقه ، وعدد الزبانية التسعة عشر ، فالمعنى لا يعلم تأويله إلا الله ، وإن الراسخين في العلم (يقولون آمنا به) بالمتشابه ما هو بلا دعول إلى تفسيره والجملة مستأنفة ، أو حال من (الراسخون) ، وإن جعلنا الراسخون مبتدأ ، فالجملة هذه خير . (كل) من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) . كناية عن كونهما حقا ، فإن كل ما جاء من الله حق . (١)

وبهذه المناقشة والتركيز يكون الشيخ قد عرض نتائج بحثه ، ومجمل رأيه في هذه المسألة ، وظهر فيها متأثرا بمذهبه والله أعلم وأحكم .

(١) تفسير التفسير ١١٨/٢ بتصريف رجح الطبري أن يكون الراسخون مبتدأ وغيره جملة يقولون ١٨٣/٣ وكذلك التركيب ٨٣/٢ .

المبحث الثامن : - إعجاز القرآن في تفسيره : -

التمهيد : -

المعجزة : أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي ، سالم عن المعارضة وهي إما حسية ، وإما عقلية . (١) ومما لا شك فيه أن موضوع إعجاز القرآن ليس ثري . وفيه روايات إيمانية . وقد ثبت بالاتفاق أن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم هي معجزة القرآن الكريم ، ونشأ تساؤل عن ممكن هذا الإعجاز ، وعن الوجوه التي يمكن أن يكون فيها القرآن معجزة ؟ وقد انطلقت وجهات النظر في الإجابة ، على هذا السؤال ونشأت نتيجة ذلك نظريات كثيرة ، فقبل : هو معجز بشيء واحد وهو الجانب البياني ، فهو الوجه البارز فيه ، وقيل : معجز بكل ما فيه . والحق أن القرآن معجز كله . معجز في أسلوبه ، وتركيبه . معجز في أخباره وقصصه ، معجز في أحكامه ، معجز في وعده ووعيده ، معجز في تأثيره النفسي ... وحصر الإعجاز في جانب واحد تحجير واسع . وبعد هذا الموجز أود أن أبين موقف الشيخ من هذا الموضوع ، فقد تناولته الشيخ من زوايا عديدة ، ومقاييس متميزة ، وتحدث عنه في أكثر من مناسبة ، فحاول إمالة اللثام عن مراحل التحدي ، فقال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فأتوا بعشر سور مثله مفريات ﴾ هود (١٣) .

في الفصاحة ، والبلاغة ، والحكمة ، والإخبار بالغيوب ، تحداهم أولا بالقرآن في سورة الإسراء عموما ، ولما عجزوا تحداهم بعشر سور ، والتحدي بعشر مقدم نزولا عن التحدي بواحدة متأخر تلاوة ، ولما عجزوا تحداهم بسورة في سورة البقرة المدنية وهي متأخرة في النزول عن سورة هود ، وفي سورة يونس المتأخرة في النزول عن سورة هود ، وكلتا هاتين مكية لأنه من عجز عن درهم ، وقد قلت له أعطني درهما ، لا تقول له أعطني عشرة ، وقد يقال : الأيتان مدينتان جعلنا في سورتين مكيتين ، والتحدي بعشر نزل قبل التحدي بواحدة ، وقال المبرد مثله في يونس ، وسورة البقرة بمعنى المماثلة في الفصاحة والبلاغة ، والأخبار بالغيوب ، والأحكام ، وفي سورة هود في الفصاحة والبلاغة فقط ، أي بالمعنى ، وزيادة هود ضعيف ؛ إذ الأصل إتفاق وجه المماثلة لا يصر إلى تخالفة مع وجود التأويل بالاتفاق ، والداعي له إلى ذلك مراعاة تنابع السور ، ويظهر لي أيضا وجه آخر إن شاء الله كان حسنا ، وهو أن المعنى إن كان كذبا فلا يعجزكم أن تأتوا بسور كثيرة تماثله ؛ لأن أمر الكذب سهل ، وبابه واسع ، وهذا كلام يجوز أن يتحداهم به ، ولو بعدما تحداهم بسورة ، وأفرد مثله باعتبار كل قرآن يدعي ، فإن

(١) الاتفاق ١١٦/٢ .

الهاء عائدة إلى ما يوحى ، والمماثلة قائمة بكل واحد إلا بالمجموع ، فالأصل بعشر مور أمثاله أو باعتبار أن أصل مثل مصدر يصلح للواحد فصاعداً ، وقد أفرد لهما في المثنى قال الله عز وجل ﴿ لبشر من مثنا ﴾ سورة المؤمنون (١٧) ، وروعت المطابقة في قوله تعالى : ﴿ ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ محمد آية (٣٨) . أما الوجوه التي كان بها الإعجاز عند الشيخ فهي : ما اشتمل عليه القرآن من بلاغة وفصاحة وحسن تأليف ، وما كان فيه من إخبار بالغيب . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بمسورة من مثله ﴾ سورة البقرة (٢٣) . قال : أي سورة هي مثل ما أنزلنا في البلاغة ، وحسن التأليف ، والإخبار بالغيب مع الصدق . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فليأتوا بحديث مثله .. ﴾ سورة الطور آية (٣٤) قال : مثل القرآن في الفصاحة والبلاغة ، وبالإخبار بالغيب ، ولياقة أمره بما أمر به ونهيه عما نهى عنه (٢) وبين عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه .. ﴾ الرعد . (٧) أن القرآن قد بلغ الذروة في الفصاحة ، ولو أنصفوا لكفاهم القرآن فصاحة وبلاغة لا تطاقان . (٣) ويشير في موضع آخر لو ادعى مدع مثله ، أو أدخل فيه لأفصح بالنفس كالنحاس الأحمر بحضرة الأبريز ، مع أنه على لسان أمي حفظه الله فلم يتغير . ثم يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان عاجزا عن الإتيان بمثله من عنده ، مع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان أفصح منهم وأبلغ ، كما قال في فصاحته : (أنا أفصح من نطق بالضاد) (٤) وكلامه صلى الله عليه وسلم - في البلاغة دون كلام الله تعالى . (٥) أما عن الأخبار بالغيب ، فيقول الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا ﴾ البقرة (٩٤-٩٥) . والآية إخبار بالغيب إذ لم يتقدروا أن يمتنوا ، ودلالة على نبوته - صلى الله عليه وسلم - وأنهم لو لم يوقنوا لمتنوا ولا سيما إذا قلنا الشئ هنا التلطف ، فلم يتقدروا أن يتلفظوا

(١) تفسير التفسير ٣٥/١.

(٢) تفسير التفسير ٥١٣/١٢.

(٣) تفسير التفسير ٢٨٦/٧.

(٤) الحديث معناه صحيح ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ أورده أصحاب الغريب ولا يعرف له اسناد ، كشف الخفاء ومزيل الإلهام - العجلوني . ٢٠١/١.

(٥) تفسير التفسير - ٢٦/٥.

بالصني ، ولو مع خلو قلوبهم منه، ولو وقع لنقل ، ولو تمنوا الماتوا في موضعهم . (١) أما عن القدر الذي كان فيه القرآن معجزاً، فلنستمع إلى الشيخ حيث يقول : وأقل السور ما فيه ثلاث آيات كمسورة الكوثر، وسورة العصر، وسورة قريش إلا أن بعد (لإيلاف قريش) آية ، وكسورة الفتح - يقصد النصر - إن عد (إذا جاء نصر الله والفتح) آية، وهو المكتوب ، والواضح أنها آيتان، آخر الأولى أفواجاً، وآخر الثانية ثواباً ، فأقل السور آيتان إلا إن جاء حديث في أن آخر الأولى والفتح . (٢) وبطل الشيخ على هذا النحو يشغله موضوع الإعجاز ، وكلما مر بأية فيها ما يدل على الإعجاز ، عاد إلى هذه القضية وفصل فيها القول ، ولقد سلك الشيخ مسلك أهل السنة في موضوع الإعجاز وذهب مذهبه .

(١) تفسير التفسير ١/١٣١،

(٢) تفسير التفسير ١/٣٥١ اختلف علماء العدد في سورة قريش فهي عند البصري والكوفي والدمشقي ثلاث آيات تنهي الأولى بـ (قريش) والثانية بـ (الصيف) والثالثة بـ (صوف) وعند المدنيين والمكي والحمصى أربع آيات بزيادة من جوع، انظر سراج القارئ المبتدئ وندكار المقرئ المنتهي لأبي القاسم ابن الفاصح ص ٣٩٥ ، الفرائد لحسان في عدد أي القرآن ومعه شرحه نفائس البيان ، عبد الفتاح القاضي ٧٥، أما سورة النصر فلم أجد نصاً عند علماء العدد بوجود خلاف في عدد آياتها الثلاث كما هو مشهور مستفيض .

الفصل السادس

منهجه العقدي في هذا التفسير

وفيه المباحث التالية:

التمهيد

المبحث الأول :

آراء الشيخ التي رجح فيها أصول مذهبه.

المبحث الثاني :

موقفه من الفرق الأخرى .

المبحث الثالث :

تعرضه للديانات والعقائد الأخرى .

تمهيد :

لما هممت بكتابه هذا الفصل ترددت ، وراودتني نفسي أن أعدل عنه ، ووقفت عنده وقفة المتهيب ، معثلاً بأنني قدمت فكرة موجزة عن أصول المذهب الإباضي ، ومشائلاً هل لمثلي من قدرة على السباحة في محيط هذا الموضوع ، وسعته ، وعمقه .

فهو موضوع محقوف بالمخاطر ، متشابك المسائل ، دب من أجله الخلاف ، واختلت فيه الموازين ، فالحوض فيه يحتاج إلى ميزان حساس ، وعادل ، وسط فلاطم أمواجه .

ولكني استنصرت على نفسي بأنه لا بد من ضرورة البحث ، وبيان معتقد الشيخ ، وسبر أغوار شخصيته من خلال نحلته في هذا التفسير ، بصفته إباضياً ، مفسراً ، حديثاً ، له القدر المعلى في نصرة مذهبه ، وإباضي لا يألو جهداً في محاولة كسب النص القرآني إلى صفه ، ومؤيداً لمذهبه ، راداً لكل الآراء المخالفة له . ولا شك أن عقيدة الإنسان تؤثر فيما يصدر عنه من أقوال وأفعال يظهر ذلك لدى العلماء في إنتاجهم العلمي والشيخ تجلت شخصيته الإباضية في هذا التفسير بأمرين : -

١ - تصريحه بالانتماء لهذه المدرسة والدعوة إليها .

٢ - ترجيح آراء هذه المدرسة ، والتحمس إليها ، وسحولة إثبات صحة معتقدها .

أما القسم الأول : فأول ما يلتقنا في

مقدمة التفسير : (١) (هذا تفسير القرآن العظيم تأليف... السيد الحاج محمد أطفيش الإباضي الوهبي مذهباً...) . وفي ثنايا صفحات هذا التفسير ، وفي أكثر من موضع نجد الشيخ ينص فيقول : وعندنا معشر الإباضية الوهبية . (٢) وكثيراً ما يشيد الشيخ بمذهبه الإباضي الوهبي ويدعوه ، ويرى أن أهله هم أهل الحق ، والاستقامة .

(١) تفسير التفسير ، ٥/١ .

(٢) تفسير التفسير ، ٣١٦/٣ .

وينحاز الشيخ باللائمة على مخالفي الإباضية ، ويقرر أن سبب تفرق المسلمين ، واستهانة أعدائهم بهم ، هو عدم اعتنائهم بمبادئ الإباضية . فمن ذلك ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَعِثْلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ، الأنفال (١٦) . حيث قال : (فلو رجعوا - يعني المسلمين - عزمياً - إلى مذهبنا في الأصول ، أو أعرضوا عن مسائل الخلاف كأن لم تكن ، وكانوا يداً واحدة ، لغلّبوا على أهل الشرك ...) (١) وكثير ما يردد ولاحق مع مخالفينا في الأصول .

هذا اعتقاد الشيخ ، ولظنه أن الدليل معهم فيما يقررونه من أصول . ومن مظاهر اعتداد الشيخ بمذهبه ، تخصيصه بعض الآيات ، وتعيينها لأهل مذهبه ، فالقوم المقصودون في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ محمد (٢٨) . هم في نظر الشيخ قادة المذهب الإباضي . والسبطا الوارد في قوله تعالى : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ، فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلِظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَاقِهِ ﴾ الفتح (٢٩) . هم أئمة المذهب الإباضي ومن بعدهم . (٢) . أما إرشاد الشيخ بأئمة المذهب المتأخرين ، فنجد مثاله ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَوْسًى ﴾ ، البقرة (١٢٥) . وقال أمير مكة للسلطان حمود : وهو سلطان زنجبار ، أعوام إقامته بمكة : أئمة مقامك ، وللإباضية أهل مذهبك ؟ فقال : لا تفعل ؛ لأنه خلاف الشريعة ، ولأنهم لا يقبلون ذلك عني ولا عنك ، ولا يقف فيه أحد منهم ، فلذلك ونحوه قلت فيه : -
حمودنا ابن محمد وشيعته
ظل البرية والحق شريعته (٣)

والحق أن تأثير الإنسان بما يعتقه من مبادئ أمر مقرر ، ولكن لا يصل إلى مثل هذا الصنيع ، وفي ظني أن هذا مسلك مرفوض ، واستطراد ظاهر لا حاجة له ، وإخراج الآيات عن دلالاتها .

(١) تيسير التفسير ، ٢/٢٧٦ .

(٢) تيسير التفسير ، ٢/٢٧٤ .

وقد قيل لي تحديد القوم أقوال كثيرة منها : أنهم أهل اليمن ، أو الأندلس ، أو الملائكة ، أو التابعين ، أو القوم والمجموع ، وغير ذلك ، والحق أن القرآن الكريم لم يحدد هوية القوم ، ولم يذكر شيئاً من صفاتهم ، إلا أنهم لا يشابهون الذين تولوا عن أمر الله ، وطاعته . ثم هل حصل التولي المسبب للاستبدال لمحصل الاستبدال ؟
انظر : تفسير العنبري ، ٢٦/٤٣ . المنهاج ، على هامش الطبري . ابن كثير ، ٤/١٨٢ . فتح القدير ، ٥/٤٢٢ .

(٣) تيسير التفسير ، ١/١٧٣ .

أما القسم الثاني فهو يضم:-

أولاً :- الآراء التي رجح فيها أصول المذهب :-

أ- الأسماء والصفات :-

البحث في موضوع الأسماء والصفات ، يعد بحثاً في مفصل الاعتقاد لا في مجمله ، وما دام كذلك فهو حري ألا يشير صراعاً بين المسلمين وتبدد من أجله الطاقات . فضلاً عن أن يستمر إلى اليوم ، دون أن تكون هناك نتيجة لهذا الصراع .

أما الشيخ محمد فقد سلك سبيل التأويل ، وهو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية ، إلى الدلالة المجازية . (١)

لقد اتخذ الشيخ التأويل منهجاً ، ونزع إليه في آيات الصفات ، ونخريج الألفاظ التي جاءت مضافة إلى الله . عز وجل . واستخدم لذلك دلالات اللغة ، والمجازات ، والإستعارات ، أو حملها على أسلوب التشبيل والتخييل ، والصفات التي يظن الشيخ أنها تماثل صفات المخلوقين لا تلبث أن تجد تأويلاً لدفع توهم التشبيه . والشيخ - رحمه الله - سار على ما ذهب إليه أهل مذهبه في موضوع الصفات ؛ فهي عندهم إعتبارات ذهنية ، فالله - سبحانه - حي لا بحياة عالم لا يعلم ، فلو أثبتوا - على زعمهم - هذه الصفات لأثبتوا تعدد الآله . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر .. ﴾ الحديد (٣) . يقول : (الأول) وحده لم يسبقه شيء ، ولم يكن معه شيء بلا أول . فإخفاً من قال : صفاته غيره قديمة معه . ومن قال : لم يزل يخلق الأشياء ، فيبقى ما يبقى ويغنى ما يغنى ، والزمان حادث ، فالله - عز وجل - متقدم عليه . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ ، الصفات (٩٦) . قال : .. ولا موجود إلا خالق ومخلوق ، والخالق الله تعالى ، والمخلوق ما سواه ، وصفاته - تعالى - قديمة وهي هو ، وأفعاله مخلوقة له ؛ هو خالقها ... (٣) . وإلى بعض الأمثلة التي جاءت فيها الألفاظ مضافة إلى الله عز وجل .

(١) انظر : معاني التأويل في اللغة ولسان العرب . ٣٢/١٠ ، ٣٤ ، الانشقاق ١٧٢/٢ . فصل المقال . لمن رشد ١٤ ، التفسير والمفسرون ١٨/١ .

(٢) تفسير التفسير ١١٦/١٣ .

(٣) تفسير التفسير ١٣٠/١١ .

أما مفسرو أهل السنة فقد أثبتوا الصفات الأولية القديمة فمن ذلك ما قاله الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا .. ﴾ سورة البقرة (٦٥) وثبت بنص هذه الآية القوة لله ، بخلاف المعتزلة في تفهيم معاني الصفات القديمة تعالى الله عن قولهم ، تفسير القرطبي ٢٠٥/٢ .

١- الوجه . تعددت إضافة الوجه إلى الله - عز وجل - في أكثر من موضع في

القرآن الكريم ، وقد حملها الشيخ على معنى الذات، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ، البقرة (١٥) . قال: ذات الله (١) وعند قوله تعالى : ﴿ وَيَقَى وَجْهَ رَبِّكَ .. ﴾ ، الرحمن (٢٧) . قال : أي ذات هو ربك - سبحانه - كاستعمال الجزء في الكل على التجوز . (٢).

٢- العين . والعين عند الشيخ تزول إلى الحفظ ، والرعاية، والصون . فعند

تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ ، طه (٣٩) . قال: ومعناه بمرأى مني ، وذلك على الاستعارة التمثيلية للحفظ والصون ، فإن المصون مراعى ويراقب كما يراقب الشيء بالعين .. (٣) ، وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، الطور (٤٨) قال: في أعيننا أي حفظنا لا يصلون إليك ، فالعين مجاز عن الحفظ (٤).

٣- اليد :

ومفهوم اليد في حقه - تعالى - عند الشيخ هي : القدرة والنعمة . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ، المائدة (٦٤) . يقول : أي ليس الأمر كما قالوا ؛ بل يده مَبْسُوطَتَانِ ، والمعنى أنه جواد باسط للنعمة ، وهكذا المراد لإثبات الجارحتين ، ولكن نبي اليد إعلاماً بأنه في غاية الجود .. ، وزعم جمهور الأصمعة أن اليد في حق الله ، واليدين والأيدي ؛ صفة ذات يؤمن بها بلا تكييف، وهو خطأ ، وجمهور المتكلمين على ما نحن

(١) تفسير التفسير ١/١٦٦

(٢) تفسير التفسير ١٣/٢٢ وردت في هذه اللفظة تأويلات عند أهل السنة، انظر : فتح الباري ابن حجر ٢/٤٠٠ ، الأسماء والصفات للبيهقي ٣٠٩ البحر المحيط ١/٣٦١ .

(٣) تفسير التفسير ٨/١٦٦ وردت تأويلات للفظ العين عند أهل السنة . انظر : مفردات الراغب ٣٥٥ . تفسير الطبري ٢٧/٥٩

(٤) تفسير التفسير ١٢/٥٩٩ .

نحن عليه من تفسير ذلك بالنعمة والقُدرة ونحو ذلك . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاهَا بِيَدَيْهِ﴾ ، الذاربات (٤٧) . قال : بقوة (٢)

٢- الفوقية :-

ورد لفظ الفوقية في كتاب الله تعالى عدة مرات . وقف عندها الشيخ . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ، الأنعام (٦٨) . قال : - والفوقية علو شأن ، لا حس - تعالى الله عن الجهة - ، والجملة استعارة تمثيلية لعلو شأنه تعالى ، والاستعارة في فوق بأنه شبه الغلبة بمكان محسوس ، وقيل : كنى عن القهر ، والعلو بالغلبة . (٣) ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ التحل (٥٠) . قال : المراد علو شأنه عليهم بالقهر .

٣- الاستواء :-

وردت لفظة الاستواء في القرآن الكريم مضافة إلى الله - سبحانه - في عدة سور ، تنحصر كلها بتعبية (يالي) أو (على) . وقد سلك الشيخ في تأويله الاستواء : بالملك ، والغلبة ، والقوة ، أو توجه الإرادة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ ، البقرة (٢٩) . قال : - الاستواء هنا توجه إرادته ، ثم ينمى على من يفسر خلاف ذلك ، قائلا : - واختار الجهل على العلم من وكل أمره إلى الله ، وقد وجد له تأويلا ، وهلك من قال : - إنه على ظاهرة ، ولكن بلا كيف ، ويتم هنا تفسير استوى بملك (٤) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿الْوَاحِدُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ، طه (٥) . يقول ما ملخصه : - والعرش في اللغة سرير الملك (٥) ، وفي الشرع سرير ذو قوائم تحمله الملائكة فوق السماوات كالحقبة ، كما خلق الله النار في الجبل ، وليس الله حالا فيه ولا فوقه ، ومعنى استوائه على العرش أنه ملكه . ثم يأتي ببعض الروايات عن

(١) تفسير التفسير ١٢٤/٣ .

(٢) تفسير التفسير ٤٧٨ / ١٢ . وردت تأويلات أخرى لهذه اللفظة ، انظر : مفردات الراغب ٥٥٣ ، تفسير الرزقي ٤٣ / ١٢ ، فتح الباري ٣٠٤ / ١٢ - ٤٠٧ . الأسماء والصفات ٤٠٤ .

(٣) تفسير التفسير ٢٥٦ / ٣ ، انظر : تأويلات أخرى للطبري ١٠٣ / ٥ . البحر المحيط ٢٠٨ / ٢ القرطبي ٣٩٩ / ٦ .

(٤) تفسير التفسير ٤٦ / ١ .

(٥) انظر : لسان العرب ٣١٣ / ٦ ، مفردات الراغب ٣٢٩ .

الصحابة ، والتابعين تدل في ظاهرها عليه، ثم يستطرد في الحديث عن العرش، والكرسي ، والرد على الفلاسفة . (١)

٦- الساق : لم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم، مضافا إلى الله - عزوجل - ، وإنما ورد في سورة الفلم دون إضافة . وهو قول الحق جل وعلا : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود ﴾ ، القلم (٤٢) . يقول الشيخ في هذا المقام ما ملخصه : - والساق ما فوق الكعب ، وكشفها كناية عن شدة الأمر؛ لأنه إذا أريد مزاوله أمر عظيم يزال الثوب عن الساق لئلا يعطل العمل ، أو ذلك استعارة تعنيلية أو الساق أصل الشيء وهو ما يبنى عليه بانيه ؛ أي يكشف عن أصل الأمر وتبدو حقيقته ، فالساق استعارة تصريحية أصلية، ويكشف ترشيح مجاز مرسل ، وذلك اليوم

أشد زمان في القيامة . ومن استعمال الساق في معنى الشدة ، قول جرير :

إلا رب ساهي الطرف من آل مازن إذا شممت الحرب عن ساقها شمرا . (٢)

ومن أثبت لله ساقا على ظاهره أشرك بهذا الاعتقاد، وأشرك بتفسير القرآن به، ويكفي في المتشابه ما ورد التصريح به مضافا إلى الله تعالى مثل : يدالله ، ووجه الله . والاستواء على العرش فنؤوله بما يليق بوحديته ، وما لم ينسب إليه . فما الداعي إلى نسبته إليه وجعله من المتشابه، وما ورد في إثباته على ظاهره حديث كذب موضوع ، (٣) ، ولو كان في الصحيحين وغيرهما . . (٤) .

كلام الله تعالى :

ينعوا الشيخ - رحمه الله - منحي الإباحية في صفة الكلام التي ترى أن كلام الله تعالى مخلوق، وليس أزليا . وقد عرض الشيخ لهذه المسألة ، واستغرق حديثه عنها صفحات عديدة في كل جزء من أجزاء تفسيره، وهو يمرضها بمزيد من الشرح والبيان أحيانا، ويشيء من الإيجاز ، والاقتضاب أحيانا أخرى. وكلما ورد لفظ في القرآن الكريم يدل على النسخ ، أو

(١) تفسير التفسير ١٣٤-١٣٠/٨ وروث فأويلات أخرى عند أهل السنة انظر : مفردات المراتب ٢٥١ ، الطبري

١٥٠/١ ، الأسماء والصفات لليهي : ٤٠٩ ، فتح الباري ١٣/٤١٢-٤٢٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ٣١٠ .

(٢) أورد القرطبي عند تفسيره لهذه الآية شيئا بهذا البيت ونسبه محقق التفسير لعالم الطائي ٣٤٨/١٨ .

(٣) والحديث الذي حكم الشيخ بأنه موضوع وأورد في صحيح البخاري في كتاب التفسير في باب (يوم يكشف عن ساق) - فتح الباري ٥٣١/٨ .

(٤) تفسير التفسير ٧٩-٧٧/١٤ ، انظر : تفسير الطبري ٢٩/٢٤ ، فتح الباري ٥٣١/٨

تبديل القرآن بغيره، أو أن يأتي بمثله، أو أنه محدث... فإنه يتخذ دليلاً على حدوثه. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا...﴾، البقرة (١٠٥). يقول: - والنسخ دليل على أن القرآن حادث مخلوق، ولا تثبت الكلام النفسي، والتعبير من عوارض الكلام النفسي؛ وهي الأفعال في الأمر، والنهي... وفي إثبات الكلام النفسي لإثبات كون الله ظرفاً متحيزاً، وإن رجع ذلك إلى العلم لزم أن كل ما عمله قديم، والقرآن هو هذه الألفاظ لا غيرها. (١) ويرى الشيخ: أن القديم لا يقال بأعجازه، والإعجاز يكون للحادث. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، الإسراء (٨٨). يقول: .. نزل ذلك رداً عليهم، إذ قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ الأنفال (٣١) كذبوا. لا طاعة لهم بفصاحته وبلاغته، مع أنه مخلوق مثلهم. إذ لا دليل نقلي ولا عقلي على ثبوت الكلام النفسي، وأن القرآن هو الكلام النفسي القديم، وأن هذا المتلو ترجمته، وقد جعله الله من جنس كلامهم، وقال لهم اتقوا بمثله، فبين أنه حادث. ودعوى أنه ترجمة عن الكلام النفسي، رجم بما لا يعلمون، والقديم لا يقال بأعجازه، والإعجاز إنما هو الحادث، (٢) وإذا مر الشيخ بآية فيها كلام الله لم يسله صراحة؛ فإنه يخرج على أنه يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام، والأجسام، من غير أن يرى السامع، ويصير من يكلمه، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِهِ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، الأعراف (١٤٢). يقول: أنشأ الله له كلاماً، وسمعه من كل جهة، ونحن لا تثبت الكلام النفسي بل كلامه. تعالى - خلق الكلام، أو نفى الخرس (٣). وهكذا يستدل الشيخ - تجاوز الله عنا وعنه - بهذه الآيات على ما ذهب إليه أهل مذهبه؛ فيحسبها على غير محلها؛ ليرد بذلك على مخالفيه، فينكر الكلام النفسي لله تبارك وتعالى. وينحى باللائمة على القائلين به، وهم الأشاعرة؛ الذين أثبتوا لله كلاماً نفسياً، وهو المراد بإثباتهم، الكلام لله تعالى، وهم يفرقون بين صفة الله القديمة القائمة به، وبين ألفاظ المصحف المتلو المتداول بين الناس. فيرون أن الأول هو القديم، والثاني لا مانع من القول أنه مخلوق. (٤) يقول الإمام الجويني (وذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس؛ وهو الفكر الذي يلور في الخلد، وتدلل عليه العبارات تارة، وما

(١) تفسير التفسير ١/١٥٦.

(٢) تفسير التفسير ٢/٢٠٦ وما بعدها.

(٣) تفسير التفسير ٤/١٩٠.

(٤) شرح المؤلف (٢٩٥ - ٤٩٨).

بصطلح عليه من الإشارات) ، ثم يأتي بأدلة على ذلك (١) . وقد ذكر الإمام الألويسي طرفاً من أدلة الأمشاعة في إثبات الكلام النفسي في مقدمة تفسيره (٢) . والحق أن الله - سبحانه - متكلم ، وأن كلامه قديم ، وأن القرآن كلامه القديم وكيف يقال أن القرآن صفة الله وهو مخلوق !! يقول الإمام القرطبي في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ، النساء (١٦٤) . قال : تكلماً مصدر معناه : التأكيد . يدل على بطلان من يقول مخلق لنفسه كلاماً في شجرة فسمعه موسى ؛ بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلماً . قال النحاس : وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً. (٣)

أ- رؤية الله عز وجل -

سبقت الإشارة إلى أن الإباضية ينفون رؤية الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة ، ويرونها مستحيلة ، والشيخ محمد أطفيش تبنى هذا المعتقد ، وقرر ذلك ، وأكد في ثانياً تفسيره .

فعند صريح قوله تعالى : ﴿ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ (٢٢) . قال : قدم بطريق الاهتمام والمحصن والفاصلة ، وهذا المحصر يفيد أنه ليس المعنى تنظر أبصارهم إلى ذاته - تعالى - لأن مدعي الرؤية لا يقول : ينظر إلى ذاته فقط دائماً ، وإن قيل التقديم ليس للمحصن . بقي أن النظر إلى الذات ولو أقل من لحظة موجب للتحييز ، - تعالى الله عنه - ، وناظرة خير ثان ، ومعناها منتظرة . ومن تعدي النظر بمعنى الانتظار إلى قولهم : أنظر إلى الله ، ثم إليك ؛ أي أنظر فضل الله ثم فضلك . وقول الشاعر :

وجوه ناظرات يوم بدر
إلى الرحمن يأتي بالفلاح . (٤)

وقوله تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ مِيسِرَةٍ ﴾ سورة البقرة (٢٨٠) ، قال الإمام علي : تنتظر متى يأذن لهم ربهم في دخول الجنة أو بمعنى النعمة ، مفعول مقدم . أو يفتر مضاف إلى ملك ربها ، أو ثواب ربها ، أو رحمة ربها ، والنظر بالمعنى أو الأصل إلى انعام ربها ، وانظر بمعنى الانتظار . ولا

(١) الارشاد (١٠٥) .

(٢) تفسير الألويسي ١/١٠٠ - ٢٠٠ .

(٣) تفسير القرطبي ١/١٨٨ . انظر : هذه المسألة : تفسير الطبري ٣/٣ ، تفسير أبي حيان ٢/٢٧٣ ، تفسير الرازي ١٠/٣١٨ ، العقيدة الطحاوية (١٧٩ - ١٨٨) . الأسماء والصفات للبيهقي ٢/٢٣٩ .

(٤) ينسب البيت إلى حسان بن ثابت ولم أجده في ديوانه في القصيدة التي قلها يوم بدر .

يرجون الرحمة إلا من الله - تعالى - كما لا يعبدون إلا إياه. وكل حذف أو تأويل ولو كان خلافاً لأصل مقدم على عدمه، إذا كان عدمه يؤدي إلى التشبيه أو نحوه، والتقدير والتأويل هما المناسبان لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. الشورى (١١). المتفق عليه ولكونه لا يتحيز ولا يتجه، ولا يتجسم، كما هو المتفق عليه. ولكونه الممتنزه لا تدركه عن الحوادث كما هو المتفق عليه، وذلك كله بالذات، وما بالذات لا يتخلف باختلاف الأزمنة، ولتنزهه عن اللون، والطول، والتقصير، والغلظة، ورؤيته تنقض هذه الأصول كلها، وثبت غيبته عن المواضيع الأخرى والتجزي، ولزمهم أن الله محسوس لخلقه، وهؤلاء قوم لا يخفى غلطهم في بعض الأصول... وروضوا أحاديث منها: أنه ينظر إليهم وينظرون إليه صباحاً ومساءً، ولا يغني عن مدعي الرؤية دعوى أنها ليست على المعتاد؛ لأن حاصلها الانكشاف، وهو منزّه عنه، ولا يصرهم الانتظار؛ لأن ما هم فيه من النصرة نعمة عظيمة تنفي هم الانتظار، بل جعل الله الانتظار نعمة أخرى. (١) ويشير إلى هذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَأْتِيَنَّكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾. سورة البقرة (٥٥). حيث قال: .. والآية دليل كفر مجيز الرؤية دنيا أو أخرى؛ وذلك لأن إجازتها ولو في القلب إجازة لتكييفه؛ وتكييفه مستع؛ لأن فيها تشبيهاً، وإدراكه بالقلب تكيف لا يتصور بدونه، فلا يصح قولهم، بلا كيف، وتكييفه في القلب بلا تقدير أن تكييفه لغيره هو نفس المحذور. (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾. الأعراف (١٤٣). قال ما ملخصه: - أي اظهر لي أراك، أو قوني على أن أراك. ويقال: لما استحل ما سمع من الكلام حاج به الشوق إلى طلب الرؤية، مع علمه بأنها لا تكون لافي الدنيا ولا في الآخرة؛ لأن مانع مدح لا يختص انتزاعه بزمان... (٣) هذا مجمل رأي الشيخ في هذه القضية، وفي محاولة صرف الآيات عن دلالتها، ولي على كلامه بعض الملحوظات:

١- أن الشيخ - عفا الله عنه - قد تجاوز في تعصبه لمذهبه في هذه المسألة، والتي قبلها تعصب الزمخشري للممتزلة، فكان عنباً في عرض آرائه، والرد على مخالفه.

ووصل به الأمر إلى تكفيرهم، حتى ولو أشفق عليهم، وحمله على كفر النعمة

٢- أن هذه المسألة قد وقع فيها الخلاف بين العلماء منذ القدم ووجد من المسلمين من قال بما قالت به الإباضية كالإمام التابعي مجاهد بن جبر، فلم يوجب عليه العلماء كفراً، ولم

(١) تيسير التفسير ١٤/٣١٢.

(٢) تيسير التفسير ١/٨١.

(٣) تيسير التفسير ١/١٩٠-١٩٣.

فالكل مخلوق ، وأفعال المخلوق خلقتها الله ، وخلق قصد كل قاصد وإرادة كل مرید . (١)
ويرى أنه سبحانه خالق للخير والشر ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ الزمر
(٦٢) . قال : من أجسام ، وأعراض ، وطاعة ، ومعصية ، وغيرها من أفعال الجوارح ،
وأفعال القلوب . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن الذين حقن عليهم كلمة ربك ﴾
يونس (٩٦) يقول : قضاياه بالشفقة أو بالعذاب أو مافي اللوح المحفوظ . وأفعال العباد معلومة
لله تعالى ، ومخلوقة له طاعة ، ومعصية ، ومرادة له لا تخالف علمه . (٣) مما سبق نرى الشيخ
يفترب من رأي أهل السنة ، ويؤيدهم في هذه المسألة . (٤) .

الوعد والوعيد :-

ومضمونه عندهم أن الله وعد المطيعين بالنواب ، وتوعد العصاة بالعقاب إن لم يتوبوا ،
وبهذا يلتزم الشيخ في تفسيره عند عرضه لهذه القضية ، ويعرضها من منطلق إباضي بحث . فعند
تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن وعد الله حق ﴾ يونس (٥٥) . قال : - النواب والعقاب لا خلف في
وعده ولا وعيده ؛ لأن الخلف شأن من لا يعلم العواقب ، أما من يعلمها سبحانه ؛ فإن شأنه
يستمر ولا يتبدل . (٥) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ ، آل عمران (٩)
قال : وخلف الوعد نقص مناف للكمال الذي هو مقتضى الألوهية ، ولن يخلف الله وعده ، فلا
بد من ذلك اليوم . وللتأكيد وضع لفظ الجلالة ظاهراً مع أن الموضع (إنك) ، وخلف الوعد
خيبراً أو شراً نقص ؛ لأنه إما عن كذب أو ظهور أمر يستحق الخلف لأجله قد خفي قبل ، والله
متزه عن الكذب ، وجهل الحال ، والعاقبة (٦) ولا يستثني من ظاهر آيات الوعد إلا
التائب ، ويعلق آيات المغفرة على التوبة . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولله ما في السماوات
وما في الأرض ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ آل عمران (١٢٩) .
قال : .. وليس من الحكمة أن يدخل الكفار الجنة غير تائبين ، أو يدخل المطيع النار ميتاً
على الاستقامة ، وما ليس حكمة لا يوصف الله به . قال الحسن : يغفر لمن يشاء بالتوبة ، ولا

(١) تفسير الظهير ، ١١ / ١٣٠ .

(٢) تفسير الظهير ، ١١ / ٢٩٣ .

(٣) تفسير الظهير ، ٥ / ٣٣٥ .

(٤) مبنت الإشارة إلى رأي أهل السنة في هذه المسألة في الفصل الأول .

(٥) تفسير الظهير ، ٥ / ٢٨٠ .

(٦) تفسير الظهير ، ١٣ / ١٤ .

يشاء أن يغفر إلا للتائبين، ويعذب من يشاء، ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب. (١)
وهكذا يتكلف الشيخ في تأويل الآيات تكلفاً جلياً لنصرة مذهبه، أما مفسرو أهل السنة فهم
مجمعون على أنه لا يجب على الله شيء. قال الإمام الرازي:.. عند تفسيره لقوله تعالى :
﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ المائدة (٦٥) : إن هذه الآية رد على المعتزلة ؛ وذلك لأنهم
قالوا : يجب على الله إعطاء الثواب للمطيع ، ويجب عليه ألا يعاقبه ، فهذا المنع ، والحجر ،
والقيد يجري مجرى الغل . . . وأما أهل السنة فهم القائلون بأن الملك ملكه ، وليس لأحد عليه
استحقاق ، ولا لأحد عليه اعتراض . (٢)

الاسلام والايمان :-

توسع الاباضيون في مفهوم الايمان والاسلام حتى انتهوا الى أنهما مترادفان ، هذا ما أشار
إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين﴾ الذاريات (٣٥-٣٦) . حيث قال : . وفيه دلالة على أن الإسلام هو الإيمان
بمعنى ، ولو اختلف المفهوم ولعله يقصد المفهوم اللغوي ؛ فإن مفهوم الإسلام الأذعان ،
ومفهوم الإيمان التصديق. (٣) وإذا كان هناك علاقة بين الإيمان والعمل ، فإن الإيمان يزيد
وينقص حسب الأعمال زيادة ونقصاناً ، ودرجات الإيمان تتفاوت حسب تفاوت العمل. يشير
الشيخ إلى ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وإذا قلبت عليهم آياته زادتهم إيماناً ..﴾ ،
الأنفال (٢) يقول : تصديقاً بالقلب ، وعملاً بالقول ، والجوارح. فإن الإيمان بتلك
المعاني ، يزداد قوة ورسوخاً بزيادة الأدلة ، وتداعي بعض لبعض . والفكر ، وينقص
بإهمال الفكر ، .. (٤)

الحكم على هتكب المعاصي :-

سبقت الإشارة إلى أن الإباضية يذهبون إلى تخليد أصحاب الكباثر في النار، هذا ما يعلنه
الشيخ ويرى صحته . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿يلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته

(١) تفسير التفسير ١٦٦/٢ .

(٢) تفسير الرازي ١٢ / ٤٢ .

(٣) تفسير التفسير ١٢ / ٤٢٣ .

(٤) تفسير التفسير ٣٠٠ / ٤ . يعني الشيخ أن الإيمان يزداد بالفكر والعمل ، وإذا أهمل الفكر والعمل نقص ، وكلمة

زداد الإهمال زاد النقص . انظر : هذه المسألة : صحيح مسلم شرح النووي ١ / ١٤٩ ، فتح الباري ١ / ١٢٧ المتبعة

للطحاوية (٣٧٣ - ٣٩٢) ، كتاب الإيمان - ابن تيمية (٤ - ١٠) .

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿١٨﴾ البقرة (١٨) - حيث قال: .. ذنبا كبيرا أو صغيرا أصر عليه ، فالسببة تشمل الشرك وما دونه ، ولا دليل على تخصيص الشرك . ويدل على ما قلت قوله في أهل الجنة (وعملوا الصالحات) ، وقومنا - يقصد أهل السنة - مجتمعون معنا على أن الإصرار محيط للأعمال الصالحات، ودعوى أنه يحيط ثواب الأعمال ويبقي ثواب التوحيد ، أو دخول الجنة لا دليل عليها .. ، ومن شأن السيئة غير المتوب منها أن تجر سيئات، وهو قوله : ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ سيئاته ، أو أشار إلى أنه لما لم يتب عن السيئة لم تغفر له صفائره لأصراره ، أحذقت به من كل جانب إذا لم يتب منها كلها، ولو تاب من بعضها .. ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . لا يخرجون منها . المشركون والفاسقون ، والأصل في المخلود . الدوام ، وحمله على المكث الطويل إنما يصح لدليل ، ولا خلاف في دوام المشرك في النار ، ومعنى إحاطة الخطيئة به أنها أهلكته، إذ لم يتخلص منها بالتوبة .. (١) . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ..﴾ البقرة (٢٧٥) قال: وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد مخلصون . (٢) وأما النصوص التي تواجه الشيخ وتدل على عفو الله ومغفرته ، فإنه يقوم بتخريجها بما يتفق وما ذهب إليه . فعند صريح قوله تعالى : ﴿وَأَن ذِكْرُكَ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ الرعد (١٣) . قال : كبائرهم وصفائهم إذا لم يصروا ، ولا تعجزه معصية ولو بلغت ما بلغت ، والآية زجر عن الإيأس لا مغفرة بلا توبة، أو هي في الصفائ لمن اجتنب الكبائر .. ولا دليل فيها على مغفرة المصير، فلنا إحباط الحسنات بالسيئات . (٣) وعند بيانه لأنواع الكبائر يبدو أنه يرجح رأي ابن عباس رضي الله عنه بعدم حصر الكبائر في سبع ، وينقل قوله بأنها أقرب إلى سبعمائة منها إلى سبع، وكل ما نهى عنه فهو كبير ، ثم يتابع قائلا : إن الكبائر ليست محصورة في القرآن ، ولا في السنة ، ولا في الإجماع ، بل تعرف بالذوق الصحيح ، وكم كبيرة لا توجب الحد ، ولم يذكر فيها لعن ، ولا وعيد ، وكيف يحصى من لا مطمع في ضبطه . (٤) . بهذا يتبين أن الشيخ كان يحمل الآيات غير معانيها، ويظهر تأثره بالمحتزلة الفاتلين بالتحسين ، والتفويض العقليين ، فكأن الحكم على الفعل

(١) تفسير الطبري ١١٢/١

(٢) تفسير الطبري ٢٤٤/١

(٣) = = ٢٥٥/٦

(٤) تفسير الطبري ٣٥٢/١٢

يعود إلى العقل نفسه أو نظرة الإنسان ، أو كما عبر عنه (باللون الصحيح) ، وليس بأن الشرع أمر به أو نهى عنه . وقد أكد مفسرو أهل السنة صحة مذهبهم في عدم تغليب أصحاب الكبار من المؤمنين في النار . بقول الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّه لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ النساء (٤٨) لقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة في مشيئة الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه ، عليه ما لم تكن كبيرته شركاً بالله تعالى : (١) وأكد هذا وقرره الإمام القرطبي وقال : وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة . (٢) .

وقال الإمام أبو السعود (٣) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ النساء (٩٣) . (تمسكت الخوارج ، والمعتزلة بهذه الآية في خلود من قتل المؤمن عمداً في النار ، ولا تمسك لهم فيها .. لأن المراد بالخلود : هو المكث الطويل لا الدوام ، لتظاهر النصوح الناطقة بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم) . وقد تواترت الأحاديث عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان . (٤) .

الشفاعة :

من المسائل التي تمثل اعتداداً لموضوع الإيمان ، ومرتكب الكبيرة ، وتكون يوم القيامة مسألة الشفاعة وقد سار الشيخ على رأي مذهبه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة (١٢٣) . حيث قال : والآية دليل لنا ، والمعتزلة على أنه لا شفاعة لأهل الكبار ، لأن الآية ولو كانت في المشركين ، لكنها في صفة يوم من شأنه أنه لا شفاعة فيه بدفع العذاب عن مستحقه ، ولا مقام أو زمان من مقامات الموقف وأزمته ، نص فيها على ثبوتها للفساق ، ولا لشخص مصر . (٥) وقد رد مفسرو أهل السنة هذا الفهم ، وأثبتوا من خلال نصوص الكتاب ، والسنة شفاعة الأنبياء للعصاة الموحدين ، قال الإمام القرطبي : ومذهب أهل الحق أن الشفاعة حق ، والأخبار متظاهرة ، بأن من كان من العصاة المذنبين الموحدين من أمم النبيين ، هم الذين تنالهم

(١) تفسير الطبري ٨٠/٥ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٤٥/٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ١٧/٢ .

(٤) انظر فتح البار شرح صحيح البخاري . كتاب التوحيد رقم الحديث (٧٥٠٩) ٤٨١/١٢ وغير الرجل الذي قتل مائة رقم الحديث (٣٤٢٠) . ٥٩١/٦٠ .

(٥) تفسير التفسير ٧١/١ .

شفاعة الشافعين، (١) وقال القاسمي: إن الآية خاصة في كفار، فلا يقبل فيمن كفر غدية ولا شفاعة. (٢) وقد رد ابن المنير في الانتصاف على الرمخشري بما يخفى. (٣)

السحر

اختلف في السحر هل له حقيقة أم لا؟ (فذهب عامة المعتزلة إلى أنه لا أصل له ولا حقيقة، وذهب أهل السنة أنه ثابت وله حقيقة. (٤) أما الشيخ محمد أطفيش فلم يعطنا رأياً واضحاً في هذه المسألة، فراه مضطرباً فمرة يرى أنه باطل لا حقيقة له، ومرة يجعل له حقيقة وتأثيراً. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُظْلِمُكُمُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يونس (٨١) يقول: لا يثبت له بل يردّه عليهم، وعمل المفسدين عمل بفعل السحر وغيره من المعاصي، واختار التعبير بالإفساد ليشير إلى أن السحر إفساد، وتسميه باطل لا حقيقة له، كما أنه يرى الخيال والمعصي تسمى وهي غير ساعية، وبعض السحر له تأثير بالله تعالى (٥)، وحقيقة كسحر اليهود للنبي - صلى الله عليه وسلم - حتى أنه يرى أنه فعل شيئاً، وهو لم يفعله ومرض به. وتصديق الشيخ بحقيقة السحر يوصله إلى إثبات صحة الأحاديث التي دلت على أن النبي قد سحر، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ الفلق (٤)، فبعد أن ذكر طرفاً من تفسير الآية قال: ويروى أن لبيد بن الأعصم وبناؤه - لمنهم الله -، سحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل شيئاً ولم يفعله، وأنه أتى أهله ولم يأثمهم، ولا يقدح هذا في النبوة، لأنه حال الوحي، وإقامة الحجة، التبليغ حاضر العقل، وهذا أمر حادث شاذ، وما هو إلا كمرض شديد ونوم، وأتى بنص الحديث على طول، ثم قال: - والسحر شيء له حقيقة، ذكر في القرآن والحديث أنه تعلمه من تعلمه لا خيال كما زعم من نفاه. والله خلقه، وإنما يؤثر بإذن الله تعالى، ولا يقدح في النبوة لأن لها دلائل ومعجزات، وليس يؤثر في نبي قبل المعجزة أو في حال الوحي... (٦) وما قاله الشيخ مؤخراً هو الصحيح، فالسحر ثابت وشهدت شواهد على ثبوته، وجمهور أهل السنة ذهبوا إلى أن السحر ثابت وله حقيقة وتأثير. (٧)

(١) تفسير القرطبي ٣٧٨/١.

(٢) محاسن التأويل ١٢١/٢.

(٣) كتاب الانتصاف على مائتين اكتشاف ١٣٦/١.

(٤) تفسير القرطبي ٤٦/٢.

(٥) هكذا جاءت العبارة ولعل الصحيح (بإذن الله تعالى) ٣١٢/٥.

(٦) تفسير القرطبي ١٢١/١ وما بعدها.

(٧) انظر المجموع شرح المهذب للإمام محي الدين النووي، وشرح صحيح مسلم ١٤/٢٢٥. كتاب الإرشاد للمعري (٣٢٢).

كرامات الأولياء :-

يرى الشيخ أنه لا مانع من أن يختص الله بعض عباده الصالحين فيجري على أيديهم ما يكون مخالفا للعادة تكريما لهم ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ﴾ آل عمران (٣٧) . قال : وما في الآية كرامة لمريم - رضي الله عنها - لا معجزة لسيدنا زكريا في الآية - عليه السلام - والحق أن كرامة الأولياء ثابتة ، وأنكرها المعتزلة ؛ فزعم بعضهم أن ذلك إرهاب لعيسى ، وبعضهم إرهاب لزكريا ، ولا يلزم الإرهاب للنبي أن يكون عالما به ، (١) وما قاله الشيخ صحيح ، ولكن دون المغالاة بهم أو سؤالهم ، أو التضرع إليهم . وهذا مسلك أهل السنة . (٢)

الغيبات : هي التي أخبر بها الشرع ، ويجب الإيمان بها ، ولم تختلف الإباضية (٣) فيما ذهبت إليه كثيرا في هذا المجال عن أهل السنة ، فهم يؤمنون بالجنة والنار ، وأنهما مخلوقتان ، وبالحوض ، والبعث ، وعذاب القبر ، وقد عرض الشيخ لمعظم هذه القضايا ومنها عذاب القبر . (٤) فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ النحل (٩٧) . قال : الحياة الطيبة لذة الطاعة ، وقيل في القبر لأنه يستريح من أذى الدنيا ، فته - صلى الله عليه وسلم - (أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) (٥) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ النارُ يعرضون عليها غدواً وعشيا ﴾ غافر (٤٦) . قال : والآية دليل على ثبوت عذاب البرزخ فيما قيل لكن الآية في الأرواح ، وردت أخبار ثبوته للأبدان وفيها أرواحها وذلك قبل قيام الساعة.

الميزان :- أما الميزان الذي توزن به أعمال الناس يوم القيامة فإن الشيخ يحمله على أنه معنوي وليس ماديا . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ الأنبياء (٤٢) . قال : تمثيل لاتقاء أن ينقص شيء من الأعمال أو الجزاء ، ولا ميزان حقيقي ...

(١) تفسير التفسير ٥٦/٢ .

(٢) السراج المنير - للخطيب الشربيني ٤٠٩/٤ .

(٣) انظر : فتاوى الخيرات - الجبلائي ٢٤٩/١ ، منهج الطالبين الرسالي ١٤٤/١ - السلسي (٢٤٢) .

(٤) ذكر بعض الكتاب أن الإباضية ينكرون عذاب القبر ، ومنهم الأستاذ يحيى محمدي في كتابه تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الأفريقية ص ٥٦ . ولا أدري من أين أتى بهذا القول ولماذا هذا التعميم ، وكتبهم ثبت هذه القضايا .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب صفات القيامة رقم (٢٨٧٥) . وقال حديث غريب ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد وغيره ضعف ٤٦/٣ .

الصراط : -

يحملة الشيخ علي معنى الاستقامة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ هود (١١٢) . قال: وفسر بعض الأشعرية* الصراط الذي هو أدق من الشعر ، وأحد من السيف في حديث الصراط على متن جهنم بالاستقامة إخراجاً له عن ظاهره ، كما كنت أقول قبل اطلاعي عليه قبل اطلاعي عليه (١) أما الصور فإن الشيخ يشبهه ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ﴾ الكهف (٩٩) . قال: والصور قرن ، كل روح في نفسه . قال القرطبي . من أنكر الصور كمن أنكر العرش ، وأجمعوا أن النافخ إسماعيل (٢) .

الإمامة : - لقد بدأ بظهور الخوارج إثارة قضايا سياسية وثيقة الصلة بالدين ، من أهمها مسألة الإمامة ، وكانت هذه المسألة محور الخلاف فيما بين الفرق ، وقد نظرت إليها الإباضية بمنظار خاص ، وقد سبق الإشارة إلى ذلك . (٣) أما الشيخ محمد أطفيش فقد تحدث عن هذه القضية في أكثر من موضع ، وأبان عن وجهة نظر مذهبه ، واكتفى بذكر مثال واحد . رأيت الشيخ قد فصل في القول في هذه المسألة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ الفتح (١٠) حيث قال ما ملخصه : - والآية دليل على وجوب الإمامة الكبرى ، ونصح الناس ، وكل آية أوجبت الإقامة للعدل أو إقامة للدين ؛ فهي موجبة للإمامة ، فهي من القرآن استنباطاً ، وكذا في الأحاديث . وكذا ذكره . صلى الله عليه وسلم - إمامة الصديق ، وإمامة عمر لعائشة ، وحفصة وأوصى الصديق بها على عمر ، وجعلها عمر شورى ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يأمر باتباع الأئمة ما داموا على الحق فوجوبها بالشروع ، وزعم بعض المعتزلة : - أن نصب الإمامة

(١) جمهور الأشعرية على أن الصراط حق ثابت على حسب ما نطق به الحديث وأنه جسر محدود على متن جهنم ، الأرملة للجويني ٢٢٠ ، الانصاف للباقلاني ٥١ .

* نسبة إلى أبي الحسن الأشعري وهو علي بن اسماعيل من نسل أبي موسى الأشعري ولد في البصرة سنة (٢٦٠ هـ) وتلقى عن المعتزلة مذهبهم ثم رجع عنه توفي ببغداد سنة (٣٢٤ هـ) والأشعرية يشتم سبع صفات وهي الحياة العلم والإدارة ، والكلام والقدرة والسمع والبصر أما سائر ما يؤولونها ، تاريخ المذاهب الإسلامية - محمد أبو زهرة ١/١٩٨ .

(٢) والحق أن العيزان حق ثابت ، والصراط كذلك على حسب ما نطقت به نصوص الكتاب والسنة ، وليس في ذلك مستحيلاً عقلاً . انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (ونضع المولدين القسط يوم القيامة) ، ١٢/٥٤٧ . وكتاب الرقائق ، باب الصراط جسر جهنم ، ١١/٤٥٣ . العقيدة الطحاوية (٤٧٢) . والنس صحيح كما جاء في تفسير القرطبي والأئمة مجمعة على أن الذي يتبع في الصور إسماعيل - عليه السلام - . قال أبو الهيثم : من أنكر أن يكون الصور قرناً فهو كمن ينكر العرش ، والميزان ، والصراط . تفسير القرطبي ٧/٢٠٧ .

(٣) يهت ذلك في الفصل الأول عند الحديث عن أصول الإباضية .

واجب على الله تعالى ، وهو خطأ ؛ فإنه لا واجب على الله ولا محرم ، وكذلك قالت الإمامية عن الشيعة (١) كالمعتزلة ، وإنما يجب الشيء ، أو يحرم من الأعلى على الأدنى ، ولا أعلى من الله ، ولا مساوي ، ومعنى : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ، الروم (٢٧) . أي حكمت بذلك . وقالت الخوارج - يعني بهم النجدات ، والسكاكية ، والأزارقة (٢) (والأصح من المعتزلة : - أنه لا يجب نصب الإمام ومنهم من قال بوجود نصبه عند الغتن ومنهم من عكس الحق وجوب نصب الإمام إذا أمكن لأن أمرنا باقي من الدين ، ولا سبيل إلى إقامته إلا بوجود الإمامات على أنفس الناس ، وأعلمهم ، وأموالهم ، ومنع تعدي بعض على بعض ، وذلك لا يصح إلا بوجود إمام يخافون سطوته ويرجون رحمته ، ويرجعون إليه ، ويستمعون عليه ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب فنصب الإمام واجب ، وجب أن يكون واحد لئلا يختلفا فيكون الفساد ، ولا يجب أن يكون الإمام أفضل القوم خلافا للإسماعيلية (٣) المنسوبين إلى اسماعيل ابن جعفر الصادق ، السمين بالباطنية . لقولهم : لكل ظاهر باطن ، وبالصلاحيات لعنوا لهم قصدا عن ظواهر الشرع إلى مواطن يدعونها في بعض الأحوال ، وذلك تحريف وخروج عن الدين ، وليس ذلك تصوفا ؛ لأن المتصوف يثبت الظاهر ، ويستنبط منه معنى بإشارة ، ويكون الإمام من قريش إذا وجد وصليح ، للإمامة ، وإلا فمن غيرهم ، ولا يجب أن يكون من بني هاشم . وزعم الرافضة أنه لا بد أن يكون علويا ، وقيل : إن لم يوجد قرشي فمن كنانة ، ويعزل بالفسق إن أصر عليه خلافا للأشعرية ، وذكر ابن العربي : - أنه إذا كان الإمام لا ينظر في أحوال الناس ، ولا يمشي فيهم بالعدل ، فقد أزال نفسه من الإمامة في نفس الأمر دون الظاهر ، واختار أنه إذا فسق انعزل فيما فسق فيه ؛ لأنه لم يحكم فيه بما أنزل الله تعالى ، وقد أثبت لهم في الحديث اسم الإمامة ولو جاروا ، ولا يكون الإمام بدويا ، أو عبدا ، أو طفلا ، أو جباناً ، أو أعمى ، أو أصم ، أو أبكم ، أو لا رأي له ، وإن لم يجدوا إلا بدويا نصبوه .

هكذا تناول الشيخ هذه المسألة وأجملها في هذه العبارات وأبان فيها عن مذهبه ، وأثبت أن عقد الإمامة واجب على المسلمين ، وأن هذا أمر محتم لا تخير فيه ولا هوادة في شأنه ، ودلل على أنها وجبت بالكتاب والسنة والعقل ، وأن المصلحة تقتضي ذلك ، ونص على عدم جواز تعدد الأئمة ، وأشار إلى الشروط والمواصفات الواجب توفرها فيمن تعتقد لهم الإمامة ،

(١) الإمامية : - فرقة من الشيعة قالوا بإمامة علي عليه السلام بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - نصبا ظاهرا وبقينا صادقا من غير تعريف بالوصف - الملل والنحل للشمساني (١٦٣) .

(٢) هؤلاء الخوارج لفقائل بعدم وجوب نصب الإمام . ولعل الصحيح من العبارة (الأصم) من المعتزلة .

(٣) فرقة من الرافضة تنسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق وزعموا أنه الإمام بعد أبيه ، ومنهم القرامطة الذين يرون الإمامة في محمد بن اسماعيل بن جعفر وهم الإسماعيلية الباطنية (الفرق بين الفرق - ص ٦٢) .

وأنصح إلى مدى أحقية قريش بالاستئثار بالخلافة ، ثم عرض آراء الفرق الأخرى وتصورها لهذه المسألة ، ورد على القائلين بعدم وجوب نصب الإمام ، وجاء رده من صميم دليلهم . ورأى أن القول بوجوب نصب الإمام على الله خطأ ومغالاة ؛ لأنه لا واجب على الله تعالى ، ولم يذكر الشيخ حالة ما إذا ظلم الإمام ولم يطبق أحكام الإسلام ، وحاد عنه لو حكم بالتشهي والهوى ، وهو ما يعرف بالخروج على أئمة الجور ، ولكنه أشار إلى ذلك في موضع آخر عند قوله تعالى : ﴿ لا يزال عهدي الظالمين ﴾ البقرة (١٢٤) . حيث قال : وهذه استجابة لدعائه أن يجعل من ذريته أئمة ، لكنه استثنى الظالمين فأياها فاسق أو مشرك تصدر فليس بإمام ، أو خليفة أو حاكم بل غاصب ، ولا يصلح للإمامة ، وهي أمانة الله من يخون . ولا ينفذ حكم الفاسق ، وناصبه ظالم ، من استرعى الذنب القتم ظلم ، وعن الحسن أن الله تعالى لم يجعل للظالم عهداً ، فلا يوفى له بشأن إمامته إذا أحدث ظلماً ، فالعهد كما شرط في البدء ، شرط في البقاء ، وإن نصب بعد توبته جاز . (١) .

ويطرق الشيخ إلى قضية الصراع بين علي ومعاوية ، وما أدى إليه من انقسامات ، ويشير إليها في أكثر من مناسبة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ الحجرات (٩) . قال : وصرح بعض الحنابلة بأنه أي - قتل الفتنة الباغية - أنفصل من جهاد المشركين ؛ لأن علياً بن أبي طالب ترك جهاد المشركين ، واشتغل بقتال معاوية ، وليس كذلك بل اشتغل بقتاله لما ظهر بغية وبني من معه من بني أمية ، فلو تركه لأدى الأمر إلى فساد أقوى مما وقع ، ولولا أنه يؤدي إلى ذلك لم يكن أفضل من جهاد المشركين ، وقد ندم على اشتغاله بقتال الخوارج عنه ، وقال : ليتني لم أقاتلهم ؛ لأنهم أسد النهار ، ورهبان الليل ، شفت نفسي ، وقطعت يدي ، وعاتبه الحسن ، وروى أنه تاب ولم يعش الناس بتوبته ، لأنه لم يشهرها ، ولم يتيقن عنه ، ولما قالت : - الصفرية ، والنجدية ، والأزارقة ، بتحليل الدماء ، والاموال بالذنب ، عرج عنهم الإباحية الوهية ، ومن أول الأمر امتنع عن قتال الخوارج ، وما زال به الأشعث بن قيس - عامله الله عز وجل بما أجرم - حتى قاتلهم . وقال ابن عمر : ندمت جداً إذ لم أقاتل مع علي معاوية ومن معه ، لأنهم كفة باغية . كما أمرني الله تعالى بقوله : ﴿ وإن طائفتان ﴾ . رواه البيهقي والحاكم (٢) ، وذلك أن الإمام هو علي ، ولا

(١) تيسير التفسير ٢٩٥/١٢ . وما بعدها .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب معرفة الصحابة في باب ذکر ابن عمر عن ميمون بن مهران قال : سمعت ابن عمر يقول : كنت يدي فلم أقدم ، المقاتل على الحق أفضل ، ثم قال الحاكم في شرح هذا الحديث وبيانه في ما حدثناه قال سمعت ابن عمر يقول : ما آسى على شيء (ثم يضع المحقق علامة لهقول في العائنية ، يماضي في الأصل ، لمن هذه الميابة سقطت إلا أنني لم أقاتل مع علي الفتنة الباغية) . مستدرک الحاكم ٥٥٨/٣ . وبحث عنه عند البيهقي في السنن الكبرى والصغرى ولقد لعل فلم أجده .

يجوز لمعاوية منارته في الإمامة ولا لعلي تركه (١) . أما عن موقف الشيخ من قضية التحكيم فإنه يقف منها موقف مذهبه الذي عارض نتيجة التحكيم ، ونقموا على ما قضى به . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ المائدة (١٤٤) ، قال : وفي الآية تكفير من أجاز تحكيم الحكمين فيما جاء فيه حكم الله تكفيراً غير شرك (٢) وكثيراً ما أنحى الشيخ باللائمة على الأمويين ، ولم يرههم أهلاً لمنصب الخلافة ، ووصف أيامهم بالسوء والظلم .

ثانياً : موقفه من الفرق الأخرى : -

لم يخلُ تفسير الشيخ من وقفات مع الفرق الإسلامية الأخرى المخالفة لفرقه ، وقد شن حرباً من الجدل على المخالفين له ، ودخل معهم في مساجلات حامية الوطيس ، وكان من أهدافه إظهار مذهبه وصحة معتقده . ومن أهم الفرق التي وقف معها وتعقب مواقفها وآراءها ، الشيعة ، والمعتزلة ، والصوفية . وسنعرض فيما يلي أهم هذه الوقفات .

أ- الشيعة : -

لقد عرض لهم الشيخ في مواطن كثيرة ، ولم يترك فرصة تمر لا يوقف معهم ، وينال من تأويلاتهم ، وقد فرق ما بين الشيعة ، والروافض (٣) . ورأى أن الشيعة أعم من الروافض ، والروافض بعض من الشيعة . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ﴾ التحريم (٣) ، رد على الشيعة بعتف وقسوة حتى وصل به الأمر إلى لعنهم . وقال ما ملخصه : - والإسرار قوله لعائشة ، وحفصة على وجه السر أن أبيهما يبيان الخلافة بعدي ، وروى بعض الشيعة عن الزجاج لما حرم النبي صلى الله عليه وسلم مارية ، أخبر أنه يملك من بعده أبو بكر ، وعمر ، وذلك البعض هو الطبري ، والشيعة من الروافض ، وفي رواية أن الإسرار قوله لحفصة أبوك ، وأبو عائشة وليا الناس من بعدي فإياك أن تخبري أحداً ، وإذا كان هذا زلة بطل قول بعض بجواز التكلم بالسر المستحكم عند من اطمأن إليه لا يفشيهِ كأميين ، وزوج ، وصديق . وكيف وقد قال الله تعالى : ﴿ إن تنوبا إلى الله ﴾ . وإذا أثبت الشيعة هذا فقد أبطلوا قولهم : إن الخلافة حق لعلي لا لأبي بكر ، ونسمع منهم في هذا العصر عند الطوائف الحمد لله الذي جعل الخلافة في علي ، أو الحمد لله الذي جعل الإمام علياً . ونقول : الإمام

(١) تفسير التفسير ١٢/٢٧٦-٣٧٧.

(٢) تفسير التفسير ١٠٣/٣.

(٣) الروافض فرقة من الشيعة كانوا مع زيد بن علي وطلبوا منه أن يبرأ من الشيخين ، فقال كانا وزيري جدي فلا اتبرأ منهما فرفضوه ، وتفرقوا عنه ، مروج الذهب ٣/٢٢٠.

علي بعد عثمان حقا ، فلعن الله الشيعة ولعن من يطوف بهم ، ويقول ذلك بهم . (١)

ويتابع الشيخ الإغارة عليهم بالفاظ قاسية ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَرَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ . هود (٧٣) . قال : والدليل على أن زوجة الرجل من آل ، آية الأحزاب : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١٣٣) . وزعمت الشيعة أنها لا تدخل في آل زوجها ، وأهل بيته إلا إن كانت من نسبه ، وأخرجوا - لعنهم الله - عائشة - رضي الله عنها - من هذه الآية ، (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ . الأحزاب (٦١) . قال : - وزعم الشيعة أنه - صلى الله عليه وسلم - أمر عليا أن يطلق من نساء منهن بعد موته ، وأنه طلق عائشة بعد الجمل ، وذلك كذب عليه - صلى الله عليه وسلم - ، وعلى علي . (٣) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح (٢٩) . قال : ولم أر أحدا أقرب إلى الشرك من الشيعة ، إذ جعلوا من التبويض ، وحكموا بالردة على من لم يبايع عليا بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - . كيف يمدح الله قوما مرتدين ؟ . ويذكر الله أنه راض عنهم وهم أهل بيعة الرضوان - حاشاهم - ، وهم المذكورون في

(١) تفسير التفسير ١٣/٢٤٥ .

ولي وقتان سمرتان مع الشيخ فالرواية التي نقلها وأشار إلى أنها من الطبري لم أجدها في تفسيره عند توضيحه لسورة التحريم ، فالطبري نقل عدة روايات ، ولكنه لم يذكر الرواية التي فيها خلافة أبي بكر وعمر ، والمفسرون اختلفوا في الذي أسره النبي إلى بعض أزواجه . قد ذكر القرطبي أنه تحريم مارية ، ونقل عن الكلبي أنه أسره إلى حفصة أن أبك وأنها عاتمة يكونان خليفتي علي أمي من بعدي ، وذكر عدة أقوال دون أن يرجع فويختار ، إلا أنه في مستهل السورة أشار إلى أنه أصبح رواية في ذلك رواية المصل - (تفسير القرطبي ١٨/١٨٦) . وقال ابن حجر في الفتح : اختلف في الذي حرره النبي على نفسه والذي في الصحيحين هو المصل (٩/٢٠٠) . أما ابن كثير فقد أشار إلى ضعف الرواية في إمارة أبي بكر وعمر (تفسير ابن كثير ٤/٣٠٩) . والذي يبدو أن رواية خلافة أبي بكر وعمر لا تصح إذ كيف سمر النبي لسهة بهذا المبدأ العظيم ، ولا يعرف المسنون شيئا من هذا . وأما الرواية الثانية : واتهامه الإمام الطبري بالشيعة وهي تهمة العصبية بالطبري قديما ولعلها أثبت حول الطبري لما أكثر من ذكر فضائل الإمام علي ، وأثبت بعض الأحاديث التي روتها للشيعة ، ولم يعتقد معتقدهم ، ويقول بأفواههم ، يقول الإمام الفهبي عند تعريفه بالإمام الطبري : ثقة صادق فيه تشيع يسير ، وموالاته لا تضر ، وأقنع أحمد بن السلمياني فقال كان يضحك للروافض وهذا دمج بالظن الكاذب ، بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتندين ، وما ندعي عصمته من الخطأ . حيزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٣/٤٩٩ . وقال عنه في سير أعلام النبلاء كان ابن جرير من رجال الكمال ، وشنع عليه يسير تشيع ، وما وأنها إلا المخبر ١٤/٢٧٧

(٢) تفسير التفسير ٥/٤٧١ .

(٣) = = ١٠/٢٠٧ .

القرآن ، والتوراة ، والإنجيل بأنهم من أولياء الله عز وجل . (١) ويصل به الأمر إلى أن يجمعهم مع أهل الأهواء ، والأديان الأخرى من اليهود ، والنصارى ، وعبدة الأصنام . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ ﴾ الأنبياء (٢٦) . قال : أفرطت النصارى في حب عيسى حتى اتخلوه إلهاً . وأفرطت اليهود في حب عزيز ، وأفرطت الشيعة في حب علي ، حتى ادعى له أوقلتهم الألوهية ، وتالوهم النبوة ، ومن بعدهم الإمامة قبل غيره ، وانكروا غيره (٢) . وكثيراً ما يحذر الشيخ من أحاديثهم فيقول : إذا جازك الحديث في أهل البيت وفي سنده شبهي فخذ حذرك فإنهم يكذبون . (٣)

وأحياناً يقف الشيخ معهم في بعض القضايا الفقهية ويناقشهم فيما ذهبوا إليه ، كما فعل في مسألة ميراث الابن الكبير (٤) . وفي رأيهم في ذبائح أهل الكتاب . (٥) .

ب - المعتزلة :-

من الفرق التي تعرض لها الشيخ المعتزلة ، فقد وقف مع أقوالهم ، ورد على تأويلاتهم ، وأوسعهم تهكماً . خاصة في الموضوعات التي اختلفت فيها وجهات النظر بين الإباضية والمعتزلة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ فَهَبْكُمْ أَنَّكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ التغابن (٢) . ذكر طرفاً من تفسير الآية ثم قال : والمعتزلة - فبحهم الله - يقولون : - الفاعل يخلق فعله والله عالم بما يفعله علماً أزلياً . (٦) . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ الزخرف (٢٢) . قال : - وكفرت المعتزلة من قال المعصية بمشيئة الله . ونقول : - هم كفروا بهذا التكفير ، كفر نفاق ونعمة ، ولا حجة لهم في ذلك لأن المعنى : أن الله عاب عليهم اعتناؤهم من مشيئته - عز وجل ، وهي ليست عذراً لأنه لو لم يشأ كان معصياً قهراً . (٧) . وقد يصفهم الشيخ بأنهم اخوان الشياطين ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ الأعراف (١٢) . قال : جواب معنوي ، واللفظي أن يقول

(١) = = ٤٣٥/٢ .

(٢) = = ١١٩/٨ .

(٣) تفسير التفسير ٣٦٥/٥ .

(٤) تفسير التفسير ٢٦٩/٢ .

(٥) = = ٣٠/٢ .

(٦) = = ٢٨٢/١٢ .

(٧) تفسير التفسير ٢١/١٢ .

- لعنه الله - متعني كوني خيراً منه. وفي جوابه إشارته إلى أن من شأنه الخلق من النار لا يحسن السجود لمن ليس منها فكيف يؤمر. والمعتزلة إخوانه في التحسين ، والتقيح العقليين في التكليف . (١)

والمعتزلة في أصلهم الثاني وهو العدل يبحثون مسألة الحسن والقبح العقليين ، فالحكم على الفعل بأنه حسن أو قبيح يعود إلى صفات تخص العقل ، وليس بمجرد الأمر أو النهي ، وقد انتقدهم الشيخ في ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ الإسراء (١٥) . حيث قال : والآية رد على المعتزلة في قولهم بالحسن والقبح العقليين ، وأن العقل يحكم بالوجوب ، والتعزيم طبق حكم الله وهو خطأ فاحش ، والعقل عاجز عن ذلك كما لا يخفى عن كل أحد وهو مخالف لنص القرآن وفي مقام آخر يقول هلكت المعتزلة بقولهم يجب على الله الإصلاح . (٢) ويناقش المعتزلة في قولهم في قضية الأجل ، وأن المقتول لو لم يقتل لعاش . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ﴾ آل عمران (١٤٥) . قال : والمقتول مات لأجله لا كما قالت المعتزلة أنه مات لغير أجله ، وأنه لو لم يقتل لعاش لأجل ، أو في وقت القتل قولان غاسدان ، وهذا من الأصول التي ينقطع فيها العذر فكفرهم بقولهم تكفير نفاق لا شرك ، وذلك أن الله لا يخالف الوعد ، ولا الوعد ، ولا يتجدد علمه فيبدو له ما لا يعلم - حادثاه أن يخفى عنه شيء ، ولا ينسى ، ولا يعجز ، ولا يغلبه شيء عن الأجل الموعود له ، وإذا وقع خلاف ما قضى انقلب العلم جهلاً ، والروح المحفوظ كذبا . (٣) وكثيراً ما يقف الشيخ مع بعض شخصيات المعتزلة ورؤسائهم ، ويناقشهم في آرائهم الكلامية ، أو يقول قالت معتزلة بغداد أو معتزلة البصرة . وأحياناً إذا وافق قول الإباضية قول المعتزلة يستشهد بهم ويدعم رأيه بآرائهم (٤)

جـ - الصوفية -

حمل الشيخ على الصوفية حملة شتعاء ، ومن هجومها عتيفاً على شيوخها ، ومفسريها ، ورد كثيراً من تفاسيرهم التي تخالف الظاهر ، وليس لها شبهة من دليل أو برهان . وأشار إلى ذلك في عدة مواقف ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأندر ﴾ المدثر (٢٠١) . قال : وقيل : المدثر الغائب في حراء أو في ثيابه أو في صورة عن الحقيقة المحمدية ، أو عن أنظار الخلق ، فلا يعرف حقيقة إلا الله تعالى ، والقولان للمتشددين الصوفية ، قبحهم الله

(١) تفسير التفسير ٢٢/١ .

(٢) تفسير التفسير ١٦٦/١ .

(٣) = ١٨٢/٢ .

(٤) = ٧١/١ .

عز وجل يغيرون القرآن عن ظواهره إلى ما هو خارج عن معناها، وحقيقته يعلمها الله تعالى وحده كما قال في البردة: أَعْيَا الرُّؤْيَ فهِمُ مَعْنَاهُ .. إلى قوله كلهم . (١) وأحيانا يأتي بقولهم ثم يقول : وإن لم يعجبك هذا فاضرب به وجوه الصوفية الخارجة عن طريق الجنيد قبحهم الله.

وكثيرا ما يذم الشيخ ما يقوم به بعض الصوفية من إيهام الناس بالتواجد، والمشاهدات ، وخروجهم عن المألوف المعتاد . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الزمر (٢٣) . حيث قال : قبح الله من يريد الصفيق ، والتواجد، ويتصنع بذلك فإن كان ذلك حقيقة لا خداعا ورياء فهو من الشيطان ، يعتاده لشعو الرياء حتى صار فيه كالطبع إذا سمع، فليقعد على شفير البحر ، أو حائط يقرأ آية الوعيد ، أو تقرأ عليه ، أو القرآن كله ، فتنظر هل يملك نفسه عن السقوط فيها كما قال ابن سيرين ولا يخلو عن عمد، ولو ادعى الطبع ، ألا ترى أنهم يفعلون ذلك ولو لم يكن فيهم ورع ، ولا عبادة .. ومع ذلك فلست أقصد العموم ، فقد يكون الصديق على ما روي أن عمر يسقط وينسى ، ويروي أنه مرض شهرا يعوده الناس لذلك لا يندرون لم ذلك (٢) . وأحيانا يستشهد بأقوال بعض أعلام الصوفية كالتستري ، والجنيد، ويقول : كل تصوف خالف الجنيد فهو بدعة . (٣) أما موقفه من محي الدين ابن عربي وهو من خلاصة الصوفية فإنه يبحث على الحيرة والعجب ، فهو ينقل عنه ويستشهد بأقواله التي تؤيد رأي الإباضية ثم يصنفه بأن أهل السنة يسمونه الشيخ الأكبر، وأنهم يدعون له ما لا يدعون لغيره ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ الإسراء (١٠٨) .

(١) تفسير التفسير ٢٥٦/١٤ نكلمة البيت : قلبس برى للقصوب والبعده عنه غير منضم

تبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه غير خلق الله كلهم

والكلام هنا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وليس في القرآن الكريم كما يرى الشيخ عبيدة الشهادة شرح فصيحة البردة عمر بن أحمد الخربزني ص ٩٥.

(٢) تفسير التفسير ٣٠٥/١٤ . ومن الجدير ذكره أن الإباضية ينفرون من الطرق الصوفية وليس لها شأن عندهم، وقد حوى تفسير الشيخ أظفيس ألوانا من الهجوم على ما يكون من بعض الصوفية حول المساجد والأضرحة حيث يقول : ولا يجوز الطواف بغير المكبة ولو بالمسجد النبوي وبيت المقدس وأهل بسجن يطوفون بمسجد .. وهو بدعة محرمة ولا حجة لذلك فهو حرام وذلك عجيب يطالب على مسجد كأنه كمية ولا يخافون العقاب .. تفسير التفسير ٤١٦/٨.

(٣) تفسير التفسير ٢١٢/١٣.

قال: .. وقال ابن العربي وأهل المغرب يسمونه ابن العربي (١): ونحن لا نقول بالزائد. يعني الصفات الزائدة عن الذات. ولا يخالف كشفنا باب الصفات الإلهية عين لا غير، فإن من يقول: إنها غير واقع في قياس الحق تعالى عن الخلق في زيادة الصفة على الذات، فما زاد هذا على الذين قالوا: إن الله فقير إلا بحسن العبارة فقط، فإنه جعل الذات لا يكون إلا بغيرها، فتعوز بالله أن تكون من الجاهلين، قاله في الباب السبعين بعد أربعمائة من الفتوحات المكية (٢) وقال: إن القول بأنها غيره غلط، وأنه جهل عظيم، وابن العربي هذا رجل مروع (٣) وذكر عن نفسه أن له إلهاما من الله، ولا يقول إلا عن كشف. وكثيرا ما يشغل عنه، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ الحاقة (١٧) .. كما قال ابن العربي في فتوحاته تحصلت لي من ذلك نسخة معها كلام لبعض الأشعرية، يبين ما خالف فيه الأشعري مثل قولنا: إن صفات الله ليست زائدة عليه، وقد أذعنوا له ما لم يذعنوا لغيره، وهو مرادهم بالشيخ الأكبر، (٤) ومن الفرق التي وقف معها الشيخ وناقشها في آرائها الخوارج، والقدرية، والمرجئة والكرامية (٥).

ثالثا: تعرضه للديانات والعقائد الأخرى :-

عرض الشيخ - رحمه الله - لبعض الأديان، والمذاهب القديمة عرضا متفاوتا بين الإيجاز والإطناب، ومما عرض لما أثرت إليه شاهدة واحدا، وهم النصاري لما أكثر الشيخ من

(١) البحر المحيط - لأبي حيان ١٧٤/٤ والمشهور أنه ابن عربي بلا ال التعريف للفرق بينه وبين القاضي ابن عربي وكثيرا ما ورد في النصير مرفا بال..

(٢) الفتوحات المكية ١٠٢/٤.

(٣) ولم أدر ما معنى هذه الكلمة وعند مراجعتي للسان العرب وجدت أن من معانيها الخصب ولعله يقصد هذا المعنى.

(٤) تفسير التفسير ١٠٦/١٤.

هكذا يحاول الشيخ أن يلفت ابن عربي صاحب (الشخصية المعقدة) القائل بالسنج التكويني، وصاحب الفكر الذي استفاد من النظريات اليونانية، والهندية، وسريه إلى ثقافته، والذي تطرف تطرفا تجاوز فيه حدود الإسلام، فقال بنظرية وحدة الوجود - ابن عربي الذي شغل حيلة شعراء ضد علماء الإسلام، وحقها ومسامح (علماء الرسوم)، (وفراصة الرسل) هذا الذي يحكم عليه الشيخ أمليش أنه شيخ أهل السنة الأكبر ونادوهم الذي كتب له المسحة في قلوبهم، فوثقوا بأشباح علمه، وتحقيقاته السامية، وإلهاماته التي اكتسبها في الثلث الأخير من الليل، فكان لولما عليهم أن يذعنوا له وألا يصبروا إلا عن قوله والشيخ محمد أنفيس لم يمنه من ابن عربي إلا الكلام الذي يرائي مذهبه، ومثله هي حلة إصجابته بذكره، وتحقيقاته والأقرب أني أجل فراسة الشيخ وذكائه أن يتخذ بكلام ابن عربي، والشيخ يعلم أن المجال الذي استشهد به من كلام ابن عربي ليس مما يؤخذ من ابن عربي، وليس هذا الفن الذي يؤخذ به من ابن عربي ولكل علم وطريقة.

(٥) ٣٣٦/٢، ٥٠٥/٦، ٦٠٧/١٢.

الحديث عنهم ، ولعل ذلك تعايشاً مع واقع عصره الذي سيطر فيه الاستعمار على البلاد الإسلامية ، وذائق المسلمون على أيديهم ألواناً من الويلات ، خاصة الاستعمار الفرنسي الذي اجتاحت جحافلُه أرضَ الجزائر عام (١٨٣٠م) ، والذي حاول أن يجعل الجزائر قطعة من فرنسا ، وكان من سياسته تخريب العقيدة الإسلامية ، ولذلك أكثر الشيخ من الحديث عن النصارى ، وأبان عن فساد معتقدتهم في الألوهية وأن ما هم عليه معلوم البطلان. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ النساء (١٧١) . قال : (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) . لا إله ثالث ، ولا ابن الله ، ولا الله (وكلمته) ؛ لأنه وجد بقوله كن أي بتوجيه الإرادة إلى وجوده . (روح منه) أي وذو روح صادر من الله بلا واسطة أب وهي الروح التي خلقها الله - جل وعلا - والله لا يتجزأ ، ولا يتصف بالروح ، ولا بالحلول ، فلو كان ذلك لبقي الله - سبحانه - بلا روح أو بروح ناقصة بانتقال بعضها إلى عيسى في زعمهم إذ زعموه ، وذلك من صفات الخلق ، ولم يختص عيسى بذلك ، ففي إنجيل لوقا. قال يسوع لتلاميذه إن أباكم السماوي يعطي روح القدس الذي يسألونه وفي إنجيل متى : أن يوحنا امتلأ من روح القدس ، وهو يظن أنه ، وفي التوراة قال الله تعالى لموسى عليه السلام : اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التي عليك ، وفيها في حق يوسف عليه السلام ، يقول الملك هل رأيت مثل هذا الغنى الذي روح الله - عز وجل حال - فيه ، وفيها أن روح الله حلت على دانيال وغير ذلك . والنصارى لعنهم الله قالوا : - مريم روح الله ولد منها عيسى ، فلا هوئته ، أي الهيته من جهة الأب تعالى الله - وناسوته أي إنسانيته من جهة الأم فتفى الله جل وعلا لاهوته ، وأثبت ناسوته . وقيل سمي روحاً لأنه يحيي الموتى ، والقلوب ، وقيل روح منه بشارة من الله - عز وجل - لها على ألسنة الملائكة ، وقيل روح بمعنى رحمة ، وقيل سر من أسرار الله - عز وجل - وقيل ذو روح ، وقيل جبريل ، وحكى عن النصارى مذهباً ثانياً ؛ أن الله - جل وعلا - جوهر مركب في ثلاثة أقانيم الأب ، الابن ، وروح القدس ، ويريدون بالأب الذات ، وبالابن العلم ، وبروح القدس الحياة ، وكلا القولين باطل ، والقائلون منهم بألوهية مريم انقروا ولذلك أكرر نصارى العصر القول به . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ ، سورة الزخرف (٦٥) . تحدث عن فرق النصارى ، ثم قال : وما رأيت في الالهيين من هو أجهل بطرق الجدل من النصارى . (إلا من قرأ علوم الإسلام منهم ، وتحقق فيها فإنه يكاد يسلم . وفي هذه

الأعوام طلب أحد النصارى المتقدمين فيهم بلا علم في بریش ، أن يجادلني ، فقال له بعض من قرأ علوم الإسلام من أهل بریش ، وهي باريز : إنما نأذن لك لو كنت إذا علاك بالحجة تدعن له وتترف له أما إن كنت إذ علاك بالحجة انتصرت بنا في الباطل فلا ، وكبت حيثنذ إلى النصارى بأن يحضروني أو أحضرهم للجدال فأبوا . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ﴾ محمد (٢) . قال : ولم أر أجهل بطرق الجدال من النصارى ؛ يعيون القرآن بما هو ظاهر البطلان راجع إليهم ، ولا يستحيون فهم ، كنا موسى نقحت على جبل عظيم لتزيده بنفخها ، وكأحمت بال في المحيط لينجسه ، وككلب عوى على البدر ليحط من سمائه ،

لا تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ويقاربهم اليهود إلا أن ذلهم دعاهم إلى اللين فتستروا به ينكرون المحسومات ، والبهديات ، ويدعون وقوع المحالات ، وكلما زادوا جهلا زادوا افتضاحا . (٣) وكثيرا ما يشير الشيخ إلى هيمنة القرآن الكريم ، وما هدى الله به أمة الإسلام ، وضلت عنه اليهود والنصارى . (٤)

واكتفي بهذه الأمثلة والشواهد ، وإلا فهناك المزيد المزيد ، وإن وقفات الشيخ مع النصارى لا تكاد تحصى ، وكل هذا يدل على ضلوع الشيخ ، واجادته في الرد على أصحاب الضلال ، ودحض شبهاتهم ، واقتراءاتهم من واقع أناجيلهم .

(١) تفسير التفسير ١٢/٢٢٠ .

(٢) تفسير التفسير ١٢/٢٢٠ .

(٣) ٢٢٢/١ = ٢٢٢ .

الفصل السابع
القضايا اللغوية و البلاغية
في هذا التفسير

ويقع ضمن مبحثين

المبحث الأول :

مسائل اللغة والنحو .

المبحث الثاني :

البلاغة وفروعها .

أولاً : مسائل اللغة والنحو . .

أ - المباحث الضوية : -

تفسير الشيخ حافل بالقضايا اللغوية التي تعرض لها العلماء ، ومن أهمها الاشتقاق ؛ وهو أخذ صيغة من أخرى ، مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة ، وقد عني الشيخ بالبحث في أصول الكلمة ، وأساليب تصريفها ، فبحث عن أصل المادة ، وميزانها الصرفي ، وتصاريفها المختلفة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴾ المزمل (١٤) . يعرض لأصل الكلمة فيقول : ومادة (ك.ث.ب) للجمع ، وهو فعيل بمعنى مفعول ؛ أي مكتوب ، ثم تغلبت عليه الالسمية فصار اسماً لذلك الرمل . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِهِ فَلَا يَخَافُ يَخْساً وَلَا رَهَقاً ﴾ الجن (١٣) . يشير إلى أصل (رهقا) ، فيقول : ومادة (ر.ه.ق) تدل على الإشراف على الشيء ، يقال : غلام مراقق أي يقارب ، (٢) وقد يذكر الشيخ أحياناً الميزان الصرفي دون أن يلمح إلى الاشتقاق ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ ص (٥٩) . قال : والأصل صَالُوا النَّارِ بضم الراء ، نقلت ضممتها لنقلها إلى اللام فحذفت للساكن بعدها نطقاً وخطاً ، وحذفت الساكن بعدها ، والواو لفظاً لا خطاً . (٣) وكثيراً ما يشير الشيخ إلى المعنى المادي المحسوس مع ذكر نفاثر الكلمة أو ما يقاربها للكلمة ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ آل عمران (١٥٢) . حيث قال : تبطلون حسهم بالقتل ، أو تصيرون حواسهم بالسوء . كقولك : كَيْدٌ تَهْ ؛ أصبت كَيْدَهُ ، وركبته ؛ أصبت ركبته . (٤) . وهناك نوع من الاشتقاق وجه به الشيخ اللفظ القرآني ؛ وهو الاشتقاق الأكبر ، ويطلق عليه الاشتقاق الكبير وهو أن تعاقب الحروف فيبدل بعضها من بعض ويقي المعنى متقارباً .

(١) تفسير التفسير ٢٣٧/١٤ ، انظر : المفردات في غريب القرآن . لأبي القاسم بن الحسين بن محمد المعروف بالرابع الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد الكيلاني . دار المعرفة بيروت ص ٤٢٦ .

(٢) تفسير التفسير ٢٠٥/١٤ ، انظر مفردات الراغب ٢٠٤ ، لسان العرب لابن منظور ١٣٠/١٠ .

(٣) مفردات الراغب ٢٨٥ .

(٤) تفسير التفسير ١٩٠/٢ ، مفردات الراغب ١١٧ ، لسان العرب ١٥٢/٦ ، ٣٧٤/٣ .

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ النساء (١٧٢) . قال : (يستنكف) لن يترفع وأصله مطلق الاعتزال عن الشيء أو الابتداء في شيء ، ومن هذا مع اختلاف المادة : استأنف العمل ، والجملة المستأنفة ، ومن ذلك كف الدمع ؛ إذا أزاله ياصبعه ، وبحر لا ينكف أي لا ينزح ، والنكف أيضا قول السوء ، يقال ما عليه في هذا الأمر نكف ؛ أي سوء ، فيجوز حمل الآية عليه ، واستفعل للسلب ؛ وشهد الاستكفاف في الاقتناع ، والانقباض ، والتكبير ، وقد فسره ابن عباس بالاستكبار . (١) وفي قوله تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ﴾ الإسراء (٧٨) . قال : ومادة (دلك) ، وما أوله دال فلام بمعنى الانتقال كدلج مشى مقارب الخطر لثقل الحمل ، ودلج بمعنى : مشى ، ودله الرجل تحير أو ذهب عقله من الهوى ، ودله لسانه : مزح . ودلعه : أخرجه ، ودلف الشيخ قارب الخطي ، ودلق الرجل أراق المائع بالقاف ، ودله الرجل تحير أو ذهب عقله من الهوى ، ودله حيرة ، ودلك بدنه أو ثوبه مثلاً في الغسل : حكه... (٢) .

المفردة القرآنية :

لقد أفاض الشيخ - رحمه الله - في تحقيق المفردات القرآنية ، وأبان عن معناها ، وحدد مقصودها ، ووقف مع بعض الكلمات ، وأبرز ما بينها من فروق ، واستعان في ذلك بمعاجم اللغة ، وكتب التفسير . وقد يذكر عدة معانٍ للكلمة تدل على وجوه المعنى ، ويختار أقربها . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُ لَهْمٍ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ﴾ محمد (٨) . ينقل طرفاً من أقوال العلماء في بيان معنى (لهم) ، فيقول معنى تعسا : عثوا ، وانحطاطاً على الوجه والرأس ؛ أي انحطاطاً في الحرب ، فيكون معاكساً لقوله تعالى : ﴿وَيَسْتَأْذِنُكُمْ﴾ وعن ابن عباس : قتلاً ، وتردياً في النار ، وهو تفسير بالواقع ، لا بوضع اللغة ، وقيل قبحاً . وقيل : رغباً ، وقيل : شتماً ، وقيل : ثناء ، وقيل : حزنًا وشرًا ، والمشهور هلاكاً ، ومع شهرته فإن الهلاك يعم ذلك كله ، ويصلح له فهو أولى (٣) .

(١) تفسير التفسير ٤٧٩/٢ . مفردات الراغب ٥٠٦ ، لسان العرب ٣٤٠/٩ .

(٢) تفسير التفسير ٢٦١/٧ ، مفردات الراغب ١٧١ ، لسان العرب ٤٢٧/١٠ وما بعدها .

(٣) تفسير التفسير ٢٣١/١٢ ، وهذه المعاني جميعها أوردها الفرطني ٢٣٢/١٦ وذكرها صاحب : لسان العرب ٣٢/٦ ، وصاحب القاموس المحيط ٢١٠/٢ .

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلِتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ محمد (٣٠) . حيث قال : الإضافة للجنس ، وكأنه قيل في طرف القول أو لحن القول ؛ الطريق المائلة عن الطريق المعروفة ، كالتعريض ، والكتابة ، كما يسمى الخطأ في النطق من حيث الإعراب لحننا ؛ لأنه عدول عن الصواب ، تقول : لحت له إذا قلت له قولاً يفهمه عنك ، ويخفى عن غيره ، لنحو البلاغة في العبارة . وفيل : لحن القول هنا الذهاب عن الحق ، ويقرب منها قول ابن عباس : اللحن هنا قولهم : ما لنا من الثواب إن أطعنا ، ولا يقولون ما علينا من العقاب إن عصينا ، ثم يقول : وتفسير اللحن بالميل أولى ، وهو الأكثر في الكلام (١) . وأحيانا يذكر الشيخ بعض الكلمات التي يظن أنها متحدة المعنى ، فيكشف ما بينها من فروق ، وهذا ما يسمى بالترادف ؛ وهو أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد . والترادف في اللغة أثبت الجمهور ، وانكرته طائفة من العلماء (٢) منهم ابن فارس ، وثلعب ، ومن المتأخرين عبد الفتاح لا تسين . في كتابه صفاء الكلمة ، والدكتورة عائشة عبد الرحمن ، وذكرت أن الدكتور إبراهيم أنيس الذي قيل : إنه أثبت عدل عن مذهبه الأول ورجع عنه (٣) ، ومن أنكره كذلك استاذنا الدكتور فضل حسن عباس في مذكرته المفردات القرآنية . (٤) والحديث في هذه المسألة يقول ، وإنما ذكرت طرفاً منها لتعرف على ما قيل في هذه المسألة . والحقيقة أن تناظر في كتاب الله - تعالى - يلحظ فروقا دقيقة في الألفاظ ، ويرى أن كل كلمة مختصة بمعنى من المعاني . فالقول بالترادف يطمس تلك الفروق . وقد أشار الشيخ إلى فروق بين بعض الألفاظ ، فمن ذلك ما ألمح إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالكَافِرِينَ الْغَيْظُ ﴾ آل عمران آية (١٢٤) . حيث قال : والغيظ عيجان الطبع لرؤية ما يكره أو لاستحضاره ، وإن تبعه إرادة الانتقام فغضب ، والغضب يظهر على الجوارح ، بخلاف الغيظ . (٥) . ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ البقرة (٨٣) .

(١) تفسير التفسير ٢٦٤/١٢ انظر : البحر المحيط ٨٥/٨ ، لسان العرب ٢٩٢/١٢ : القاموس المحيط ٢٦٨/٤ ، مفردات الراغب ٤٤٩ .

(٢) المزهر في علوم اللغة - السيوطي ٤٠٤/١ .

(٣) الإعجاز البياني - د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) ، ١٩١ .

(٤) المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز ص ١ - طبع على آلة كتابة .

(٥) تفسير التفسير ١٧٠/٢ ، انظر : مفردات الراغب ٣٩٨ ، لسان العرب ٤٥٠/٧ .

حيث قال: التولي الانصراف لحاجة مع ثبوت العقد، والإعراض الانصراف بالقلب ، وقيل التولي : الرجوع إلى ما كان أولاً ، والإعراض : أخذ طريق آخر . (١) ويفرق بين التمني ، والتلهف عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى الْبَعْضِ ۚ ﴾ (٣٢) . حيث قال: والتمني حب الشيء والميل لوقوعه ولو محالاً وهو للحال وما بعده ، والتلهف لما مضى وأكثر التمني لا يتحقق ويكون فيما يعلم أو يظن وبرؤية ودونها . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِ ﴾ الشعراء (١٩٨) . فرق بين الأعجم ، والعجمي . فقال: والأعجم : هو الذي لا يفصح ولو كان عربي النسب . والعجمي : هو الذي نسبته في العجم بخلاف العرب ، ولو كان أفصح الناس ، وقيل الأعجم ما لا يعقل من الحيوان . (٣) .

الاتجاه النحوي في هذا التفسير :-

لقد أفاض الشيخ - رحمه الله - في ذكر مسائل النحو ، ومذاهب النحويين ، واعتمد اعتماداً كبيراً على ما نخله من أقوال من سبقه مستعرضاً شتى الوجوه ، والآراء ، ثم كان يُدلي بدلوه فيزيد الأمر وضوحاً وبياناً . وهذه أمثلة توضح منهجه في هذا الاتجاه :-

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيُونٌ كَثِيرٌ ﴾ آل عمران (١٤٦) . أُلحح إلى الاختلاف في أصل كلمة (كَأَيِّنْ) ، وفرقيها . فقال :- (وكأين) تكثير ككم الخيرية ، وأصلها كاف التشبيه ، وأي الاستفهامية كتب ترتيبها في الخط ، وقيل كاف التشبيه ، وأوى بوزن ضرب مصدر ، أوى بمعنى انضم ، قلبت الواو (يا) وادغمت ، والنون في الخط تنوين حدث لها معنى التكثير بالتركيب ... (٤) ومن ذلك أيضاً إيضاحه الخلاف في تركيب كلمة (ويكأن) في سورة القصص آية (٨٢) ، هل هي حرف مستعمل أو هي مركبة؟ يقول : وي اسم فعل بمعنى أعجب مما وقع من الخسف ، أو بمعنى أندم على ذلك التمني ، والكاف

(١) تفسير التفسير ١/١١٦ ، انظر : مفردات الراغب ٥٣٥ .

(٢) تفسير التفسير ٢/٣١١ ، انظر : مفردات الراغب ١٧٧ ، لسان العرب ٩/٢٢١ .

(٣) تفسير التفسير ٩/٢٩٠ ، انظر : مفردات الراغب ٣٢٣ ، الكنز ٣/٣٣٦ .

(٤) تفسير التفسير ٢/١٨١ ، انظر الخلاف في ذلك :- إملأ ما من به الرحمن المكيري ١/١٥١ ، معني القليب لابن هشام (٢٤٦) ، تفسير الرازي ٥/٨٦ ، تفسير القرطبي ٤/٢٢٨ .

حرف خطاب ، وأن الله تعليل أي لأن الله أو يقدر أعلم بصيغة المضارع أو الأمر ، وقال الكسائي ، ويونس : - أصله ويلك فحذف اللام ، فالكاف ضمير مضاف إليه ، وقيل : وي اسم فعل وكأنه حرف تشبيه خرجت عنه إلى التحقيق ... ، ولا يعرف ما قيل عن ابن عباس : - ويكون كلمة واحدة بمعنى ألم ترنا صبة للفظ الجلالة ؛ أي ألم تر أن الله ... (١) وما ذكره ورد على القائلين به مما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله .. ﴾ المجادلة (١) . حيث قال عن الواو في (وتشتكي) . عطف على تجادل ، ومن العجب جعل الواو للحال داخلة على مضارع مثبت ، مجرد من قد على الفلة أو داخلة على مبتدأ محذوف ؛ أي وهي تشتكي بلا دليل على ذلك وبلا داع . (٢) ويقف طويلاً مع بعض المسائل التي تنطوي في ظاهرها على إشكال نحوي ، فيبسط القول في المسألة ، ويجب على ذلك بآية أخرى فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إنا كنا مرسلين ، رحمة من ربك ﴾ الدخان (١٥) . حيث قال : ومقتضى الظاهر رحمة منا ، لكن جيء بلفظ رب تشريفاً له - صلى الله عليه وسلم - بإضافته إليه ، مع أنه رب كل أحد ، ولأن المربوية تقتضي الرحمة على المربوبين ، والجملة تعليل (يفرق) ... ، ورحمة : منقول به المرسلين ، ونكر نفخياً وهي مطلقة عامة ، وقيل : المراد بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وبأباه كون الجملة تعليل ، ويجوز كون الجملة بدلاً من (إنا كنا منذرين) ، فتكون تعليلاً لإنزال الكتاب إذا جعلنا (إنا كنا منذرين) تعليلاً له فينصب رحمة على التعليل ، فالمعنى أنزلنا القرآن لأن عادتنا إرسال الرسل والكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم ، والنصب على المفعولية أولى ، وذلك في المعنى . كقوله تعالى : ﴿ ما ينتج الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ... ﴾ فاطر (٢) (٣)

(١) تيسير التفسير ٢٧٥/٩ ، انظر إملاء ما من به الرحمن ١٨٠/٢ ، مغني الملهب (٤٨٣)

(٢) تيسير التفسير ١٧١/١٢ ، انظر إملاء ما من به الرحمن ٢٥٧/٢ ، تفسير الأكرسي ٢/٢٨ .

(٣) تيسير التفسير ٢٨٨/١٢ ، إملاء ما من به الرحمن - المكيري ٢٣٠/٢ ، الكشف ٢٧١/٤ .

ومن الأمثلة التي أكثر من ذكر توجه الإعراب فيها ليكشف عن معانيها . قوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِي لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ .. ﴾ محمد (٢٠١: ٢١) . حيث قال: أولى اسم تفضيل بمعنى أحسن ، ولهم متعلق به ، وخبره طاعة ، أو طاعة مبتدأ ، أو لهم نكرة لعطف النكرة الموصوفة عليه ، وأولى خبر ؛ أي أولى من النظر إليك طاعة ، أو المعنى المقاب أحق بهم فحذف المبتدأ ، وبحوز أن يكون من باب قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَكَ فَأُولَئِي ﴾ القيامة (٣٤) من الولي بإسكان اللام ، بمعنى القرب ، وهو اسم تفضيل يستعمل في معنى قرب الهلاك فيكون صلة لمصدر محذوف ، أقيمت مقامه ، ولهم متعلق به . يقال: أولى له قاره ما يهلكه ، وقيل هو فعل من هذا المعنى . ، وقيل اسم فعل بمعنى ولهم شر بعد شر ، وقيل : وزنه من آل بمعنى رجع على صورة الدعاء يرجع أمرهم إلى الهلاك ولهم خبره ، وقال الرضوي عام للشر ، ولهم خبره على أنه صفة مشبهة كأرمل وأرملة ، وطاعة خبر لمحذوف ؛ أي أمرنا طاعة أو مبتدأ محذوف ؛ أي طاعة ، وقول معروف خبر لهم ؛ أي الصواب أن يقولوا ذلك . (١)

تناوب حروف الجر :-

قضية قديمة حديثة ، تعددت فيها الآراء ونج عن ذلك مذهبان :- مذهب بنضي بوقوع بعض الحروف مكان بعضها ، وهو مذهب الكوفيين ومن تبعهم . ومذهب ثان : لا يرى ذلك ، وهو مذهب جمهور البصريين . ولعل مذهب البصريين ومن قال بقولهم هو الأقرب إلى بلاغة القرآن ، فلا ينوب حرف عن حرف ، يقول الدكتور الخالدي (إن للحرف القرآني دوراً في تقرير الإعجاز البياني ، وإن هذا الحرف يشارك عناصر الدلالة والإعجاز ، ووجود الإعجاز الأخرى في التعبير القرآني ، مثل الكلمة ، والجملة ، والأسلوب . (٢) أما عن موقف الشيخ أطفيش فقد تبع مدرسة الكوفيين ، وقال بتناوب حروف الجر في القرآن ، وأن

(١) تفسير التفسير ٢٥٠/٩٢ . ٢٥١ ، انظر : [ملاء ما من به الرحمن ٢/٢٣٧ ، البحر المحيط قال أبو حيان : والإكثرون على أن طاعة وقول معروف قول مستقل محذوف منه أحد الجزئين ٨٢/٨٠ ، وقال الوازي : وهو كلام مستأنف محذوف للخبر تقديره (خير لهم) أي أحسن وأفضل ٦٢/٢٨ ، وانكر الطباطبائي قول من قال إنها مبتدأ خبرها فأولئ لهم وأنها امتداد الآية السابقة الجزاء ٨/٢٤٠ ، وانظر حيث النفع في القراءات السبع . للسفاسفي على هامش سراج الفاريء ص ٣٥٢ .

(٢) البيان في إعجاز القرآن . د. صلاح الخالدي ص ٢٥٤ .

بعضها ينوب عن بعض ، فجاء تخريجه لكثير من الآيات على هذا المنحى أو يذكره ضمن عدة أقوال دون إختيار ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَرُدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ إبراهيم (٩) . حيث قال : (إلى أنفوسهم) . ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴾ الفرقان (٥٩) . حيث قال : (سل عنه) ، ومنه كذلك : ﴿ وَلَا تَصْلَبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ طه (٧١) . قال : عليها .

الأحرف الزائدة :-

يقول أحمد بدوي في كتابه (بلاغة القرآن) ، ويظهر أن تسميتها زائدة ، معناه أنها لا يربط بها حكم إعرابي ، لا أنها لم تؤد في الجملة معنى (١) . ويعرف أستاذنا الدكتور فضل عباس معنى الزيادة بقوله : (٢) الزوائد كلمات ، وأكثرها حروف ؛ رأى بعضهم أنها لا حاجة لها من حيث الإعراب ، فإذا أسقطت بقي الكلام تاما . ثم يتبع أستاذنا تاريخ هذه المسألة فيقول : - ونكاد نجزم أنها لم تكن شائعة مشتهرة في عصر القرون ، بل كل حرف من حروف القرآن الكريم ، وكل كلمة تعمل في نفوسهم عملها ، ذلك لأن هذه الكلمات لكل منها معنى تؤديه (٣) . وقد ذهب شيخ المفسرين الإمام الطبري إلى نفي زيادة الأحرف في القرآن ، وتناقض القائلين بذلك ، ورد عليهم في كثير من المواضع . (٤) ومن رد القول بالزيادة من المحدثين الدكتور محمد عبد الله دراز . (٥) والحق أن كل حرف في كتاب الله له دور ، وأثر في توضيح المعنى وتقريره ، وليس لنا أن نبطل عمل حرف واحد في كتاب الله العزيز . أما عن موقف الشيخ أطميش فقد نحى نحو القائلين بوجود الزيادة ، فيعرب كثيرا من حروف الجر فالقرآن على أنه صلة أو زائد ، فإلى نماذج مما ذكره . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ النساء (٦٥) . يقول : (فلا) زيدت لتأكيد القسم أو لتأكيد النفي في الجواب . (٦)

(١) بلاغة القرآن ص ١٠٢ .

(٢) لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن . د. فضل حسن عيسى ص ٥٨ .

(٣) المصدر السابق (٦٣)

(٤) تفسير الطبري ١/١٥٣ - ١٥٤ .

(٥) النبا العظيم ص ١٣ .

(٦) تيسير التفسير ٢/٢٥٠ .

وقد أنكر القول بالزيادة هنا الإمام الرازي ، بعد أن ذكر الأقوال التي قيلت في الآية وناقشها قال: فعلمنا أن هذا القول أولى ، وهو عدم الزيادة ، والله أعلم . (١) ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾ آل عمران (١٥٩) . حيث قال : (ما) صلة للتأكيد . وقد رد القول بالزيادة هنا صاحب الفتوحات الإلهية ، ونقل عن السمين الحلبي . حيث قال : والثاني أنها غير مزیدة ، بل نكرة ، وفيها وجهان : أحدهما أنها موصوفة برحمة ؛ أي فبشيء رحمة ، والثاني أنها غير موصوفة ، رحمة بدل منها . (٢) وأحيانا يورد القول بالزيادة ويضعفه كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ محمد (١٥) . حيث قال : ومثل (زائد) أي الجنة فيها أنهار وهو ضعيف (٣) . وممن أنكر زيادة (مثل) في هذه الآية الدكتور فضل عباس ، وأبان أن القول بالزيادة هنا كما يذهب رونق اللفظ فهو مخجل بالمعنى ، فالمثل ليس مما اصطلح عليه الناس ، وإنما المراد في هذه الآية الصفة العظيمة ؛ أي صفتها العجيبة الشأن ، العظيمة في غرابها . (٤)

المعصوب في القرآن الكريم :-

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم كتاب عربي مبين . أودع الله فيه جوامع الكلم ، وهذه قضية مسلمة أبان عنها منزل الكتاب - تبارك وتعالى . فقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ يوسف (٢) . غير أن القرآن استخدم ألفاظاً كانت تستخدم في لغات أخرى ، وهذه مسألة صارت مثار بحث بين العلماء قديماً وحديثاً ، فالمحققون منهم منعوا أن يكون في القرآن لفظ غير عربي ، ومنهم الإمام الطبري ، حيث قالوا : إنه ليس في القرآن ألفاظ غير عربية ؛ وأن ماورد في ذلك إنما هو إتفاق وتوارد وقد عقد فصلاً في مقدمة تفسيره بعنوان (القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب ، وألفاظ غيرهم من بعض أجناس الأمم) (٥)

(١) تفسير الرازي ٢٩/٢٤٨ ، انظر ما نقله الطبري في تفسيره ، تفسير الطبري ٤/١٠٠ .

(٢) الفتوحات الإلهية (حاشية الجمل) محمد بن سليمان الجمل ١/٣٢٩ .

(٣) تفسير للتفسير ١٢/٢٣٩ .

(٤) لطائف النان (٢٨١) .

(٥) تفسير الطبري ١/٦ .

وقد ذكر السيوطي هذا الخلاف ، ولخص القول فيه ، وذكر أن الأكثرية وفيهم الشافعي ، وابن جرير ، وأبو عبيدة ، وابن فارس على عدم وقوع المعرب في القرآن . (١) ولعل هذا القول هو الصحيح المختار فالقرآن عربي بالفاظه ، وكلماته ، وما ذكره أنه من الدخيل بحاجة إلى إعادة نظر وتحقيق ، وهو يتعارض مع صريح القرآن ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ ، الشعراء (١٤٥) . أما الشيخ أطفيش فلم يعطنا رأياً محدداً واضحاً في هذه المسألة ، ففي مواضع ينص على أنه ليس في القرآن لفظ غير عربي ، ويبرأ ممن يقول بالعريب ، وفي موضع آخر يتساق وراء من يجوزون ذلك ، ويقول يقولهم ، فمن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ الأنبياء (٩٨) . حيث قال : - وعن ابن عباس الحصب الحطب بالزنجية ، وإنما يذكر في القرآن من العجمة ما ذكره العرب منها ، أو ما ذكره الله عن أهلها . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس ﴾ الحج (١٧) . قال : وأصل مجوس صغير الأذنين ، وقيل هو معرب مكوس ، وقيل معرب ميخ كوش . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ﴾ ، الكهف (٣١) . قال : من سندس مارق من الحرير ، وأصله فارسي ، أو هندي قولان ، وأصله بالهندية سندون وغيرته الروم إلى سندس ، والعرب إلى سندس ، (واستبرق) ما غلظ منها ، فارسي عُرب . وأصله استبر بلا هاء أورومي أو استبره بالهاء بالفارسية ، وقيل عربي من البريق . (٣) والأمثلة على ذلك كثيرة : - وفي مواضع أخرى نطلع على أقوال قالها الشيخ تخالف ما تبناه في الأمثلة السابقة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ﴾ هود (٤٤) حيث قال : وزعم البعض أن البلعة الإزدراد لغة حبشية ، وبعض أنه لغة هندية ، ثم قال : وكل من فسر القرآن بغير لغة العرب فهو من المغرقين في الجهل إلا ما قام دليله . (٤)

(١) الإقناع ١/١٢٥ - ١٤١ انظر المسألة في لغة القرآن عبد الجليل عبد الرحيم (١٧٧ - ١٩٨) .

(٢) تيسير التفسير ٣٧١/٨ .

(٣) تيسير التفسير ٣٨٣/٧ .

(٤) تيسير التفسير ٤٣٠/٥ .

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿...بأكواب وأباريق وكأمن من معين﴾ الواقعة (١٨) . قال: وزعم بعض أن ابريق معرب أبريز ؛ أي صبب للماء ، وأنا يرى ، من دعوى كل تعريب لما قبلته العربية بلا تعريب . (١) وهكذا يتبين أن الشيخ لم يكن موثقاً في إعطائنا موقفاً واضحاً مقنعاً في هذه المسألة . فلم يثبت على قول واحد ، وإنما ساق أقوالاً متناقضة دون بيان وجه الصواب فيها .

التضمين : لقد أشرت آنفاً إلى أن لكل حرف معنى حقيقياً واحداً عند البصريين فهم ينفرون أن يضمنوا حرفاً مكان حرف آخر، وقالوا بتضمين الفعل لأن التجوز فيه أسهل . قال ابن القيم : (وظاهرة النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف، ومعنى مع غيره، فيتظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال ، فيشربون الفعل المتعدي به معناه ، هذه طريقة إمام الصنععة سيويه ، وطريقة حلاق أصحابه وهي قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ، ولطافة في الذهن . (٢) وأما الشيخ أطفيش فإنه ينقل ما قاله المتقدمون من أصحاب المدرستين (٣) ، فبأن في الآية الواحدة برأي الكوفيين والبصريين . ولقرأ ما قاله الشيخ في تلخيص هذه المسألة فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة ..﴾ الجاثية (٢٦) . حيث قال: أي في يوم القيامة للجزاء ، وقال البصريون يضمن بجمع بمعنى فعل يتعدي إلى ، مثل : - ينهيكم أو يوصلكم ، وهكذا كلما خرج حرف عن أصل معناه يقون الحرف على معناه ، ويؤولون متعلق الحرف بما يناسب معنى الحرف ، ومذهب الكوفيين أقل تعسفاً ، يخرجون الحرف عن معناها على سبيل التجوز ، ومعنى في هنا أظهر لأنهم مونی موجودون . (٤) وأريد أن أنقل نصاً آخر للشيخ حول تلخيص هذه المسألة لما فيه من زيادة تستحق التنويه ،

(١) تفسير النفسر ١٣/٦٨ .

(٢) بدائع الفوائد لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ٢/٢١٦ .

(٣) مدرسة البصرة : هي التي وضعت أصول النحو ، والمدارس الأخرى ثمرة تالية من ثمارها ، والمؤسس الحقيقي لهذه المدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي . والمدارس النحوية - شوقي ضيف ه مدرسة الكوفة : بدأ نشاط هذه المدرسة متأخراً عند الكسائي وتلميذه الفراء اللذين استحدثا في الكوفة مدرسة نحوية تستغل بطابع خاص ، والمدارس النحوية شوقي ضيف ص ٦ .

(٤) تفسير النفسر ١٢/١٣٩ .

فَعِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ النجم (٣). وَعَنِ بَعْضِ الْبَاءِ لِأَنَّهُ يُقَالُ : نَطَقَ بِكَذَا مِنْ نِيَاةٍ حَرْفٍ عَنْ حَرْفٍ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ، وَقَالَ الْبَصَرِيُّونَ : عَنْ عَلَى أَصْلِهَا لِتَضَمُّنِ يَنْطِقُ مَعْنَى مَا يَتَعَدَّى بَعْنٍ ، مِثْلَ يَصْدُرُ وَهَكَذَا فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ ، الْكُوفِيُّونَ يَقُولُونَ : حَرْفٌ بِمَعْنَى آخَرَ ، وَالْبَصَرِيُّونَ يُزَوِّلُونَهُ الْمُتَعَلِّقَ بِمَا يَنْسَبُ أَصْلُ مَعْنَى الْحَرْفِ ، وَاخْتَارَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ الْمُنَاجِرِينَ قَوْلَهُمْ ، وَأَظَنُّوا أَنَّ هِشَامَ اخْتَارَ قَوْلَ الْكُوفِيِّينَ . (١) وَهَذَا تَلْخِيسٌ طَلِبُ الْمَسْأَلَةِ : إِلَّا أَنَّهُ يُمْكِرُ عَلَيْهِ عِبَارَتُهُ الْأَخِيرَةُ ، وَهِيَ ظَنُّهُ أَنَّ ابْنَ هِشَامٍ اخْتَارَ قَوْلَ الْكُوفِيِّينَ ، وَالْحَقُّ أَنَّ ابْنَ هِشَامٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَمْ يَتَّخِذْ مَوْقِفًا وَاضِحًا يَنْسَبُ إِلَيْهِ قَلَمٌ يَخْتَارُ قَوْلَ الْكُوفِيِّينَ عَلَى إِطْلَاقِهِ ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَنْهَمُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنِ الْمَذْهَبِ الْقَائِلِ : بِوُقُوعِ بَعْضِ حُرُوفِ الْجَرِّ مَوْقِعَ بَعْضِهَا الْآخَرِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلُ الْوُقُوعِ ، وَالَّذِي قَالَهُ ابْنُ هِشَامٍ هَذَا نَصُّهُ : (قَوْلُهُمْ يَنْتَوِي بِبَعْضِ حُرُوفِ الْجَرِّ عَنْ بَعْضِهَا الْآخَرِ ، وَهَذَا أَيْضًا مِمَّا يَتَدَاوَلُونَهُ وَيَسْتَدِلُّونَ بِهِ ، وَتَصْحِيحُهُ بِإِدْخَالِ (قَدْ) عَلَى قَوْلِهِمْ يَنْتَوِي ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَذَّرُ اسْتِدْلَالُهُمْ بِهِ ، إِذْ كُلُّ مَوْضِعٍ ادْعَوْا فِيهِ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُمْ فِيهِ لَا نَسْلَمُ أَنَّ هَذَا مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ النِّيَاةُ ، وَلَوْ صَحَّ قَوْلُهُمْ : لَجَازَ أَنْ يُقَالَ : مَرَرْتُ فِي زَيْدٍ ، وَدَخَلْتُ مِنْ عَمْرٍو ، وَكُتِبَتْ إِلَى الْقَلَمِ ، عَلَى أَنَّ الْبَصَرِيِّينَ وَمَنْ تَابَعَهُمْ ، يَرَوْنَ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي ادَّعَيْتَ فِيهَا النِّيَاةَ أَنَّ الْحَرْفَ بَاقٍ عَلَى مَعْنَاهُ وَأَنَّ الْعَامِلَ خَاسِرٌ مَعْنَى عَامِلٍ ، يَتَعَدَّى بِذَلِكَ الْحَرْفِ لِأَنَّ التَّجَوُّزَ فِي الْفِعْلِ أَسْهَلُ مِنْهُ فِي الْحَرْفِ) (٢) مِنْ خِلَالِ هَذَا النَّصِّ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَنْسَبَ لِابْنِ هِشَامٍ مَذْهَبًا مَعْنِيًا خَاصَّةً أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ ، فِي الْبَابِ السَّادِسِ الَّذِي جَاءَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ أُمُورٍ اسْتَهْزَتْ بَيْنَ الْمَحْرَبِيِّينَ ، وَالصَّوَابِ خِلَافُهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ أَطْفُيشُ كَثِيرًا مِنَ الشُّوَاهِدِ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَاكْتَفَى بِالْمِثَالَيْنِ السَّابِقَيْنِ .

النَّصْبُ عَلَى تَرْعِ الْخَافِضِ : -

وَهُوَ يَعْنِي : (نَصْبُ الْكَلِمَةِ الْوَاقِعَةِ فِي الْأَصْلِ بَعْدَ حَرْفِ الْجَرِّ ، وَيَكُونُ النَّصْبُ بَعْدَ أَنْ تَحْذَفَ الْحَرْفُ الْمَوْجُودُ وَهَذَا الْحَرْفُ يَشِيعُ تَوَسُّعًا فِي تَعْدِيَةِ الْفِعْلِ بِدُونِ الْحَرْفِ اتِّسَاعًا فِي الْعَرَبِيَّةِ) (٣) . وَهَذَا الْحَذْفُ كَمَا يَقُولُونَ مَسَاعِي لَا يَصِحُّ الْقِيَاسُ عَلَيْهِ ، أَيْ أَنَّ

(١) تيسير التفسير ١٢/٥٢٤.

(٢) مذهب اللبيب ٢/٧٣١.

(٣) النحو الوافي عباس حسن ١٦٢/٢ - ١٦٣ ، مذهب اللبيب - ابن هشام ٨٩٦.

فمن أمثلة ذلك ما أورده من الشواهد الشعرية ليكشف عن معاني بعض الكلمات. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ النساء (١٠) . حيث قال: والعرب تقول أكل في بطنه إذا ملأه ، وإلا قالوا في بعض بطنه كقوله

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعْفُوا
فَإِنْ زَمَانَكُمْ زَمَنْ خَمِصُ (١)

ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ مَكَنًا ﴾ النحل (٨) . قال: موضعا تسكنون فيه حين الإقامة ، ويجوز أن يعتبر بمعنى المسكن . قال :

جاء الشتاء ولم أعد له سكناً
يا ويح نفسي من شر القواميص (٢)

أو يجعل بمعنى ما يتأنس إليه كقوله صاحب لامية المعجم * :

فيم الإقامة بالزوراء لا مكني
فيها ولا نافتي فيها ولا جملي

وأحيانا كان يورد البيت ويعرف بقائله . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ المنافقون (٤) . قال: وقال جرير ، وهو إسلامي يخاطب الأخطل ، وهو نصراني - لعنه الله :-

مَا زِلْتُ تَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْلَهُمْ
خَيْلًا تَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَرِجَالًا (٣) .

وأحيانا يورد الشيخ الخلاف في مسألة ، ويأتي لكل رأي بدليل من الشعر.

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ الشعراء (١٩٨) حيث قال: جمع أعجمي حذف باء النسب تحقيقاً ، كما قرأ الحسن الأعجمي بباء النسب ،

(١) تيسير التفسير ٢٧٢/٢ ، والبيت لم ينس لقاتله ، وقد أورده صاحب لسان العرب ولم ينسبه لأحد ٣٠/٧ .

(٢) تيسير التفسير ٥٧/٧ ، (القواميص) : البرد ، أورده البيت صاحب لسان العرب ولم ينسبه لأحد ٧٢/٧ .

(٣) تيسير التفسير ١٢ / ٣٦٨ ، أورده البيت الفرطبي في تفسيره في نفس الموضع ١٨ / ١٢٥ .

الإباضية يرون جواز اللعن على الكافر المحي والبيت ، أما أهل السنة فيرون جواز اللعن على من مات كافراً كفرعون وأبي جهل وأما الأحياء فعلى اثنين فلا يجوز لعنهم ، وأما في غير تعيين فلا خلاف في جوازه ، انظر : تفسير الفرطبي ١٨٨/٢ ، فتح الباري ٣ / ٥ - ٣ * لامية العرب لالشنفرى ، . صاحب لامية المعجم : الحسين بن علي الأصفهاني الطبراني له ديوان شعر وأشهر شعره لامية المعجم مطلعها : أمالة قرأ صائتي عن الخطل . الاعلام ٢٤٦/٢ جواهر الأدب أحمد الهاشمي ٢٨٠ .

ومثله الأشعرون ، والأشعرين بحذفها نسا إلى الأشعري . قال الكميت :

ولو جهزت ضافية شروداً
لقد دخلت بيوت الأشعرينا .

وقيل : جمع أعجم فلا حذف ، بناء على جواز جمع أفعل الذي هو صفة مشبهة ، جمع المذكر السالم كأحمر . وهو قول : الكوفيين ، والبصريين خصوصاً جمع أفعل ذلك الجمع بما إذا كان اسم تفضيل ، لا صفة مشبهة ، وكان مقروناً بأل ومضافاً لمعرفة ، والكوفيين قول الشاعر :
حلّائل أحمرين وأسودين . (١)

وكثيراً ما يورد شواهد متعددة في موضع واحد ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أفلم يأس الذين آمنوا ﴾ الرعد (١٣١) . يوضح معنى اليأس فيقول :

لم يعلموا كما قال سحيم (٢) :

أقول لهم بالشعب إذ يأسروني
ألا تيأسوا إني ابن فارس زهدم .

وكثيراً ما يكرر الشيخ البيت ويبيده في أكثر من موضع ، مثال ذلك قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
يهن فلول من قراع الكئاب . (٣)

حيث تكرر هذا البيت في كثير من المواضع . (٤) ويكتفي أحياناً بالاستشهاد بتصف بيت سواء أكان جزءاً أم صلباً ، ومنه قول الشاعر : (٥) علقته ثياباً وماءً بارداً .

ومن أغراض استشهاده بالشعر ما يورده لإبراز الفيم والمواعظ ، والتزهيد في الدنيا . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وأنه هو أمانات وأحيا ﴾ النجم (٤٤) .

(١) تيسير التفسير ٢٨٩/٩ . وما بعدها أنظر : انحاء فضلاء المنبر للديلمي ٣٣٤ ، البحر المحيط ٤٢/٧ .

(٢) لورد البيت صاحب لسان العرب ، وقال زهدم اسم فرس سحيم بن غنبل البربري ٢٢٠/١٢ .

(٣) البيت أورده صاحب لسان العرب ونسبه لعنترة ٥٣٠/١١ .

(٤) منها ١٦٦/٤ ، ٢٦٨/٦ ، ٧٣/١٣ ، ٢١٥/١٤ ، ٧٠/١٥ .

(٥) هذا البيت لم يذكر العلماء نسبتة إلى قائل معين وقد اختلفوا في نسبه وذكر بعضهم أن لشاهد صدر بيت وتامه : حتى شئت حمالة حبلها . خزائن الأدب - البغدادي ٢٣١/٢ ، شرح ابن عقيل ٥٩٥/١ .

أورد هذين البيتين :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا والناس حولك يضحكون سرورا .
فاجهد نفسك أن تكون إذ بكوا في يوم موتك ضاحكا سرورا .
وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾ النور (٣١)
يورد هذه الآيات :

كل الحوادث مبذوها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر .
والمرء ما دام ذاعين قلبها في أعين العيون موقوف على الخطر .
كم نظرة فعلت في قلب فاعلها فعل السهام بلا قوس ولا وتر . (١)
وأحيانا يقف الشيخ مع الآيات التي تتحدث عن الشعر والشعراء ، مثل قوله تعالى :

﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ الشعراء (٢٢٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر ﴾ يس (٦٩) . يقف وقفات طويلة فيوضح الاختلاف القائم بين القرآن الكريم والشعر ، وبين أن الشعراء الذين ذمهم القرآن هم الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجتمع عليهم الأعراب ، ويستمعون أشعارهم ، ثم يشير إلى الشعراء الذين يتشبهون بالشعر ، فيقول : فيح الله الفرزدق ، وعمر بن أبي ربيعة ، وأبا نواس ونحوهم ممن يتشبه بالشعر ، وفيح من يرويه قاصدا مقصدهم . ثم يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع لشعر حسان وأجازه عليه ، وكذلك عبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمثل ببعض الأبيات الشعرية ولكنه كان يكسرهما ، ويورد كثيرا من الأبيات التي نقلت عن بعض الصحابة كعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وفاطمة ، والحسن بن علي . (٢) .

الاستشهاد بالأمثال :-

عند الشيخ - رحمه الله - إلى إيراد بعض الأمثال عند تفسيره لبعض الآيات الكريمة قاصدا بذلك توضيح المعنى وبيانها .

يعرف الشيخ المثل بقوله : والمثل في العرف : كلام شبه مضر به بمورده ؛ أي المعنى الذي ورد فيه أولا ، والمضرب ما يشبه بذلك الوارد أولا ، ويستعمل مجازا بمعنى ما يستغرب .. (٣) وفي موضع آخر قال ومضرب المثل تطبيق حال غريبة بتطبيق حال مثلها في

(١) تفسير التفسير ٩٩/٩ أورد هذه الآيات الآتية في تفسيره ، ولم ينسها لأحد ١٣٩/١٨

(٢) تفسير ٧٧-١١٧/١١

(٣) تفسير التفسير ٤١٧/٧

الغرابية . (١) فمن الأمثال التي ذكرها عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ النحل (٢٦) . قولهم (من حفر حفرة لأخيه جبا وقع فيه منكبا ، ومن حفر جبا لأخيه أوقعه الله فيه) . هنا المثل حكاه الميداني (٢) بلفظ من حفر مغواه وقع فيها ، والمغواة تحفر وتغطى للضبع ، وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ يس (١٢) حيث ذكر قول العرب (الصيف ضيبت اللبن) يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه ، وأصل المثل أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه فطلقها ، وتزوجت بشاب فقير ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء ، فقال لها ذلك المثل . (٣) ومن الأمثال التي ذكرها (وافق سن مطبقة) ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَلَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ النور (٤) ذكره العبداني وقال مثل يضرب لكل اثنين يجتمعان على صفات حسنة أو سيئة ، ووافق اسم رجل اسم امرأة . (٤)

وأحيانا يشير إلى المثل ويشرحه ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ النحل (٧٦) . يقول : فأين هذا من الذي يشمله المثل السائر أينما أوجه الق سعدا ﴿ رجل يسمى أخبط رئيس قومه ، وهم سعد جفوة فارتحل عنهم إلى قوم فوجدهم قد جفوا سيدهم ، كما جفاه قومه ؛ أي أينما أوجه ألق عشيرة كعشيرتي في الجفاء ، وليس سعد رجلا شريفا كما قيل بل عشيرته شريفة . (٥)

وفد لورد بعض الأمثال توافق في معناها بعض الآيات . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا .. ﴾ الفرقان (٦٧) . وافق قول العرب (خير الأمور أوسطها) ، ووافق قولهم من جهل شيئا عاداه . قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا يَعْلَمِ ﴾ يونس (٣٩) ووافق قولهم (احذر شر من أحسنت إليه) ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ التوبة (٧٤) . ووافق قولهم لا يلدغ الرجل من جحر واحدة مرتين (٦) ، قوله تعالى : ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنَكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ يوسف (٦٤) . وأورد من ذلك الكثير وهذه الألفاظ أوردتها السيوطي في الإتقان ، وأطلق عليها الأمثال الكامنة ؛ أي التي لا ذكر للمثل فيها . وأرى أن مثل هذا الصنيع وانحضاع معاني القرآن لألفاظ تعارف عليها الناس لا يليق ببلاغة القرآن ، (والعبارات المختارة الآتية لا مورد في

(١) تفسير التفسير ١٩/١١ . (٢) مجمع الأمثال للميداني ٣٠٦/٢ .

(٣) مجمع الأمثال للميداني ٤٣٥/٢ . (٤) مجمع الأمثال ٤١٨/٣ .

(٥) تيسير التفسير ٥١/٧ .

(٦) وهذا الذي ذكره من كلام العرب هو حديث نبوي شريف رواه البخاري في كتاب الأدب رغم الحديث (٦١٣٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٦/١٠ . ٢ . الإتقان ١٣١/٢ . ١٣٣ .

مضربها ، فخرجت عن الحد الاصطلاحي ، وليس لها إيراد في القرآن باعتبارها مثلاً فخرجت عن الحد التوفيقي للأمثال القرآنية التي لاتصاب بالاختيار بعد نص القرآن عليها ، وإنني لاستغرب جداً أن تسمى تلك العبارات أمثالا كاملة) . (١)

ثانياً : الصور البلاغية في هذا التفسير :-

تمهيد :-

لقد أجمع أهل البلاغة والتفسير قديماً ، وحديثاً على أن القرآن الكريم بلغ قمة البلاغة ، وذروة الفصاحة . ولا سبيل لمعرفة أسرار بيانه ، وبديع لطائفه دون معرفة أساليب البلاغة بفنونها وأفنانها، وطرائقها واستعمالاتها ، ولقد ملأ الباحثون مثان المؤلفات فيما اشتمل عليه القرآن من لمحات بلاغية ، وبيانية ، وبدعية ؛ ولكنها كلها لا تفي بعظمة القرآن الكريم وإعجازه ؛ فبلاغة القرآن بحر لا ساحل له ، ولقد نوه الإمام الزركشي بضرورة معرفة بلاغة القرآن وفصاحته لكل من اشتغل بالتفسير ، حيث قال : (وهذا العلم أعظم أركان المفسر ؛ فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز في الحقيقة والمجاز ، وتأليف النظم ..) (٢)

أما الشيخ ابن أعلفيش - رحمه الله - فقد طرق في تفسيره مختلف مباحث البلاغة ، وقدم الكثير من الصور المتنوعة بفنونها المتعلقة بعلم المعاني والبيان، والبديع. وقبل أن أعطي الأدلة على ذلك أيقن تجربة الشيخ مع البلاغة القرآنية ، وتذوقه لها كما أخبر عن نفسه ، فقد أدرك الشيخ روعة هذا القرآن وبلاغته الخلابة التي سطع سناها ، وعبق شذاها ، فنسجعه يقول عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةِ مِثْلِهِ .. ﴾ يونس (٣٨) : - الحمد لله الرحمن الرحيم الذي من علي بإطلاعي على تحقق بلاغته ، ومشاهدتي لطرفتها ، وإدراكي لها، ولا كلام يفوقه، ولا يقرب من مساواته (٣) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر ﴾ يونس (٦٩) يقول : وبلاغة القرآن لا تطاق، وقد أدركت منها كثيراً بقدر طاقة المخلوق والحمد لله ، وبعضها تتورق في قلبي ، ويمجز لساني عن بيانها إلا بإطالة كلام . (٤) وسأعرض فيما يلي لبعض النماذج التي تعجلي فيها طريقة الشيخ ، ومعالجته لهذه القضايا .

(١) الصورة الفنية في المثل القرآني محمد حسين الصغير ص ١١١.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣١١/١.

(٣) تفسير التفسير ٢٦٠/٥.

(٤) تفسير التفسير ٧١/١١.

أولاً : علم المعاني : -

اتفق البيانيون على تسمية العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يتطابق اختضاء الحال باسم علم المعاني . (١)

أد الالتفات : العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول (٢) ، وقد وضع العلماء له شروطاً ، وتحدثوا عن قيمته الفنية . (٣) وعن صورته :

والشيخ أظفريش قد عرض لبعض صورة في مواضع كثيرة من تفسيره ، وحاول تحليلها ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَعْبُدُكَ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . حيث قال : ومقتضى الظاهر إياه نعبد ، وإياه نستعين ، ليهدينا بلام الدعاء ، أنعم عليهم بصيغ الغيبة مثل ما قبله إلا أنه لما أتى بالأوصاف الكاملة من كمال الرحمة والمشاهدة ، وصفات الجلال المحمود عليها ، وقدرته الكاملة بتدرج الأقسام في ذلك على وجه الغيبة ، وقوى برهان ذلك صار الغيب مثابها يتكلم معه بصيغ الخطاب ، وفي صيغة الخطاب تلذذ . (٤)

ومن صور الالتفات ذلك ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ، وإذا تلي عليهم ﴿ يونس (١٥، ١٤) .

حيث قال : عليكم يا أهل مكة فجاء على طريق الالتفات من الخطاب في قوله : جعلناكم ، وتعلمون إلى الغيبة . (٥)

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْغَرْبِ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِهِمْ .. ﴾ يونس (٢٢) . حيث قال : ومقتضى الظاهر بكم للخطاب في كنتم ، وجاء بالغيبة لإعراضاً عن خطابهم لعدم لياقتهم ، يمز الخطاب إذ هم رجس لا تقون

(١) جواهر البلاغة - أحمد الهاشمي ص ٤٥ .

(٢) الطراز - العلوي ١٣٥/٢ .

(٣) انظر : البرهان التركيبي ٢١٤/٢ ، الاقان ٨٥/٢ ، الكشاف ٦٤/١ ، جواهر البلاغة ٢٤١ .

(٤) تفسير التفسير ١١/١ .

(٥) تفسير التفسير ٢٢٤/٥ .

بالحجاب . (١) وكان أحياناً يرد ما قيل أن في الآية التفاتاً فمن ذلك ما فعله عن تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ﴾ يس (٢٢) . حيث قال : ومقتضى الظاهر وإليه أرجع ، وليس ذلك التفاتاً لأن ياء المتكلم ليست للمخاطب ، وإنما يكون التفاتاً لو كان المعبر عنه في الموضعين واحداً ، وإن استعمل مالي لا أعبد في موضع (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) (٢) . ومن الذين ردوا القول بالالتفات في هذه الآية : السمين الحلبي كما ذكر ذلك صاحب حاشية الجمل . (٣)

ب - التقديم والتأخير :

قال عنه الزركشي : (هو أحد أساليب البلاغة ، أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام ، وانقياده لهم ، له في القلوب أحسن موقع ، واعدب مذاق) (٤) وقد أورد الشيخ أفنديش صوراً عديدة لأسلوب التقديم والتأخير ، ولكنه لم ينص على ذلك في كثير من الأحيان ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أفأنت تكره الناس ﴾ يونس (٩٩) . أشار إلى تقديم المسند إليه على المسند الحقيقي . فقال : والهمزة لإنكار صفة ذلك ، وأنت فاعل لتكره حذف وحده وبرز ضميره منفصلاً يدل على تكره المذكور بعد ، والمعنى : أيصح أن تكره الناس لا يصح ، ولو جعل مبتدأ لكان المعنى آنت الذي تكرههم !! لا الله وهذا لا يصح لأن الله أيضاً لا يكرههم على الإيمان .

أما عن تقديم المسند ، فقد ذكره الشيخ في مواضع كثيرة ، ومنها عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ الصافات (١٧) . حيث قال : وتقديم فيها للحصر أي انتفى عنها خاصة الغول لا مثل حمر الدنيا . (٥) أما عن تقديم المفعول فقد ذكره الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ الحاقة (٣١) حيث يقول : مفعول ثان ، لصل الذي

(١) تيسير التفسير ٢٣٥/٥ .

(٢) تيسير التفسير ٢٨/١١ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٥٠٨/٢ .

(٤) البرهان للزركشي ٢٣٣/٣ .

(٥) تيسير التفسير ١٩٠/١١ .

بعده قدم على طريق الاهتمام والحصر والفاصلة . (١) وهناك نوع من التقديم والتأخير لا يتدرج تحت قاعدة منضبطة أكثر من ذكره الشيخ ، ومن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ البقرة (٣٤) . حيث قال: والاستفعال هنا للمبالغة ؛ أي تقدر منها كبير عظيم ، وهو أصل الإباء أو مع الأنفة إلا أنه قدم الإباء ؛ لأنه مما يظهر ، والامتنكار قلبي وأنما يظهر بآثره وذكرنا جميعاً ليبين أن إياه لا يزول ، لأنه لكبر راسخ فيه . (٢) ومن كذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تُسْرِحُونَ﴾ النحل (٦) . حيث قال: وقدم الإراحة على السرح مع تأخيرها في الزمان ، لأنها أشد زينة ، إذا أريحت متلعة البطون ، والضروع تجري مجتمعة ، وتجتمع في المراح بأصوات عكس حالها السرح ، ولا سيما حال الربيع . (٣) وعند قوله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمًى﴾ وبكماً وصماً ﴿الإسراء (١٧)﴾ . قال: والترتيب في الآية لأن آفة السمع أشد من آفة البكم ، وآفة اللسان أشد من آفة البصر ، وآية سورة البقرة على التنزيل ، ووسط البكم فيهما لأنه لازم للصم كيلا يفارقه في الذكر . (٤)

جـ- القصر :

لمهيد :

يعرف القصر لغة بالحبس . واصطلاحاً : بأنه تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص . (٥) وينقسم القصر بحسب حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام :

- ١- قصر قلب : وذلك إذا كان المخاطب يعتقد عكس ما تقول
 - ٢- قصر أفراد : وذلك إذا اعتقد المخاطب الشراكة في الحكم بين المقصور عليه وغيره لأنك بالقصر تجعل الحكم على فرد واحد دون غيره .
 - ٣- قصر تعيين : وذلك إذا كان المخاطب شاكاً في الحكم بين المقصور عليه وغيره .
- وينقسم القصر من حيث الواقع إلى قسمين : (٦)

(١) تفسير التفسير ١١٥/١٤ .

(٢) تفسير التفسير ٥٥/١ .

(٣) تفسير التفسير ٤٦٠/٦ .

(٤) تفسير التفسير ٢٩٧/٧ .

(٥) البلاغة فونها وألفانها د. فضل حسين عباس ٢٧٢ .

(٦) المفصل السابق ص ٢٨١ .

١- قصر حقيقي : وهو ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه ، ولا يتجاوز إلى غيره .

٢- قصر إضافي : وهو القصر المجازي أو المبنى على المبالغة .

ويكون القصر من حيث طرفاه على نوعين : -

فإلى بعض الأمثلة من تعامل الشيخ مع هذا الموضوع .

يشير إلى القصر من حيث طرفاه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۚ لِّلْكُفِّهِ ۖ ﴾ (١) حيث يقول (إنما أنا بشر) ، حصر موصوف وهو رسول الله على صفة هي كونه بشراً مماثلاً لهم ، قصر قلب تنزيلاً لا تراحمهم منها مما لا يكون من بشر مثلهم ، منزلة من يدعي أنه غير بشر غير مماثل لهم ، أو قصر تعيين تنزيلاً لهم لذلك منزلة من لا يدوي أنه بشر مثلهم ، والحصر الثاني : (إنما إلهكم الله واحد) ، حصر موصوف هو الله - عز وجل - على الصفة هي الألوهية ، قصر قلب تنزيلاً لعدم إزعاجهم إلى القرآن منزلة من يدعي عدم الألوهية ، وقصر أفراد تنزيلاً لذلك منزلة مدعي تعدد الإله .. ، وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ ۖ أَلْ عَمْرَأُ ۖ ﴾ (١٤١) . قال : لا يتجاوز الرسالة إلى الألوهية فنترك العبادة لموته ولا إلى الحياة أبداً بل يموت كما يموت الرسل بقتل أو بغيره ، وذلك قصر أفراد .. أو قصر قلب ، إذ توهموا أنه لا يجب البقاء على دينه بعد موته ، وهذا القصر منصّب على النعت وهو قد خلت . (٢)

أما من حيث الواقع ، وانقسام القصر إلى حقيقي وإضافي ، فالأمثلة التي سبقنا من قبل هي قصر حقيقي ، وأما الإضافي فمن أمثاله ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السَّحَرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَيُظِلُّهُ ۖ ﴾ يونس (٨١) . حيث قال : الذي جئتم به هو السحر لا غيره ، فتميز الطرفان للحصر الإضافي كأنه قيل لا ما جئت به من الحق فإنه ليس سحراً . (٣) ومنه كذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ۖ ﴾ القلم (٢٥) .

حيث قال : والحصر الإضافي ؛ أي إنما قدرُوا على الغضب ، أو ألزم على المنع فقط للمساكين أو على منع ثمارها عن المساكين لأنفسهم (٤) . وقد يخرج الآية على القسمين الإضافي والحقيقي ، فمن ذلك ما ذكره عن تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

(١) تفسير التفسير ٦/٧ - ٥٠ .

(٢) تفسير التفسير ٢/١٨٠ .

(٣) تفسير التفسير ٦/٣١١ .

(٤) تفسير التفسير ١٤/٦٨ .

المفسدون ﴿ البقرة (١٢) . حيث قال: انتبهوا أيها الناس فدا تأكد أن هؤلاء مفسدون دون غيرهم . فالحصر إضافي ، وإن فسرنا الفساد بالتفريق كان حقيقياً لأنه لا تفريق إلا فيهم بخلاف مطلق الفساد ، ففي غيرهم من المشركين .

هـ - الحذف والذكر -

لقد أجمع الشيخ - رحمه الله - في مواضع متعددة من تفسيره إلى موضوع الحذف والذكر وإلى الأسرار البيانية الناتجة عنه ، وسماه الحذف والإيصال . يحذف المسند إليه أحياناً لتعدد ، وقد أشار إلى ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ البقرة (١١٢) حيث قال: أي زين الله ، لأنه الموجد للزينة وخالقها ، وخالق تأثير وسوسة الشيطان ، أو زين الشيطان أو عالج حصول الزينة . (١) وقد يحذف المفعول لعدم الغرض من ذكره ، وقد أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا نَسْفِي حَتَّى يَمُوتَ الرَّعَاءُ ﴾ القصص (٢٣) حيث قال : ولم يتعلق الغرض بالمفعول وهو المائبة فلم يذكر (٢) . وقد يحذف جواب لولا بقصد التخصيم ، وقد أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ النور (١٠) . حيث قال : والجواب محذوف على طريق المبالغة ، حتى كأنه لا يجيء به لفظ تقديره لكان ما يكون مما لا يطاق ، أو لهلكم دينا ودنيا (٣) وقد يحذف الموصوف للعموم ، ولتذهب به النفس كل مذهب ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّهِ هِيَ أَقْرَبُ ﴾ الإسراء (٩) حيث قال :- هداية بيان فالحذف للعموم (لأنني هي أقوم) أي للسيرة التي هي أقوم أو للطريقة أو للملة أو للحالة ونحو ذلك مما هو مقبول ، فتذهب النفس كل مذهب لائق ، وذلك من بلاغة القرآن ، ولو صرح بواحد من ذلك لم تذهب النفس إلى غيره . أما الذكر فقد عرض له الشيخ من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ يَبِيتُكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَاي ﴾ طه (١٨) حيث قال: وزاد موسى في الجواب على السؤال . امتطاية للكلام مع الله عز وجل . كما قبل :-

وأملني حديثاً يستطاب فليتي أطلت ذنوباً كي يطول عتاب (٤)

ولذلك ذكر لفظ هي . والآية دليل على جواز الزيادة - ولعله يقصد الزيادة في التوضيح

(١) تفسير القمير ١ / .

(٢) تفسير التفسير ٩ / ٤١٩ .

(٣) تفسير التفسير ٩ / ٧٢ .

(٤) لم أجد مثله وقد أوردته الآوسي عند تفسيره لهذه الآية ١٦ / ١٧٧ .

والتقرير - على ما بوب له بحسب ظاهر اللفظ من السؤال عن نفس العصا فقط تقريراً ، إذ زاد
يا المتكلم وما بعدها ، وإما على أن المراد حال العصا فالجواب طبق السؤال .

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿أولاً يذكر الإنسان﴾ مريم (٦٧) . قال : ولم يضر الإنسان
وهو المذكور قبل زيادة التقرير ، والإشارة إلى أن الإنسانية من دواعي التفكير فيما من شأنه أن
يتفكر فيه كشؤون التكوين المصرح بالقدرة على البحث . (١) وعند قوله تعالى : ﴿إنه كان
في أهل مسرورا﴾ الانشقاق (٣) . قال حال حياته في الدنيا (مسرورا) بالذات والاستهزاء
بالمسلمين ، وغيبهم ، والنقص منهم ، وسائر المعاصي معرضاً عن التقوى والآخرة .

و- الاستفهام :-

لقد ألمح الشيخ - رحمه الله - إلى بعض المعاني المجازية غير الحقيقية للاستفهام . فعند
تفسيره لقوله تعالى : ﴿أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ البقرة (١٤١) حيث يقول :
والاستفهام توبيخ لهم أو إنكار .

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿أأأصفاكم ربكم بالبين واتخذ من الملائكة
إناثا﴾ الإسراء (٥٠) . حيث قال : والاستفهام التوبيخي منسحب على (أصفاكم) أو على
(واتخذ) المعطوف على أصفاكم . (٢)

وقد جعل الزمخشري الاستفهام هنا للإنكار ، وليس للتوبيخ وهو الأنسب فهو ينكر عليهم
هذه الإغترابات ويكذبهم بها .

وقد يحمل الاستفهام على الأمر ، فمن ذلك ما ذكره الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى :
﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ فصلت (٥٢) . حيث قال : أخبروني عن الحال ، والأخبار
بالشيء مسبب لازم لرؤيته ؛ بمعنى علمه أو إبطاره ، ثم انه غير بالاستفهام عن الأمر - (٣) .

وقد يحمل الاستفهام على التقرير (٤) ويكون بغير الهمزة كما جاء في قوله تعالى :
﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ الإنسان (١) . حيث قال : والاستفهام هنا تقرير ،

(١) تفسير التفسير ٩١/٧ .

(٢) تفسير للتفسير ٢٠٣/٧ . أنظر : أقسام الاستفهام البرهان - الزركشي ٣٢٨/٢ .

(٣) تفسير التفسير ٤٤٥/١١ . الكشف : ٦٦٨/٢ .

(٤) والفرق بين التقريري والإنكاري أنك في الأول تريد تثبيت الأمر وتحقيقه ، أو تنزع إقرار المخاطب . أما في
الإنكاري فأنك لا تقرر المخاطب بل تنكر عليه ، وتشهجن منه ما حدث أو ما يمكن أن يحدث في المستقبل -
البرهان ٣٣١/٢ ، البلاغة ١٣٨ .

المجموع . (١) وتخريجه للآية على أن فرعون رب موسى تخريج لطيف مليح فلو اكتفى به لكان خيرا له وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحور ﴾ فاطر (١٩-٢١) . يقول : وأفرد البصر وأخره للفاصلة ، ولو قال : (وما يستوي العمى والبصراء) لم تأت الفاصلة . ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما نحن لكما بمؤمنين ﴾ يونس (٧٨) حيث قال : قدم لكما للاهتمام بالأعراض عنه والفاصلة .

إلا أنني وجدته في أحد المواضع ينكر قضية الفاصلة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن ربك لذو مغفرة وفو عذاب أليم ﴾ فصلت (٤٢) فيقول (أليم) ولم يقل شديد مع أنه أنسب بقوله : (حميد) ، وقوله : (مجيد) للإيماء إلى أن تراكيب القرآن ليست كالإسجاع والمخطب ، وأن حسنه ذاتي ، وانظر فيه إلى المعاني دون الألفاظ (٢) .

جـ : - سر التعبير واختيار الكلمة :-

لقد بلغ أسلوب القرآن الكريم أقصى درجات الإجادة ، والإحسان ووضعت ألفاظه في خير موضعها . فلا يمكن أن تبدل بأحسن منها . وقد وقف الشيخ مع كثير من الآيات ، وأبان عن سمو تعبيرها ، وسر اختيارها ، وروعة اعجازها .

فوقف مع بعض الحروف التي جاءت في موقعها التي تقتضيه ، فمن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فخرى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ﴾ المائدة (٥٢) . حيث قال : قال فيهم دون إليهم ؛ لأنهم استقروا في الموالاة ، وإنما يسارعون من كفر إلى كفر (٣) . وقد يختار القرآن التعبير بالماضي عن المستقبل للدلالة على التحقيق ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ المائدة (١١٩) . أي يقول الله فالماضي لتحقيق الوقوع . (٤)

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم ﴾ سبأ (٤١) . حيث قال : ومقتضى الظاهر يقولون فجاء بالماضي للتحقق كأنهم قد حشروا . فقالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم نواليك . أما التعبير بالمضارع عن الماضي فيكون لاستحضار الصورة أو التجدد ، والتكرار . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج

(١) تفسير التفسير ٢٠٢/٨ .

(٢) تفسير التفسير ٤٣٥/١٠ .

(٣) تفسير التفسير ١٦/٣ .

(٤) تفسير التفسير ٢٢٦/٣ .

النهار في الليل ومخر الشمس والقمر ﴿ لقمان (٢٩) . حيث قال: وذكر الإيلاج بالمضارع لتجده ، والتخير بالماضي ؛ لأنه أمر لا تعدد فيه ، وإنما التعدد في أثره . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ بئس لكم به الزرع والزيتون ﴾ النحل (١١) حيث قال: (بئس) المضارع للتجدد على مر الدهور ، أو لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة . (٢) وقد يختار القرآن الكريم التعبير بالجملة الاسمية تدل على الثبوت ، والجملة الفعلية تدل على التجدد كما يقول البلاغيون . (٣) وقد أشار الشيخ إلى هذه المسألة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ النحل (١٢٥) . حيث قال: وذكر في الكفار ضل بمصيغة الفعل إشارة إلى أنهم غيروا الفعلية وبدلوها بالكفر ، وذكر في المؤمنين لفظ المهتدين وهو اسم للدلالة على أنهم استمروا على الفطرة . (٤) ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها خضر ﴾ الحج (٢٣) . حيث قال: ومعلوم أنه لا بد من اللباس لا كالحلي ، ولا تدري مم هو فقال: عز وجل : إنه خضر ، وهذا لكون الكلام جملة اسمية أدل على الثبوت لذلك ، وللفاصلة جيء بالاسمية بعد الفعلية . (٥) وقد تأتي الكلمة في القرآن مفردة أو مجموعة حسب الدواعي التي تقتضي ذلك ، فيقف الشيخ عند هذه المسألة مشيراً إليها ، فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ السجدة (٩) . حيث ذكر : أنه أفرد السمع لأن أصله مصدر وهو بمعنى الأذنين ليوافق الإبصار والأفئدة ، فإن المراد العيون والقلوب ، ولا مانع من إبقائه على المعنى المنصدي كما يناسب الإفراد ، أو أفرد لأن أصله المصدر فنقول : أفرد لذلك ويكون مدركه واحد وهو الصوت . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ﴾ الشعراء (١٠٠-١٠١) . قال: وجمع الشافع لكثرة ، وأفرد الصديق لقلته . (٦) . ويقف الشيخ أحياناً مع الكلمات مينا صلاحيتها لاكثر من معنى يتأدى بها ، فمن ذلك ما أشار إليه عند تفسيره

(١) تفسير التفسير ١٠/١٥٤ .

(٢) تفسير التفسير ٦/٤٦٨ .

(٣) البلاغة فوائدها وأفانها . د. فضل حسن عباس . ص ٥٦ .

(٤) تفسير التفسير ٨/٤٠٦ .

(٥) تفسير التفسير ١٠/١٧٤ .

(٦) تفسير التفسير ٩/٢٦٢ .

لقوله تعالى : ﴿ سَمِّهِ عَلَى الْخَرْطُومِ ﴾ ن (١٦) . حيث قال : وفي تسمية أنفه خروطوما . إهانة لا تشتهر الخروطوم في أنف الخنزير والقبيل كأنه خنزير ، فإما أنه شبه بأحدهما ، ورمز إليه بذكر لازمه ، ولا يصح أن يكون سمي أنفه بالخرطوم للشبه ؛ لأن أنفه لم يشبه أنف الخنزير ، وصح هذا في الآخرة بأن يبعث وأنفه كأنف أحدهما ، واختير الأنف لأنه عضو يذكر بالعز وكذا الوجه . فإذا وسم فيه فذلك ضاربة في الهوان ، واشتق منه الأنفة في المعز ، ويقال فلان شامخ الأنف ، وحسي أنفه ، وفي الدم جذع أنفه ، ورغم أنفه . (١)

ثانياً : علم البيان :-

البيان لغة : الكشف والظهور .

واصطلاحاً : أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق تختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى ، فالمعنى واحد يستطيع أداءه بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة عليه . (٢)

أ - التشبيه ، عقد مماثلة بين أمرين ، أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة ، لغرض يقصده المتكلم . (٣) لقد عرض الشيخ في تفسيره لصور من التشبيه ، ومعظم الصور التي عرض لها كانت من التشبيه البليغ ؛ وهو ما حذف فيه أداة التشبيه ، ووجه الشبه . (٤) فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ مريم (٨٩) . حيث قال : ويجوز أن يكون معنى (وردا) دواب ترد الماء على التشبيه البليغ ، وقرئ التشبيه بحذف أدواته ، وبذكر ما يناسبها ، إذ قال : (نسوق) ، وذلك تحقير لهم ، ولا سيما أن المورد النار لا الماء . (٥) ومنه كذلك ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا ﴾ النبأ (٦) حيث قال : أي فراشا ، وهذا تشبيه بليغ بسطناها مع وسعها ، وغلظها ، (والجبال أوتادا) وهو تشبيه بليغ (٦) .

(١) تفسير التفسير ٦١/١٤ .

(٢) جواهر البلاغة . أحمد الهانسي ٢٤٤ .

(٣) المصدر السابق - ٢٤٧ .

(٤) المصدر السابق - ٢٢٠ .

(٥) تفسير التفسير ١١٧/٨ .

(٦) تفسير التفسير ٣٨٤/١٤ .

المجاز :- هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب ، لعلاقة مع قرينه مأتعة من إرادة المعنى الوضعي . (١) لقد اختلف (٢) في حقيقة وقوع المجاز في القرآن الكريم ، والحديث في هذه المسألة يطول ، والذي يهمنا أنه لا يمكن إنكار المجاز في القرآن الكريم ، ولكن في حدود الاعتدال . أما عن المجاز في تفسيره الشيخ ، فقد أكثر من صوره ، وطرقه المتعدده ، وهذا دليل على أنه من المؤيدين له بل قد يكون بالنسبة للشيخ ضرورة ملحة بحكم فكره الذي يبنه ، والذي يلجأ إلى التأويل على نطاق واسع . ومن أمثلة المجاز التي تطرق إليها : المجاز العقلي : (٣) وهو اسناد الفعل لغير فاعله ويسمى المجاز الحكمي . والمجاز المرسل : هو مجاز لغوي استعملت فيه كلمة في غير معناه الأصلي ، لعلاقة غير المشابهة ، مع قرينه مأتعة من المعنى الأصلي . فمن النوع الأول ما ذكره عن تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فوجدوا فيها جدار يريد أن ينقض فأقامه ﴾ الكهف (٧٧) . حيث قال : واسناد الإرادة إلى الجدار مجاز عقلي ؛ لأن إرادة الشيء سبب لقربه ، وملزوم لقربه ، فالمراد قرب وقوع الجدار ، أو استعارة بأنه شبه قرب السقوط بالإرادة لجامع الميل ، أو شبه الجدار بالإنسان أو الحيوان الآخر ، ورمز إلى التشبيه بلازم الحيوان ، أو الإنسان ، وهو الإرادة ، وفي أصول الفقه أن محمد بن داود الأصبهاني (٤) منع المجاز في القرآن ، فرد الضمير إلى الخضر أو موسى أو الجدار ، على الله خلق ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فإذا عزم الأمر... ﴾ محمد (٢١) . حيث قال : إستند الأمر والمراد أمر القتال ، والإسناد مجاز عقلي . فإن العازم الإنسان لا الأمر . (٥) أما المجاز المرسل ، فمن أمثله ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ النساء (١٥٣) حيث قال وأطلق الجهرية على مطلق الإظهار . الإظهار فهو مجاز مرسل ، لعلاقة الإطلاق والتقييد ، والمعنى أرنا الله مجاهرا إلينا (٦) . وقد يلجأ الشيخ أحيانا إلى الجمع بين الحقيقة والمجاز في مسألة واحدة . ومن ذلك ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات ﴾ النور (٤١)

(١) جواهر البلاغة - أحمد الهانسي ٢٩٠.

(٢) انظر البرهان ٢/٢٥٦. الإقتض ٢/٢٦٦

(٣) جواهر البلاغة ٢٩٦.

(٤) محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري ، أديب مناظر شاعر قال عنه الصفدي الإمام ابن الإمام من أذكاه العالم أمثله من أصبهان وهو ابن الإمام داود الظاهري الذي ينسب إليه المذهب الظاهري - الأعلام - الزركلي ١٢٠/٦.

(٥) تيسر التفسير ١٢/٢٥٦.

(٦) تيسر التفسير ٢/٤٥٠.

فبعد أن ذكر طرفاً من تفسير الآية ، والرؤية بمعنى العلم استعارة بالإبصار بالعين ، لعلاقة الإدراك ، أو مجاز مرسل علاقته اللزوم أو التسبب ، وقيل حقيقة في الآية ، جمع بين الحقيقة والمجاز ، إذ جمعت التسييح بالأكسنة والتسييح بغيرها مما يعلمه الله من الجمادات ، أو من حيوانات لا تسبح بلسانها . أو جمعت التسييح بالنطق أو بلسان الحال ، وذلك على أن من في الآية مستعملة لغير العقلاء معهم تغليباً ، ويجوز أن يراد عموم المجاز وهو الخضوع الموجود في تسييح اللسان وغيره ، وأن أريد بمن العقلاء فقط فالتسييح حقيقي فيقدر للطير عامل مجازي ؛ أو ويسيح الطير .. (١) فالشيخ هنا ذكر رأي القائلين بالاشتراك بين الحقيقة والمجاز ثم أورد جواب القائلين بعدم وجوده دون أن يختاره وأحياناً لا يؤيد الجمع بين الحقيقة والمجاز ، بل يخرج الآية على وجوه أخرى ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ النساء (٢٩) . حيث قال : لا تردوا أنفسكم بالقتل وما دونه من مضرة أخرى كالاتِّشراك ، فالآية من عموم السجاز للمخروج عن الجمع بين الحقيقة والمجاز (٢) .

جـ - الاستعارة :

الاستعارة هي : استعمال اللفظ في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قربته صارفه عن إرادة المعنى الأصلي . (٣) وقد نالت الإستعارة في الكتاب العزيز جانباً كبيراً من تفسير الشيخ فعرض للعديد من صورها مع التصريح بأسمائها في مواضع واغفاله ذكره في مواضع أخرى . فمن أمثلة ما ذكره من الإستعارة التصريحية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ خُتِمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ البقرة (٧) حيث قال : وفي (صم) استعارة تصريحية تبعية ، وفي (غشاوة) تصريحية أصلية أو استعارة تشيلية شبه قلوبهم وأسماعهم ، وأبصارهم ، وأحوالهم المانعة من الانتفاع بأشياء معدة للانتفاع منع مانع من الانتفاع بها . (٤) ومن أمثلة الاستعارة المكنية وهي التي حذف منها ذكر المشبه به ، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ الروم (٥٤) . حيث قال : جعل أساس أمركم ، شبهوا بالأساس والمادة على الاستعارة المكنية (٥) . وعرض الشيخ للاستعارة

(١) تفسير التفسير ١/١٢٦ .

(٢) تفسير التفسير ٢/٣٠٩ .

(٣) جواهر البلاغة . أحمد الهاشمي ٣٠٢ .

(٤) تفسير التفسير ١/١٦٦ .

(٥) تفسير التفسير ١٠/١٠٨ .

التهكمية ، ومن أمثلتها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً ﴾ البقرة (٢٢) . حيث قال : وفي تسمية الأصنام أندادا استعارة تهكمية ، لأنهم علموا أنها عاجزة لا فعل لها ، ولا تشارك الله تعالى في شيء ، كما يستعار أسد للجبان ، والتبشير للوعيد ، وحكمة ذلك الإشارة إلى أن عليهم ذنب ، من اعتقدها مشاركة له في صفاته وأفعاله . (١) وأما الاستعارة التمثيلية فقد أشار إليها عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ محمد (٤) . حيث قال : واصل وزر الحمل أو الثقل ، استعير لآلات الحرب ، أو شبه الحرب بإنسان حامل لشيء ثقل ، ورمز لذلك بإثبات ما هو ثقل على التخيل أو ذلك استعارة تمثيلية (٢) . ومنه كذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ضَرْبُ اللَّهِ مِثْلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقٍ حَسَنًا ﴾ النحل (٧٥) فبعد أن ذكر الشيخ طرفاً من تفسير الآية ، قال : والآية استعارة تمثيلية في قوله : (عبدا مملوكا) ، واستعارة تمثيلية في قوله : (ومن رزقناه) كذا قيل ، والأولى أنهما معا استعارة واحدة (٣) .

وكثيراً ما يذكر الشيخ صوراً بيانية متعددة في آية واحدة ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾ آل عمران (١٠٣) . حيث قال : شبه قول دين الله أو القرآن ، والعمل به ، والانتفاع بالحضار حبل وثيق ، والارتباط به والتوصل به إلى خير ، فذلك استعارة تمثيلية ، وهي أولى من استعارة الأفراد كاستعارة الحبل للعهد ، تصريحية أصلية ، القرينة الإضافة ، واستعارة الاعتصام للوثوق بالعهد تصريحية أصلية ، واشتقاق اعتصم تصريحية التسمية ، وكاستعارة الحبل ، وإبقاء اعتصموا ترسبها ، أو في الحبل مكنية ، وفي الاعتصام تخويلية ، ويجوز استعمال الاعتصام مع أنه تمسك مخصوص بجسم في مطلق الوثوق ، فمنه الوثوق بعهد الله ، فذلك مجاز مرسل أصلي لعلاقة الإطلاق والتقييد ، واشتق منها اعتصم مجازاً مرسلًا تبعياً (٤) .

د - الكناية والتعويض :-

لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له ، مع جواز المعنى الأصلي ، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته وقد عرض الشيخ للكناية والتعويض فيين الفرق بينهما ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ البقرة (٢٣٥) . حيث قال :

(١) تفسير التفسير ٣٤/١ .

(٢) تفسير التفسير ٢٢٦/١٦ .

(٣) تفسير التفسير ٤٩/٧ .

(٤) جواهر البلاغة - أحمد الهائسي ص ٣١٦ .

لوحتم به من عرض الكلام، أي جانبه واللفظ حقيقة، ومنهم الملوّح إليه ليس حقيقة ولا مجازاً، وقيل: اللفظ غير حقيقة ولا مجازاً، كما أن الكناية كذلك، إذا لم يرد الصّحاح الموضوع، كما إذا قلت كثير الرماد للجواد، حيث لا رماد له. ويقال: التعريض، أن تذكر شيئاً مقصوداً بلفظه الحقيقي أو المجازي أو الكنائي لنقل به على شيء آخر لم يذكر في الكلام. ويقال مثل قولك: طویل النجاد كناية، ومثل قول الفقير: - جئت لأسلم عليك كناية وتعريض، فبينهما عموم وخصوص من وجه (١). فالتعريض عند الشيخ أخص من الكناية فكل كناية تعريض.

ومن أمثلة الكناية التي أوردها الشيخ، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا عَصَاكُمْ الْأُتْمَلُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ (٢) وأحيط بنمره، فأصبح بقلب كفيه ﴿الكهف (٤١)﴾. حيث قال: وتقلب الكفين كناية عن الندم، لأن الندم يفعل ذلك تحسراً، يكرر جعل ما بطن من يده إلى جهة الأرض. ثم إلى جهة السماء. (٢) ومنه كذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا عَصَاكُمْ الْأُتْمَلُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ آل عمران (١١٩). حيث قال: ولا بد أن يكون عرض الأتمل كناية عن الغيظ لقوله من الغيظ إلا أن يقال: مجموع ذلك كناية، ووجه عرض الأتمل كثير من الغضب فاجعل كناية عن الغيظ. (٣) أما التعريض: فمن أمثله ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هَدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ (٢٤). حيث قال: والمعنى إن أحد الفريقين منا معشر المؤمنين بالله الذي هو الرزاق، ومعشر المكذبين بالوحدانية له المتصفون بأحد أمرين التمكن على الهدى، والانغماس في الضلال، وذلك عبارة انصاف بليغة في نسبة الضلال إليهم بالتعريض من غير تصريح مهيّج لهم إلى العناد. كقولك: علم الله الصادق مني ومنك. (٤) ومنه أيضاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران (٨٤). حيث قال: لا كإيمان أهل الكتاب ببعض وكفر ببعض، وتثليث والحاد بالولادة وغيرها، فالآية تعريض بهم (٥). هذا منهج الشيخ في تحليله، وعرضه لبعض اللمحات انبثائية، والباحث يرى أن الشيخ كان يذكر في الآية أكثر من نوع من أنواع البيان عند تحليله، ولعل ذلك راجع إلى نظر المتكلم وذوق السامع، وليس لذلك قاعدة منضبطة يمكن أن يحتكم إليها. والشيخ فيما عرض له من أساليب البيان السابقة، وفيما وقف عنده من أمثلة، نراه استعمالها استعمالاً عاماً

(١) تفسير التفسير ٣٧٢/١، انظر تفسير الرمضاني ٢٨٢/١ وما بعدها.

(٢) تفسير التفسير ٣٩٩/٧.

(٣) تفسير التفسير ١٥٣/٢.

(٤) تفسير التفسير ٣٧٥/١.

(٥) تفسير التفسير ١١٢/٢.

شمل جميع أضراب البيان ، ولم يكن دقيقاً في تفريقه بين هذه الأساليب ، وقد جرت العادة في العربية أن يميز بين هذه المتشابهات ، ثم إنه يبدو على الشيخ تكلف ظاهر في تحليلاته وعرضه.

ثالثاً: علم البديع :-

والبديع علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقاً بعد مطابقتها لمقتضى الحال (١) لقد حفل الشيخ أطفيش بضررب البديع والمحسنات في ثانياً تفسيره ، ومن الأمثلة التي ذكرها المشاكلة :- وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوفوه في صحبته ، (٢) فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾ الزمر (٢٣) . حيث قال: ومعنى سبق : زف كزف العروس ، ولكن عبر بـ سبق لمشاكله سبق السابقة ، ولا تنوهم الإهانة هنا ؛ لأن كون السوق إلى الجنة يدفع توهم الإهانة ، والإسراع إلى الجنة إكرام ، (٣) .

الف والنشو : وهو أن يذكر عدة أشياء متعددة ، ثم يذكر لكل واحد منها ما يناسبه ، وما يتصل به اعتماداً على تمييز المخاطب ، ومن أمثله ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ سبأ (٢٤) . فبعد أن ذكر شيئاً من تفسير الآية قال: وقال أبو عبيدة : وإن الكلام لف رنثر مرتبان بقوله تعالى : ﴿ لعلى هدى ﴾ راجع إلى (وإنا) (أو في ضلال) إلى قوله (إياكم) ، ولا يعد (٤) فيه .

الجناس : هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى وهو قسمان : جناس تام ، وجناس غير تام ، فمن أمثلة الأول ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾ الروم (٥٥) . حيث قال: وبين الساعة وساعة جناس مماثل ، ولو اختلفا اعراباً ، وتعريفاً ، وتنكيراً ، ولو اتحد مدلولهما في الأصل . وهو المدة الزمانية لاختلافهما في القصد ، (٥) ومن أمثلة الثاني : ما ذكره من التجانس بين لفظتي يوسف والاسف في قوله تعالى : ﴿ يا أسفا على يوسف ﴾ يوسف (٨١) أسلوب الحكيم ؛ وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقبه (٦) . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق

(١) جواهر البلاغة أحمد الهاشمي ٣٦٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٥.

(٣) تفسير التفسير ٣٠٨/١١.

(٤) تفسير التفسير ٢٧٥/١٠. الإتيان ٩٥/٢ ، جواهر البلاغة ٢٧٦.

(٥) تفسير التفسير ١١٠/١٠.

(٦) جواهر البلاغة ٣٨٨.

وعند الرحمن وصدق المرسلون ﴿ يس (٥٢) . قال: أو هو جواب على غير ما سألوا عنه لأن غيره أحق بالسؤال ، ويسمى الأسلوب الحكيم . وأحيانا يذكر الشيخ عدة صور من المحسنات في آية واحدة ، فمن ذلك ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ﴾ هود (٢٤) . (١) حيث قال: صفتهم التشبيهة بالمثل في الغرابة ، والمعجب كمثل الأعمى والأصم ، والكافرون كالأعمى والأصم ، والمؤمنون كالسميع والبصير ، كل فريق شبه بثنين فذلك أربع تشبيهات ، وفي الآية لف ونشر لا مرتبان ، ولا معكوسان لا جمالهما في الفريقين كالاجمال في ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى ﴾ البقرة (١٣٥) ولو قال مثل الكافرين ، والمؤمنين لكان مرتبا وفي الآية انطابق مرتين وهو الجمع بين متقابلين بالتضاد اذ جمع بين الأعمى والبصير ، وجمع بين الأصم والسميع ، وفيها مقابلة وهي أن يؤتى بمعنيين متوائمين وأكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب ، وهو داخل في الطباق وأنحص منه ، وفيها تشبيه مركب (٢) .

(١) تفسير التفسير ٢ / ٥٨ .

(٢) تفسير التفسير ٥ / ٣٩٣ وما بعدها .

الفصل الثامن

منهجه فتح الالتزام الفقهي

البحث الأول :

عرضه لبعض قواعد أصول الفقه

البحث الثاني :

عرضه لآراء الفقهاء وموقفه منهم .

البحث الثالث :

موقفه من المسائل الخلافية المذهبية .

تمهيد :-

من أبرز المقومات العلمية التي حفلت بها شخصية الشيخ محمد أطفيش ، وانعكست على تفسيره فقهه، فقد ظهر الشيخ في هذا التفسير فقيها متضلعا ، محيطا بالمذاهب ، ذا قدم راسخة بأقوال الفقهاء وآرائهم ، قادرا على الإفادة والاختيار ، كيف لا ومؤلفاته في هذا المجال كثيرة ، وتعد مرجعا فقيها واقيا في المذهب الإباضي ؛ بل هي عمدة المذهب ، صنفها الشيخ لتكون في متناول حاجات الإباضيين .

أما بالنسبة إلى الخلاف بين الإباضية وأهل السنة فالحق أنه ليس هناك خلافات فقهية جوهرية بارزة تذكر بين أهل السنة والإباضية ، ولعل ذلك راجع إلى توحيد مصادر التشريع عند كلتا الطائفتين ، وهي : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس . يقول علي يحيى معمر : (مصادر التشريع عند الإباضية هي : القرآن ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، والاستدلال ، ويدخل تحت الاستدلال الاستصحاب والامتحان ، والمصالح المرسلة ، وقد يطلقون على الإجماع والقياس والاستدلال كلمة (الرأي) ، ثم ذكر بعض المسائل الأصولية التي تقول بها الإباضية منها : أن الإجماع القولي حجة قطعية ، والإجماع السكوتي حجة ظنية ، وحديث الآحاد يفيد العمل ولا يفيد العلم ، ويحتج في المقائد (١) . وقد أشار الشيخ محمد أبو زهرة إلى جهود الإباضية في هذا المجال ، فقال : ولهم فقه جيد ، وفيه علماء ممتازون ، ولهم آراء فقهية ، انتبست القوانين المصرية في الموارث بعض آرائهم) . (٢) . والإباضية يتمسكون بمذهبهم ويرون أنه من أقدم المذاهب الفقهية نشأة وتأسيسا . ودراسني لهذا الفصل ستظم المحاور التالية :

أولا : بيان الشيخ لبعض قواعد أصول الفقه .

ثانيا : عرضه لآراء الفقهاء وموقفه منهم .

ثالثا : موقفه من المسائل الخلالية المذهبية .

المبحث الأول : بيانه لبعض قواعد أصول الفقه : لقد أشار الشيخ -

رحمه الله - لأصول الفقه في تفسيره ، فذكر كثيرا من قواعده ، وأدله ، سواء كانت مستنبطة من الآية التي يفسرها ، أو أن الآية كانت مثارا لتقرير تلك القاعدة . فمن ذلك ما ذكره عند

(١) الإباضية ملعب إسلامي معتدل تأليف الشيخ علي يحيى معمر ص ٣٠ .

(٢) الملعب الإسلامية . ٩١/١ .

تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ... ﴾ البقرة (١٩٨) . حيث قال... والإفاضة من عرفات واجبة ؛ لأن الأمر المجرد للوجوب، وهو لا يتم إلا بالكون في عرفات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وهو ظاهر بلا تكلف عندي . (١) وعند بيانه للأسبب هل الأصل فيها الحل أم الحظر ؟ . قال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ النحل (٨) . والأصل في الأسبب قبل النزول الحل إلا ما تبين . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴾ الأنعام (٩) . قال : لا يؤخرون أقل من لحظة لتوبة ، أو معذرة ، أو رحمة ؛ لأن الاختيار قاعدة التكليف (٣) . ومن القضايا الأصولية التي ذكرها وكررها ، وخرج برأي مستقل عن رأي الإباضية - كما يرى (٤) - قضية شرع من قبلنا ، هل هو شرعاً لنا ؟ . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ البقرة (٢١٧) . قال : والمذهب - يعني الإباضي - أن شرع من قبلنا ليس شرع لنا ، والذي عندي أنه شرعاً لنا ، وأنه يقوم على الاجتهاد . ما لم ينافه القرآن أو الحديث أو الإجماع بدليل راجح ، ولا خلاف في أنه ليس شرعاً إذا صرح في ذلك بخلافه ، ولا يصح أن شيئاً شرع لمن قبلنا ، إلا إن ذكر عنهم في القرآن أو الحديث أو الإجماع أو رواه ثقة أسلم منهم .

(١) تفسير التفسير ٣٠٣/١ .

(٢) تفسير التفسير ٤٦٢/٦ .

(٣) تكملة التفسير ٢٤٢/٣ .

(٤) الذي اطّعت عليه في مصادر الإباضية، ينص على أن شرع من قبلنا شرع لنا ، خلافاً لما قاله الشيخ . ومسألة شرع من قبلنا مسألة أصولية اختلفت فيها الآراء . ومخلصها : أن الأحكام الشرعية التي نص عليها القرآن أو السنة حكاية عن الأمم السابقة، وأقرها الله علينا فهي واجبة الاتباع مثل الصوم . أما الأحكام التي ورد فيها نص عن الأمم السابقة ثم نسخت عندنا، فقد انتفوا على أنها ليست حكماً شرعياً مثل قتل النفس للثوب ، أما إذا جاء نص ولم يرد ما يدل على إلغائه مثل (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) سورة المائدة (١٥) . فهنا اختلف العلماء باعتبارها مصدراً تشريعياً على قولين : ١- أنها حجة ويجب اتباعها قال بذلك الحنفية ، والحنابلة ، وبعض الشافعية . ٢- ليس شرعاً لنا ، ولا حجة علينا ، وهو قول الثماني ، وبعض الأصوليين . والذي يبدو والله أعلم . أن العبادات وكيفية التي شرعت لمن قبلنا كانت لهم خاصة ، (لكل أمة جعلنا منسكاً هم نسكوه) ، المصح (٦٧) . أما أصول العقيدة فهي مشتركة بين جميع الأديان ، يصدق ذلك حديث (الأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) . قال ابن حجر : ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد ، وإن اختلفت فروع الشرائع . فتح الباري ٥٥١/٦ . كتاب الأنبياء ، رقم الحديث (٣٤٤٣) . أنظر في هذه المسئلة : الأحكام في أصول الأحكام - الأمدى ، ط القاهرة ، ص ١٢٣-١٢٥ ، أصول فقهاء محمد أبو زهرة ، ص ٢٩٢ .

المبحث الثاني: عرضه لآراء الفقهاء وموقفه منهم .

يقوم منهجه في مثل هذه القضايا على بسط آراء فقهاء الصحابة ، والتابعين . إلى جانب آراء الفقهاء من أصحاب المذاهب ، أمثال : الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، الحنبلية ، والظاهرية ، وغيرها . وهو إذ يقوم بذلك لا ينسى أن يذكر مذهب الإباضية ، ويرجح في أغلب الأحيان ، ويحاول أن يدعم ترجيحه بأدلة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية سواء كانت قولية أو فعلية أو تقريرية ، أو يبحث لغوي . وفيما يلي بعض الأمثلة التي تلقي الضوء على موقفه من القضايا الفقهية المثبوتة في تفسيره: فما أشار إليه من آراء الصحابة والتابعين ، ما ذكره عند بيانه لمعنى الذكر ، والأيام المعدودات ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ﴾ البقرة (٢٠٣) . حيث قال : - وقال البخاري (١) عن ابن عمر أنه كان يكبر بمعنى تلك الأيام ، وخلف الصلوات ، وعلى فراشه ، وفي فسطاطه ، وفي مجلسه ، وفي مشاه في تلك الأيام جميعا ، يعني يوم النحر وثلاثة الأيام بعده المرادة عندنا في قوله تعالى : ﴿ في أيام معدودات ﴾ ذلك التكبير ، وسائر الذكر في تلك الأيام مستحبان عندنا يعني الإباضية ، وعند أبي حنيفة ، إلا عند ذبح الفرائين فعنده وجب التكبير ، وعندنا مستحب . والمراد بالأيام ما ينسب لليالي ، وعن ابن أبي ليلى : الأيام : يوم النحر ، ويومان بعده . قيل : وهو وهم ، ونسب لعمر وعلي ، والمشهور عنهما ، وهو قول : ابن عباس ، لا يلزم الوهم ، ولعله خص مزيد التأكيد في ذلك بالحج ، والواجب عند القائلين به في الحج ، هم الظاهرية . (٢) وهناك مسائل تناولها الشيخ وأفاض فيها ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ﴾ سورة البقرة آية (١٩٦) . حيث قال ما ملخصه : (وأنوابهما تامين بشروطهما وأركانتهما لا تقطعهما ، ولا تكدرهما بشيء ، والأمر للوجوب ، فهما واجبان ذاتا وتماما ، وإن قرئ برفع العمرة ، فالمعنى : والعمرة ثابته لله على وجه الوجوب ، والعمرة واجبة ويدل للوجوب أيضا ، وأتموا الحج والعمرة ، والقائل بعدم وجوبها يقول : الآية أمر بإتمامها بعد الدخول فيها ، وكل نفل يجب إتمامه بعد الدخول فيه صحيحا ، فالحج واجب لقوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ آل عمران (٩٧) . كالصيام وجب بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ البقرة (١٨٣) ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ ، أمر بإتمامه والعمرة نفل لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قيل له : العمرة واجبة يا

(١) رواه البخاري في كتاب العيدين باب التكبير لتمام منى ٥٢٤/٢ .

(٢) تيسير التفسير ٣٠٩/١ .

رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن أن تتمر خيراً لك (١) ، كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، (الحج جهاد والعمرة تطوع) (٢) فالحديث بيان للآية لا نسخ ، فضلاً عن أن يقال الحديث لا ينسخ القرآن ، فأقول نسخ هذا الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم : العمرة داخلية في الحج إلى يوم القيامة ، ولا يضرنا احتمال أن وجوبها تبع لوجوب الحج ، أو يصح بها الحج ولو تفلاً ، وقد قيل لعمر : وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي فأهللت بهما جميعاً ، بالفاء ، فقال : هديت لسنة نبيك ، فلم يقل له عمر لم تفرض العمرة ، ولا يحتمل مع الفاء أن يقال وجبت عليه بالشروع ، ورواية إسقاط الفاء تبينها رواية الفاء ، وعنه صلى الله عليه وسلم : الحج والعمرة واجبان لا يضررك بأيهما بدأت ، فيجمع بين الروايات بأنها غير واجبة استقلالاً كما وجب الحج ، وواجبة على مريد الحج أن يتمر معه ، قبله ، أو بعده ولو كان الحج تفلاً ، ومن أحرم لحج نفل أو عمرة واقصد أو أفسدها أتمه أو أتمها ، وأعاده أو أعادها ، والحق أن الصحابي حجه ، خلافاً للشافعي .. (فان أحصرتم) ؛ أي منعتهم عن الإنعام بعدوا أو مرض أو غيرهما ، وأصل الآية في العدو فقط لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أُمْتُمْ ﴾ . فيقاس عليها غيره ، هذا مذهبنا ، ومذهب أبي حنيفة ، ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم : (لا إحصار إلا من مرض ، أو عدو أو أمر حابس) ، وهو عموم ، وروى عنه بعض الصحابة من أحرم بحج أو عمرة ثم حبس عن البيت يمرض جهده أو عدو حبسه ، فعليه ذبح ما استيسر من الهدي ، وأهل عمر بن سعيد بعمرة فلسع ، فقال ابن مسعود : ابعثوا بالهدي ، واجعلوا بينكم وبينه يوم أمانة ، فإذا كان ذلك فليحل ، وخص مالك ، والشافعي الحكم بحصر العدو . لقوله ﴿ فَإِذَا أُمْتُمْ ﴾ ، وقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو ، ويعترض بالحديث المرفوع قبل هذا ، وليس ضعيفاً .

قيل لأنه روي من طرق مختلفة ، وإن شرط الحاج محلي حيث حبست فلا هدي عليه إن حبس بعدو أو غيره ، لقوله صلى الله عليه وسلم لضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، حجني واشترطي ، وقولي : محلي حيث حبستني يا الله ، والأصل أنه لا يختص هذا بها بل

(١) رواه الترمذي في كتاب باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا رقم الحديث (٩٣٦) ٢٠١/٣ وقال حديث حسن صحيح ، قال المحقق لم يخرج من أصحاب الكتب الستة غير الترمذي .

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب المناسك باب العمرة رقم الحديث (٢٩٨٦) قال المحقق : في استاده ابن عباس المعروف (بمنزل) ضمنه أحمد وابن معين ٩٩٥/٢ .

هو لها ولغيرها عند أحمد ، وأحد قولي : الشافعي ، والحديث حجه لنا ، ولأبي حنيفة : أن غير العدو كالعدو في الآية ، والعمرة كالحج . فما (استيسر من الهدى) فأنواجب ما استيسر أو فعليكم ما استيسر من شاة ثنية أو بقرة أو بعير ، قال ابن عباس : وما عظم فبهم أفضل ، وعن ابن عمر الهدى بقرة أو جزور ، ولا تكفي الشاة . (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله) . وهو موضوع حلول المعهود ، وهو منى ، أيام منى ، أو الحرم مطلقاً ، ولو قبل أيام منى . وعندنا وعند أبي حنيفة يوقت لذبحه ، وعند أبي حنيفة ولو كان حاجاً فبالحرم منى شاة ، وعند أبي يوسف ، ومحمد في أيام النحر ، وإن كان معتمراً فبالحرم في كل وقت عنده وعندهما ، وقال الشافعي بنحر حيث أحصر ، ولو في الحل ، فمحله عنده موضوع حلول الحصر ، ويتقوى مذهبا بقوله حتى يبلغ ، وعلى المحصر للحج أو العمرة لو كلاهما من قابل ، كما تفضي الصلاة ، والصوم ، وكما اعتنم صلى الله عليه وسلم من قابل ، وهكذا شأن النفل إذا دخل فيه صحيحاً ، واحتج الشافعي في عدم وجوب القضاء بأن الله لم يذكر القضاء ، قلت : يلزم عليه أن لا يلزم قضاء ما وجب من حج أو عمرة إذا أحرم به ، وأحصر عنه ، ولا قائلًا بذلك ، وإنما لم يذكر لأن المقام لشأن الإحصار ، لا لبيان كل ما يجب عليه ، ووجه اللزوم أن الآية في الإحصار مطلقاً لا في الإحصار عن النفل خاصة واحتج الشافعي في أن النحر حيث حل بالحبس ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحر حين حبس في الحديبية ، وهي من الحل ، كما قال مالك ، فأجيب بأنها من الحرم كما قال الزهري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن الحديبية من الحرم ، فقال لذلك - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه بالحرم ، وبه قال أبو حنيفة ، وصحح أرباب الحديث أنها من الحل ، ويجمع بأنها في طرف الحرم كما قال الراقندي على تسعة أميال من مكة . (٢)

وهكذا أطال الشيخ محمد أطفيش - رحمه الله - ، وأفاض في ذكر الفروع الفقعية المتعلقة بهذه الآية ، ودخل في تفصيلات فقهية حتى استفرقت منه عدة صفحات ، وأصبح القارئ يحس وكأنه مع كتاب في الفقه المقارن أو موسوعة فقهية ، ولو أن الشيخ اقتصد في

(١) تيسير التفسير ٢٨٧/١ - ٢٩٠ .

(٢) تيسير التفسير ٢٨٧/١ - ٢٩١ ، انظر الخلاف في هذه المسائل : كتاب الام لمحمد الشافعي دار النسيم ١١٣/٢ المحلى لابن حزم مكتبة الجمهورية العربية مصر ٣/٧ ، تفسير القرطبي ٣٦٨/٢ ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد للقرطبي المكتبة التجارية ٢٧٥/١ .

عرضه لمثل هذه المسائل بالقدر الذي تنضح به الآية لكان ذلك أجدى وأنفع ، ففي ظني أن طالب التفسير ليس بحاجة إلى مثل هذه الإفاضة، أو هذا الاستطراد، والشواهد التي عرضتها بعضا من شواهد لا تحصى .

نصرة الشيخ لأراء بعض المذاهب : لقد لاحظت من خلال قرأتي لهذا التفسير توافق رأي الإحناف مع رأي الإباضية في مسائل فقهية كثيرة وكم لقي رأي الإحناف الرضا والقبول من الشيخ أطفيش، فكثيرا ما يتصر لرايهم ؛ لأنه يوافق مذهب الإباضية بل إنه صرح بذلك ، فقال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ البقرة (٢٢٠) فبعد أن عرض لأراء الفقهاء في مسألة الرجوع ، قال عن أبي حنيفة ؛ وهو كثير الوفاق بينه وبيننا معاصر الإباضية الوهية في المسائل (١) وكثيرا ما يردد ابن أطفيش هذه العبارات ، وعندنا وعند أبي حنيفة ، ومذهبنا ومذهب أبي حنيفة ، وقول أبي حنيفة هذا موجود أيضا في المذهب. ومن أمثلة انتصاره لمذهب الإحناف ما ذكره عند بيانه لحكم السعي بين الصفا والعروة ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنْ الصَّافَا وَالْعُرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ .. ﴾ البقرة (١٥٥) . فذكر قول مالك والشافعي : أنه ركن من أركان الحج فلا يصح الحج بدونه ، ويطل بتركه. وذكر رواية عن الإمام أحمد أنه سنة غير واجب ، ورد هذا القول . وذكر رأي الإحناف أنه واجب وليس بركن ، إذا تركه وجب عليه دم . ثم قال : ولا حجة لمن قال بأنه غير واجب ، وهذا مذهبنا ، ومذهب أبي حنيفة . (٢) والأمثلة على ذلك كثيرة . وبالرغم من ذلك فإنه أحيانا يقف مع أبي حنيفة في بعض آرائه ويخالفه . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ البقرة (٢٦٧) ذكر أنواع الحبوب التي تجب فيها الزكاة ، ثم قال : وأخطأ أبو حنيفة إذ أوجبها في كل ما أنبتت الأرض ، ولو بقولا ، وبطيحا ولو قليلا . (٣) وأحيانا يتصر الشيخ أطفيش لمذهب الشافعي حين يوافق قوله قول الإباضية : فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ النساء (٦) قال : حد النكاح ، وهو البلوغ بإحدى علامات البلوغ، فإن لم تكن فخمسة عشرة سنة عندنا ، وعند الشافعية ، وأقيمت عليه الحدود، وزعم أبو حنيفة أن مدة البلوغ للذكر ثماني عشرة سنة ،

(١) تفسير التفسير ٣٥٧/١.

(٢) تفسير التفسير ٢٢١/١.

(٣) تفسير التفسير ٤٣٦/١ انظر تفسير القرطبي ٣/٣٢٢ ، نيل الأوطار ٤/١٦٦ .

والأثنى سبع عشرة، وله قول كقولنا تفتي به الحنفية . (١) وقد يوافق قول الإباضية قول المالكية فيذكره ، ومن ذلك ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ البقرة (١١٤) . حيث قال : ولا يجوز عندنا أن يترك مشرك أن يدخل مسجداً ، إلا إن لم تقدر ، وذلك قول مالك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا المسجد الحرام ﴾ التوبة (٢٨) . والمساجد كلها مثله في التطهير من الأنجاس فهي مثله في الحرمه (٢) . وكثيراً ما يقف الشيخ مع مذهب الظاهرية . الذي يقوم على أساس العمل بظواهر الكتاب والسنة . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ النحل (٩٨) قال : آردت قراءة القرآن فالاستعاذه قبل القراءة ، أطلق المسبب وهو القراءة على السبب ، وهو الإرادة ، أو إذا شارفت قراءة القرآن . وقالت الظاهرية : بعدها للفظ الآية ، ولا يقدرون الإرادة وهو خطأ فاحش . . . فمن نافع عن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل القراءة : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، والحديث يفسر القرآن ، وبالعكس ويستعاذ للقراءة في الصلاة وغيرها وزعم البعض أنه وجوباً على الصحيح ؛ لأن الأمر للوجوب . . . وقبل استحبابها ، ونسبه قومنا للجمهور . . (٣) وقد يخالف الشيخ ما عليه أصحابه وأهل مذهبه . إلا أن هذا من نادى ، وقليل ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ البقرة (١٨٥) . حيث قال : فعليه صوم عدة إذا أفطر ، أو يقدر فأفطر عقب قوله أو على سفر ، وكذلك عليه عدة الشهر إن أفطره كله إن كان تسعة وعشرين قضى تسعة وعشرين فقط ، ولو بدأ القضاء من أول شهر وكان فيه ثلاثون فلاتهم ، فإنما عليه قضاء شهر رمضان الذي خوطب به ، فإذا كان من تسعة وعشرين لم يزد ، والآية حجة لي ، وذكر بعض أصحابنا (يعني الإباضية) ، وبعض قومنا يعني أهل السنة أنه إن بدأ من أول الشهر أتمه زاد على رمضان أو نقص ، وبعض إن نقص أتمه . (٤) . . وأحياناً يذكر الشيخ الخلاف الذي يقع بين علماء المذهب الإباضي ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ النور (٣١) . قال : وفي المراهق في المذهب قولان : بعض يحكم عليه بحكم البالغ ، وبعض لا يحكم عليه به وهو الصحيح .

لأنها : موقف الشيخ من الأكمة الأربعة : لقد حمل ابن أطفيش على أكمة المذاهب الأربعة ، وسلفهم بعبارات لا تليق أسبغ الله رحمة على الجميع . فمثلاً عند تفسيره لقوله

(١) تيسير التفسير ٢/٢٦٥ انظر تفسير القرطبي ٢/٣٥٠ .

(٢) تيسير التفسير ١/١١١ انظر تفسير القرطبي ٢/٢٨٨ وما بعدها .

(٣) تيسير التفسير ٨٧ وما بعدها ، انظر تيسير القرطبي ١٠/١٧٥ .

(٤) تيسير التفسير ١/٢٦٣ .

تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (المؤمنون ٥٣). قال: (كل حزب) من أولئك المتقطعين (بما لديهم) من الأمر الذي اختاروه معجبين به أخطأوا واعتقدوا خطأهم صوابا. وذلك أقبح شيء، ودخل بالمعنى في الآية كل مذهب زائف، وإنما يقبل الله المذهب الخالي من البدعة، وقد كان الناس لا يعرفون إلا القرآن، والسنة، والإجماع، والاجتهاد، لمن تأهل له، ثم كانت المذاهب والتقليد، وإنما ظهر بعضها في آخر القرن الثاني، فإن عمر مالك عام واحد (١)، حين مات إمامنا جابر بن زيد، إذ مات عام ستة وتسعين، ومالك ولد عام خمسة وتسعين، ومات عام وتسع وسبعين، وعمر أبي حنيفة حين مات جابر خمسة عشر عاما؛ لأنه ولد عام ثمانين من الهجرة، ومات عام مائة وخمسين، ولا وجود للشافعي وأحمد في زمان جابر، لأن الشافعي ولد سنة مائة وخمسين، ومات سنة أربع ومائتين، وأحمد سنة مائة وأربع وستين، ومات عام مائتين وواحد وأربعين. وما ظهر مذهب مالك في المغرب إلا سنة أربع مائة وخمسين بعد دخول العرب المغرب، وقبل ذلك كان مذهبه في الحجاز، وانتشر مذهب الأوزاعي في أواسط المائة السادسة إلى أندلس، ودخل من أهل مذهب مالك أندلس يحيى بن يحيى، ويحيى بن بكر، وفرغوس، ولم يعأ بهم أحد إلا المرابطون، وأحكامه مهجورة في أندلس، وقد هرب الشافعي إلى مصر خوفا من القتل، أو العذاب، وقيد المأمون أحمد وضربه حتى غاب عقله، ومات في سجنه، فعل ذلك بهم لقرلهم بالرؤية، وقدم القرآن، فأين الاتفاق على هؤلاء الأربعة، وقيل في هؤلاء الأربعة غير ما مر... (٢) هذه التهم التي رمى بها الشيخ - عفا الله عنا وعننا - فقهاء الإسلام، لا تليق من مثل الشيخ بمثل هؤلاء الأعلام، وإنما هي تمثل طرفا من مظاهر اعتزاز الشيخ بمذهبه، وقسوته على أئمة المذاهب، والتهرين من فقهم. وإذا كان أئمة المذاهب يمكن أن يدخلوا تحت معنى هذه الآية على حسب زعم الشيخ؛ فإنه يستلزم منه كذلك دخول الإمام جابر بن زيد - فيهم، فكأن الشيخ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى؛ لطريقة فقه الإمام جابر بن زيد لا تختلف عن غيرها من طرق بقية المذاهب. ويمكن أن نسأل الشيخ، هل يمكن أن يدخل أئمة المذاهب تحت معنى هذه الآية وأن يخصصوا بالذم؟ وأحسب أن الإجابة لا تحتاج إلى دليل، فالآية واضحة الدلالة على أنها في غير المسلمين كما نص على ذلك شيخ المفسرين الإمام ابن جرير، حيث قال عند تفسيره لهذه الآية (فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى

(١) والعجيب من الشيخ أنه يروي لنا قصة يذكر فيها أنه قبل لجابر بن زيد إن مالك بن أنس رأى الهلال وحده في جملة الناس فقال اسعوا حاجبيه فمسحوهما ١١/١٠/٢٠١١.

(٢) تيسير التفسير ٣٣/٩-٣٤.

بالإجماع على الدين الواحد، والملة الواحدة، دينهم الذي أمرهم الله بلزومة زيارتها كتباً، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذي دان به الفريق الآخر كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة، وكذبوا بحكم الإنجيل، والقرآن، وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم، وكذبوا بحكم الفرقان وعن مجاهد (كل حزب بما لديهم فرحون)، وهؤلاء أهل الكتاب (١) وقد صرح الشيخ محمد أطفيش بذلك عند تفسيره لأول الآية، حيث قال: (تقطعوا) بسبب كفرهم فصاروا أدياناً مختلفة. (٢)

ثم إن أصحاب المذاهب الأربعة هم صفوة الناس في جيلهم، تمتعوا بشخصيات فريدة، تفرض احترامها على الآخرين، ومهما اتسعت واختلفت وجهات النظر، فالأمر لا يعدو مجال الاجتهادات الفقهية، ومن الثابت أن الصحابة - رضوان الله عليهم - اجتهدوا في عصره - صلى الله عليه وسلم -، وأذن لهم في ذلك، وهذا منه - صلى الله عليه وسلم - إرشاداً لأئمة على ضرورة الاجتهاد مهما اختلفت الأزمان، كيف لا والأحكام التي تضمنها الكتاب العزيز، والسنة النبوية، فيها نصوص تحتمل إختلاف الأفهام، وفيها قواعد كلية بحاجة إلى تفصيل وبيان، فهذه القواعد، وتلك الأحكام هي التي خصها أئمة المذاهب بالبحث والدراسة والفقه، ولا فقه إلا بالاجتهاد، والاجتهاد عندنا واجب كفائي في كل عصر، فإذا لم يقم به أحد أئمة المسلمون جميعاً في ذلك العصر. ثم إن الصحابة كان عددهم كثيراً، فهل كانوا جميعاً فقهاء يستنبطون من نصوص الكتاب والسنة؟، أم كان منهم المجتهد، ومنهم المقلد، ومنهم المكثّر، ومنهم المقلد! والتابعون كذلك. والفقهاء على مدار التاريخ الإسلامي كثر، ولكن أئمة المذاهب اعتنى بهم تلاميذهم ودونت آراؤهم، وهم جميعاً على إختلاف طرقهم في الاستنباط رائدهم الحق والوصول إليه، ولا يرى الواحد منهم غشاً في الرجوع عن قوله، إذا تبين له وجه الصواب في غيره، فاقوالهم ليست رحيماً. أما ما قاله الشيخ محمد أطفيش عن انتشار المذهب المالكي في الأندلس، فلنستمع إلى ما يقوله الشيخ أبو زهرة عن انتشار هذا المذهب، حيث قال: (وفي الأندلس كان المذهب المالكي صاحب السلطان وقد قالوا: إن أهل الأندلس أخذوا بمذهب الأوزاعي الذي كان فقيه الشام أمداً، حتى جاء المذهب المالكي فاستولى عليها، ولقد استوثق المذهب بسلطان الدولة عندما ولي القضاء يحيى بن يحيى الذي كان مكيناً عند أميرها، فكان لا يوالي إلا من فقهاء ذلك المذهب، وقد قال ابن حزم الأندلسي

(١) تفسير الطبري ١٨/٤٢٣.

(٢) تفسير الضهير ٩/٢٣.

في ذلك : مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة ، والسلطان ؛ المحنفي بالمشرق ، والمالكي بالأندلس (١) . وذكر القاضي عياض : أن أول من أدخل إلى الأندلس موطأ مالك هو زياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشيطون ، والذي أخذ العلم على يد الإمام مالك ، توفي سنة (١٩٣ = ٨١٨ هـ) . (٢) أما ما عير عنه الشيخ بالهروب إلى مصر بالنسبة إلى الإمام الشافعي ، فالشافعي لم يلق عصا الترحال منذ نشأته ، واستفاد من ذلك خبرة وعلم ، ولم يقم الشافعي في بغداد طويلا خاصة في عهد المأمون . وأما عن سبب خروجه من بغداد إلى مصر ؛ فيوضحه لنا الشيخ أبو زهرة حيث يقول ما ملخصه : في سنة (١٩٨ هـ) ، آلت الخلافة إلى المأمون بن الرشيد ، وصارت الغلبة للعنصر الفارسي ، وما كان بهذا القرشي أن يرضى المقام ثم إن المأمون كان من المتكلمين فأدنى إليه المعتزلة ، واعتبر نفسه منهم ، والشافعي يفر من المعتزلة ، ومناهج بحثهم ، فما كان لمثل الشافعي أن يرضى المقام معهم ، فلا بد من الرحيل إلى بلد آخر ، فوجد بغية في مصر ؛ لأن بها تلاميذ مالك ، وإقامة الليث بن سعد ، ولأن واليها قرشي عباسي . وقد قال ياقوت الحموي في معجم الأدياء : كان سبب قدومه إلى مصر ، أن واليها العباس (٣) بن عبد الله بن موسى بن عباس وفرض له الوالي عطاء .. أما ما رمي به الإمام أحمد في محنته في خلق القرآن ؛ فإنه من المعلوم أن الإمام أحمد ممن يكره علم الكلام ومسائله ، ولكنه أجبر عليه إجباراً ، وصبر في سبيل الدفاع عن الحق ، وتحمل الضرب بالسياط ، والأغلال بالأصفاد ، واستهان بكل ذلك ، ولم تلن له قناة حتى هبأ الله له من أكرمه سنة (٢٣٤) ، وأخرجه من السجن ، وتوفي خارجة سنة (٢٤١ هـ) ، وشيعته بغداد كلها تقديرا لعلومه ، وتكريما لسنة رسول الله ، وعلم السلف الصالح الذي كان يجمعه ذلك الإمام الجليل (٤) . وأخيرا فإن من النصف في القول أن نقول : إن هؤلاء الأئمة أوقفوا أنفسهم للعلم والتعلم ، والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله ، وتحملوا في سبيل ذلك ما تحملوا . فلا يجب الظن بهم إلا خيرا . وخطاؤهم في الاجتهاد لا يبيح النيل منهم ، أو التشفي بهم ، وحق على كل مسلم ألا يخرج من صفة الإسلام وبسره إلى قوالب ضيقة يصهر فيها نفسه ،

(١) محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية محمد أبو زهرة ٢٤٢.

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض مطبعة الشمال الإفريقي الرباط ١٣٢٢/٣ وقد فصل في كيفية دخول المالكية إلى الأندلس.

(٣) محاضرات في تاريخ المذاهب ٢٥٨-٢٦٠.

(٤) المصدر السابق ٣٣٥.

العلماء على أن المتعة حرام (١). وقال الشيخ الشنيطي في أضواء البيان : لو سلمنا تسليماً جديلاً أن الآية تدل على إباحة نكاح المتعة ، فإن إباحتها منسوخة كما صحح نسخ ذلك في الأحاديث المتفق عليها (٢).

الزواج من الكتابيات :-

لقد عرض الشيخ لهذه المسألة وناقشها مناقشة علمية هادئة ، فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَ ﴾ . سورة البقرة آية (٢٢١) . حيث قال ما مجمله : لا تزوجوا أيها المؤمنون (المشركات) ، ولو كتابيات ذميات ، جروا على تحريم الكتابيات الذميات كغيرهن ، ثم نزل نسخ تحريمهن ، بقوله تعالى ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ سورة المائدة آية (٥) ، وبقيت الكتابيات المحاربات ، وسائر المشركات على التحريم ، ولو اقرنت الآيتان قلقت إن ذلك تخصيص للمعصوم ، كما شهر في المذهب . وعند الشافعي أن ذلك من تخصيص العام ، ولك أن تقول لا نسخ ولا تخصيص بل المشركات في الآية غير الكتابيات ؛ لأنه كثر في القرآن مقابلة المشركات بالكتابيات ، كقوله تعالى ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ سورة البينة آية (١) . ولو كان أهل الكتاب أيضاً مشركين ، لقوله سبحانه ﴿ عَمَّا يَشْرِكُونَ ﴾ سورة التوبة آية (٣١) وأجاز بعض قومنا نكاح الحريرات الكتابيات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ، وليس بشيء ، ونص ابن عباس على المنع وهو الصحيح .

وقالت الأمامية من الروافض ، وبعض الزيدية : إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ والصحيح أنه تخصيص من هذه الآية العامة . (٣) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَطَعَّامَكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ المائدة (٥) . قال ما ملخصه : لا يجوز عندنا تزوج الأمة الكتابية ولا التسري بها ، وأجاز ابن عباد منا تسريها ، وأجاز أبو حنيفة تزوجها ، ومنع الشافعي تزوجها وتسريها مثلنا لقيد الإحصان . ولا تحل الحرة ولو حره عندنا وهو قول ابن عباس بعد ثبوتها ، ولأن التزوج بر ، وقد قال الله جل وعلا ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ

(١) تفسير القرطبي ١٣٠/٥ قال مكي في الإيضاح عند هذه الآية (والظاهر أنها سمكتها مخصصة منه بآية المائدة في جواز نكاح الكتابيات) ١٦٩ .

(٢) أضواء البيان - الشنيطي ٣٨٦/١٢ انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب النكاح باب نكاح المصة ١٢٩/٩ . ١٩٠-

(٣) تفسير التفسير ٢٣٨-٢٣٩/١ .

الذين قاتلوكم ﴿ المسحنة (٩) . وقال ﴿ لا تجد قوما ﴾ المجادلة (٢٢) . وقال : ﴿ ومن آياته أن خلقنا لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ الروم (٢١) وكيف يكون الود، والرحمة للكافرة هذا ما اختاره الشيخ . (١) وهذه مسألة خلافية بين والمذاهب . وقد أجمع الجمهور على إباحتهم الزواج بالكتابات ، وذهب بعضهم إلى الكراهة، أما الحرية فيحرم تزوجها عند الحنفية إذا كانت في دار الحرب ، وتكره عند غيرهم (٢) .

المسح على الخفين : - ينكر الإباضيون المسح على الخفين ، وعلى هذه الطريقة صار الشيخ محمد أطفيش في تفسيره ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ المائدة (٥) . حيث قال : (وأرجلكم) عطف على وجوه أو أيدي فهي مفسولة كما جاءت به السنة ، وعمل الصحابة ، وهو قول الجمهور ، وكما جاء الحد بقوله تعالى : ﴿ إلى الكعبين ﴾ ولم يجه في المسح الحد ... ثم إن كانت تمسح فقد نسخ مسحها بالحديث . قال عطاء : والله ما علمت أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين ، وعن عائشة رضي الله عنها : لأن تقطعا أحب إلي من أن تمسحا . وهكذا نجد الشيخ يتصر لرأي مذهبه ، ويعتمد على أقوال وردت بهذا الصدد ، ويترك ما تواتر من أحاديث ، وما اعتمد عليه جمهور الفقهاء ، فقد روى الإمام البخاري ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه مسح على الخفين ، وأن عبدالله بن عمر سأل عمر رضي الله عنه عن ذلك ، فقال : نعم ، إذا حدثك سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تسأل عنه غيره . وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه خرج لحاجته فاتبعه المغيرة بأدواء فيها ماء ، فصب عليه حين فرغ من حاجته ، فتوضأ ومسح على الخفين . (٣) وكذلك روى الإمام مسلم (٤) عن المغيرة ، وعن بلال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين ، وعن جرير أنه قال ثم توضأ ومسح على خفيه فقبل له تفعل هكذا قال نعم رأيت رسول الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه . قال إبراهيم : كان يعجبهم هذا الحديث ، لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة . ونقل لنا الإمام ابن حجر ، عن ابن المنذر ، وابن المبارك قولهما : ليس في المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف ، لأن كل من روي عنه منهم إنكاره ، فقد روي عنه أثباته ، وقال ابن عبد البر : لا أعلم ، روي عن أحد من فقهاء السلف

(١) تفسير التفسير ٣/٢٦

(٢) انظر المغني لابن قدامة حيث ذكر الخلاف في المسألة وأشار إلى اتفاق الجمهور على حله ٧/٥٠٠ ، أحكام

القرآن للجصاص ٢/١٥٠ ، الفقه الإسلامي وأدلة أهله ٧/١٥٤-١٥٥ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الوضوء باب المسح على الخفين ١/٣٦٥

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٣/١٦٤ .

انكاره الا عن مالك ، مع أن الروايات الصحيحة عنه مصرحة بإثباته، وقد صرح جماعة من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر، وجميع بعضهم رواه فجارزوا الثمانين ، ومنهم المشرة ، وفي ابن أبي شيبة وغيره عن الحسن البصري . حدثني سبعون من الصحابة بالمسح على الخفين . (١) وقال الإمام الشوكاني : (٢) وقد نسب القول بمسح الخفين إلى جماعة الصحابة ، وما روي عن عائشة ، وابن عباس ، وأبي هريرة من انكار المسح . فقال ابن عبد البر : لا يثبت . قال أحمد : لا يصح حديث أبي هريرة في انكار المسح وهو باطل ، وما روي عن عائشة أنها قالت : لأن أطلع رجلي أحب إلي من أن أمسح عليهما ، ففيه محمد بن مهاجر ، قال ابن حبان : كان يضع الحديث.

من أصبح جنباً في رمضان : أشار الشيخ محمد أطفيش - رحمه الله - إلى هذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ البقرة (١٨٧) حيث قال : (حتى) غاية للأكل والشرب لا لهما وللجماع لقوله صلى الله عليه وسلم (٣) : (من أصبح جنباً أصبح مفطراً) (٤)، فيجب الكف عنه إذا لم يبق ما يظهر فيه . وهكذا رجح الشيخ آراء مذهبه وانتصر له بما استند إليه من هذا الحديث ، وهو بذلك يخالف جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ، والأئمة الأربعة الذين ذهبوا إلى أن من أصبح جنباً يكون صيامه صحيحاً ، واستدلوا بحديث عائشة ، وأم سلمة - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم - (كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم) (٥) . وأما الحديث الذي استند إليه الشيخ فقد أجاب عليه الجمهور أنه منسوخ أو هو محمول على من طلع الفجر عليه وهو مجامع فاستدام ، أو هو أمر إرشاد إلى الأفضل ، فإن الأفضل أن يغتسل قبل الفجر ، ولو عالف جاز (٦) وقال الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ ﴾ البقرة (١٨٧) فإنه لما مد إباحة الجماع إلى طلوع الفجر فبالضرورة يعلم أن الفجر يطلع عليه وهو جنب ، وإنما يتأني الغسل بعد الفجر . (٦)

(١) فتح الباري ١/٣٦٠.

(٢) نيل الأوطار . للشوكاني ١/١٧٧.

(٣) رواه بمناه الإمام أحمد عن أبي هريرة رقم الحديث (٧٣٨٢) ص ٢/٢٤٨ . وأورده ابن حجر في الفتح وذكر أقوال العلماء فيه ٤/١٧٥.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الصيام باب ٢٥ لغسل الصائم رقم الحديث ١٩٣٠ ١/١٨١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصيام باب صفة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٨/٢٢٠.

(٥) نيل الأوطار ٤/٢١٣ ، النووي ٨/٢٢١ ، الفتح ٤/١٧٥.

(٦) تفسير القرطبي ٢/٣٢٥.

رفع اليدين ووضعهما في الصلاة :

لقد سار الشيخ أطفيش على مذهب الإباضية في عدم رفع اليدين مع التكبير في الصلاة ، وعدم وضع اليمنى على اليسرى ، ونفى أن يكون هناك حديثاً صحيحاً يكون حجة لمن قال بذلك . يقول عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَب ﴾ الشرح (٢) . وكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى البيت رفع يديه ، ويقول : ترفع الأيدي إذا رؤية البيت ، وعلى الصفا والعروة ، وعشية عرفة ، وفي جمع ، وعند الجمرتين ، وعند المبت ، وزاد قومنا - يعني أهل السنة - عند تكبيرة الإحرام (١) . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَصَلْ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ الكوثر (٧) . يقول : وفي البيهقي والحاكم ، وابن مردويه (سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن النحر جبريل عليه السلام - فقال : ارفع يديك أي إلى نحرك عند كل تكبيرة في الصلاة ، وإن ذلك صلاتنا معشر الملائكة وزينة الصلاة) . قلنا هذا حديث موضوع لو صح للزمه النبي - صلى الله عليه وسلم - أو أكثر منه في صلواته ، وكذلك الصحابة ، ولم نجد حديثاً صحيحاً في أنه فعله ولا في صحته ، ثم رأيت ابن كثير (٢) قال : إنه حديث منكر جداً ، وابن الجوزي قال : إنه موضوع ، وكنا حديث ابن جرير عن أبي جعفر (٣) مرفوعاً ، أنه رفع اليدين عند تكبيرة افتتاح الصلاة ، وحديث البخاري وغيره ضع بمناك على بسراك ، ثم وضعهما على صدرك في الصلاة ، كل ذلك موضوع لا يصح (٤) لا شك أن الشيخ كما هو واضح يحاول تعمية هذه المسألة وخطئها ، فالاحاديث التي نقلها أولاً ، صحيح أنها لا تخلو من ضعف ، كما نقل عن ابن كثير وابن الجوزي ، مع أن ابن كثير لم يحكم على الحديث بأنه منكر جداً كما زعم الشيخ ، وإنما قال : بعد أن ساق الحديث الذي استشهد به الشيخ وساق ، ورواية أخرى . وكل هذه الأقوال غريبة جداً ، والصحيح إن المراد بالنحر ذبح النسك . ولكن الشيخ محمد أطفيش من أجل مناصرة مذهبه لم يكتف بذلك بل حكم على الاحاديث التي اعتمدها أهل السنة بالوضع ؛ مع أنها في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . حيث قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع

(١) تفسير المنير ١٥/٢٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٥٥٨.

(٣) تفسير الطبري ٣٠/٢١٠-٢١١.

(٤) تفسير المنير ١٥/٣٦٨. لقد رأينا سابقاً كيف أنه يخالف مع جاء في الصحيحين ، إذا عارض ما يرويه.

يديه حتى يكون حذو منكبيه، ويفعل ذلك حين يكبر للركوع ، وإذا رفع رأسه من الركوع (١) . قال الإمام القرطبي بعد أن ساق هذا الحديث: قال ابن المنذر : وهذا قول الليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبي ثور ، وحكي ابن وهب عن مالك هذا القول ، وبه أقول لأنه الناهية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، وقال الإمام النووي : أجمعت الأمة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام ، واختلفوا فيما سواها ، فقال الشافعي ، وأحمد ، وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم يستحب رفعهما أيضا عند الركوع والرفع منه، وهو رواية عن مالك ، وقال أبو حنيفة لا يستحب رفعهما في غير الإحرام (٣) أما وضع اليمنى على اليسرى فهو ثابت كذلك في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ، حيث قال كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة . قال أبو حازم لا أعلمه إلا ينمي (يسند) ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم . (٤) وفي صحيح مسلم عن وائل بن حجر أنه رأى رسول الله وضع يده اليمنى على اليسرى حين دخل في الصلاة (٥) قال ابن حجر بعد أن ساق هذا الحديث : قال ابن المنذر : لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه خلاف ، وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين ، وهو الذي ذكره مالك في الموطأ ، ولم يمسك ابن المنذر عن مالك غيره ، وروى ابن القاسم عن مالك الإرسال ، ثم قال : قال العلماء في هذه الهيئة أنه صفة السائل الذليل وهو أمتنع من العبث ، وأقرب إلى الخشوع ، وكأن البخاري لحظ ذلك فعبه باب الخشوع (٦)

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الأذان باب رفع اليدين مع التكبير رقم الحديث ٧٣٦ من ٥٦/٢ ، ورواه كذلك مسلم في كتاب الصلاة باب استحباب رفع اليدين حذو منكبيه ٩٣/٤ - ٩٤ . ورواه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة باب احتياح الصلاة ٧٥/١ .

(٢) القرطبي ٢٢١/٢٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٥/٤ .

(٤) فتح الباري كتاب الأذان باب ٨٧ رقم الحديث ٧٤ . من ٢٦٢/٢ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٤/٤ ، ورواه الإمام أحمد ٣١٧/٤ .

(٦) فتح الباري ٢٦٣/٢ .

خاتمة

هذا التفسير ما عليه وماله .

- ما عليه

لقد من الله سبحانه علي وصاحبت الشيخ محمد أطفيش من خلال تفسيره أكثر من سنة ونصف ، حاولت خلالها أن أتعرف على حياته ، وبيئته التي أحاطت به ، كما حاولت أن أكشف عن منهجه في التفسير من خلال تفسيره

(تيسير التفسير) . وكان من نتيجة هذه الدراسة أنها سجلت عليه بعض المآخذ ، ويعلم الله . سبحانه . كم للشيخ من فضائل ؛ ولكن الحق أحق أن يتبع وعمل الشيخ جهد بشري فلا بد أن يعثره ما يعثره البشر ، فلم يخل من سلبيات لو لم توجد فيه لكان أجدي وانفع وأوسع انتشاراً ، فمن أهم المآخذ التي أنعت على هذا التفسير بمايجاز :-

١- توسعه في الإسرائيليات :

من أخطر المآخذ التي سجلها البحث على الشيخ تساهله في قبول الإسرائيليات حيث رصد موقفه منها فكشف عن مشاركته لكثير من المفسرين الذين تسربت هذه الإسرائيليات إلى تفاسيرهم ، حيث أطلق الشيخ لقلمه السؤال أن يسطر ما بدا له من عرافات تتعارض مع العقل والمنطق فضلاً عن أنها لا تستند إلى برهان أو دليل وتركها دون تعليق أو نقد.

٢- كثرة الاستطرادات والتوسع في ذكر قضايا لا علاقة لها بالتفسير .

مع أن الناظر إلى عنوان هذا التفسير يتصور أن كله حديث عن التفسير بأملوب سهل ميسر إلا أنك عندما تأخذ في قراءته تلاحظ سيلاً من المعارف والعلوم الخارجة عن علم التفسير ولا تدعو إليها الحاجة ، فإذا تكلم في موضوع فصل فيه القول ، وتصورت أن الكتاب في ذلك العلم ، زد على ذلك أنه كان يقحم نفسه في موضوعات وفرضيات علمية اختلفت فيها الآراء قديماً ، والبحث فيها ضرباً من الظن ، ولم يقرأ العلم الحديث بل أثبت بطلانها .

٣- الفكرة التي صاحبنا في هذه الدراسة ومع كل فصل من فصولها هي ظهور أثر مذهب الإباضي ومنهجه العقلي ، وثقافته الكلامية ، فقد تبع الشيخ أفكار مدرسة الإباضية بديقتها وجليلها ، وفسر الآيات وفق فهمها ، وتصدى للرد على مخالفيه ومناوئيه ، وعاض معهم معارك جسيمة وشن هجومات وغارات على جبهات مختلفة ، وعلى قواعد خصومه الفكرية ووسيلة في ذلك المجادلة والمناظرة .

٤- ومما سجله هذا البحث على الشيخ موقفه من الأحاديث التي تخالف مذهبه ، حيث

قام بالتخصّص من كثير من الأحاديث الشريفة التي استند إليها مخالفه بإنكارها أو حكم عليها بالوضع وفي أحسن الأحوال يقول : الله أعلم بصحته فإن صح فمعناه كذا وكذا مما يوافق مذهبه. وفي الوقت الذي ينكر فيه بعض الأحاديث الواردة في الصحيحين ، والتي قد تبلغ حد التواتر تراه يستشهد بأضعف الأحاديث التي تناصر ما ذهب إليه ، ثم إنه يورد كثير من الأحاديث دون تخريجها أو الحكم عليها ، فضلاً عن روايته لبعض الأحاديث بالمعنى ردون الإشارة إلى أن هذا المعنى حديث ، زد على ذلك تحفظه من الاحتجاج بالحديث النبوي في مجال اللغة والنحو.

٥٥ عدم دقته في عرضه وترتيبه للتفسير، فإن حسن التنظيم ، والترتيب والعرض من الوسائل الضرورية المشوقة التي يجب أن تراعى عند الكتابة والتصنيف ، وكسب التفسير - بوجه خاص - أحوج ما تكون إلى تحقيق هذه العناصر لتنوع مادتها. والشيخ ألقميش لم يحالفه الحظ في تحسين شكل التفسير ، وتنسيق مادته ، فجاء التفسير مشوشاً غير مرتباً ومماثلة مغرقة مختلفة ، فبدأ بالسورة فلا تعرف بدايتها من نهايتها ، وينتقل من غرض إلى غرض ويتكلم عن موضوع في مكان ثم يعود إليه في مكان آخر واختلطت مادة هذا التفسير مع التنبيهات والتعليقات والأبحاث ، والأحكام والقصص والدقائق واللطائف فضلاً عن الأخطاء المطبعية ، والتصحيح والتحريف وعدم ترقيم الآيات ؛ لذلك كله فقد هذا التفسير عنصر التشويق والإقبال عليه .

٥٦ ومن المآخذ التي سجلت على الشيخ نقله كلام غيره مستشهداً به ، أو ناقلاً إياه دون أدنى إشارة وأحياناً يقول : قال بعض المفسرين أو قال بعضهم....

مائه :

ورغم المآخذ التي سجلها هذا البحث عن الشيخ في هذا التفسير ، فإن له مواقف تحسد، قل أن توجد في غيره وما أكثرها ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ هود (٦١٤) فمن محاسن هذا الكتاب :

١- تناول مسائل اللغة والنحو فقد رأينا الشيخ في هذا التفسير يحلق في سماء العربية ليصيب شيئاً من نجومها ، ويفوص في بحر الضاد ليلتقط درراً من أصلدائها ويتفنن في لغتها فنناً يدل على ثرائه واقتداره في أركان هذا العلم ، بظهر ذلك من خلال عنايته ببلاغة القرآن ، وإعجازه البياني واهتمامه باللفظ القرآني وبما يدل عليه من قضايا ، ويستنبط منه من أحكام واستشاده بالأشعار والأمثال...

٢- ومن محاسنه كثرة النقول التي أوردها في تفسيره ، ررواية عن الصحابة أجمعين فلم يقتصر على فئة معينة بل روى عن جميع الصحابة بما فيهم علي وعثمان ثم نقله عن المفسرين والقراء والتحويين واللفويين والبلاغيين والأصوليين والفقهاء .. وغيرهم بالإضافة إلى ما نقله عن أهل مذهبه ولم يكن الشيخ مجرد ناقل لهذه الأقوال بل كان يناقشها في أغلب الأحيان مناقشة

عليه تظهر منزلة وبراعته في التفسير وقد أجاد الشيخ في صنيعة ، هذا لما فيه من الإطلاع على آثار العلماء والمفسرين .

٣- ومن مزايا هذا التفسير ، بعد الشيخ عن التفسير الإشاري الباطني الذي استعملته الصوفية ظانين أن التصور ليس على ظاهرها بل لا بد لها من معانٍ لا يعرفها إلا ذو العلم الباطني وأن الظاهر غير مراد ، فرد الشيخ مثل هذه التفسير ورأى فيها مخالفة للعقل ولا يرتضيها الشرع وأنها دعوي لا دليل عليها . وشنع على الثعالين بها .

٤- ومما يحمد للشيخ في هذا التفسير شخصيته التي تظهر بوضوح عند معالجته لكثير من القضايا المختلف عليها ، فقد ملك الشيخ قدرة حوارية وحجة بالغة ، وجراً فيما يراه حقاً واستخدم الشيخ هذه المزايا في الرد على أصحاب الديانات المنحرفة ودحض معتقداتهم وأثبت خطأ ما يؤمنون به .

٥- استطاع الشيخ أن يسخر ثقافته الواسعة وتبحره في العلوم المختلفة لخدمة أغراض التفسير كعلم الفقه وعلم الأصول ، وعلم النحو والبلاغة ، والفلك والتاريخ ، العقائد ، والكلام .

٦- تفسير الشيخ يمثل العصر الذي عاش فيه (فقد عاش في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأربعة عشر عاماً من القرن العشرين) وهذه الفترة من أخرج الفترات التي مرت بها الأمة الإسلامية . وناقشها الشيخ في تفسيره بكل ما فيها من محاسن ومساوئ وعكس لنا صورة ما تعيشه الأمة من أحداث ومتغيرات ، وما تعانيه من مشكلات اجتماعية وسياسية فكافح وناقح في سبيل توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم في ظل الخلافة العثمانية ، التي كانت هدفاً للاستعمار وكان الشيخ من بين الثقات الذين يدركون خطر الاستعمار وينهبون إلى ذلك . فوظف الشيخ فهمه للآيات لعرض ما تعانيه الأمة ، ومحاولة التركيز على ما أورده القرآن الكريم من حلها وهو بهذا يشابه اتجاه المدرسة الحديثة في التفسير .

٧- معالجته للقضايا الفقهية وآيات الأحكام فقد ظهر الشيخ في هذا التفسير فقيها متبحراً حاز أسس الاجتهاد واقتدر على توجيه الآراء ، وعرض إلى جانب مذهبه الإباضي لفقه المقارن فكشف عن العديد من مذاهب العلماء ، وآرائهم الفقهية وأظهر بعض قيم الأحكام والتوجيهات السلوكية التي تؤخذ من الآيات وتعرض لبعض أصول الفقه ، فحقق بذلك كله ثروة فقهية طائلة .

٨- محاولة الشيخ التركيز على التفسير الموضوعي فقد ظهرت في هذا التفسير عناية صاحبه بإظهار القرآن الكريم لحمة واحدة واهتمامه بربط الآيات التي تتحدث عن موضوع معين بعضها ببعض .

ب - في ضوء هذه الدراسة لتفسير الشيخ محمد أطفيش (تيسير التفسير) أود أن أسجل

هذه التنبهات والاقتراحات.

— هناك من يجعل تفاسير الفرق الإسلامية من التفسير بالرأي المذموم ويصنفونها ضمن التفاسير المنحرفة المبتدعة ، وهذا التعميم في الحكم لا يتسم بالعلمية والموضوعية ، ولعل المنهج الحق أن ننظر إلى هذه التفاسير أنها من تراثنا العلمي ، وأن نجعل مصنفها ، وبعد أن نتفحص ما فيها ونبذل الجهد في تمييز صوابها من خطئها بعد ذلك نحكم على الموضوع الذي جاء فيه الإنحراف أو الخلل ، خاصة العلماء المعاصرين في دراستهم المنهجية التي يجب أن يتعدوا عن الصراع المذهبي ، واللجاجة والغضب . فحق على أهل العلم أن يجتهدوا ، وقد تختلف وجهات النظر ، ولكن لا يجوز أن يشي عليه شقاق ، أو تنامي بسببه الاحقاد . ومعلوم أن الحق ليس حكراً على أحد أو على مذهب أو مذهب ، والنقد ، وإبداء الملاحظات لا يجعل الحق حكراً للناقض ، ويسوغ لأصحابه استحلال أعراض المسلمين والنيل منهم لا سيما العلماء والدعاة ، وإن هناك رجالاً أفذاذاً ، وعلماء أجلاء خدموا هذا الدين ، وبلغوا من العلم مبلغه ، وقدم صدقهم في الدعوة راسخة ، وهم أهل لكل ثناء ، ولكنهم غير معصومين ، فحقهم أن لا نغفلهم فيهم ، ونبرر أخطاءهم كما لا يحق لنا أن نجفهم ، ونلمس أخطاءهم وننكر جهودهم ، وكل إنسان يزعم من قوله ويترك ، وفرق بين نقد عالم من علماء المسلمين له باع في العلم والدعوة ، وبين رد على ملحد متجن ، أو مستشرق حاقد .

- يجب إيقاف حركة التمزيق الفكري ، والقضاء على الانحياز المذهبي الطائفي فالمسلمون جميعاً هم الجماعة ، وولاء المسلم لا يكون إلا لدين الله ، ونهج رسول الله . وليست علي هذا الولاء على كل إثماء وانتساب ولتجميع الأمة بكل قائمها على دعائم الحب في الله والأخوة الإسلامية . من هنا تكون بدايات التصحيح ولم الشمل وقصد الحق المبين.

- وفي نهاية هذه الدراسة اسجل اقتراحي أن يسر هذا التفسير كما أراده مصنفه ، وأن يحقق تحقيقاً علمياً ، وأن يطبع طباعة جديدة ويخرج للمكتبة القرآنية بصوره أدق ترتيباً وتنظيماً ، وأن يبه على ما فيه من سلبيات ، وأن تُعزى الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها وتوضع بين قوسين ، وتخرج فيه الأحاديث الثبوتية وتحقق الأخبار والمرويات ، ويعلق على الإسرائيلية ، ويذيل بفهارس تفصيلية متكاملة تساعد الباحثين والمتعاملين مع هذا التفسير ، وإلا فانه بصورته الحالية لا يحقق الغرض المنشود منه ويتعب كل من يفامر يقراءه.

وفي النهاية أسأل الله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن لا يجعل فيه نية لأحد كما أسأله أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين إنه جواد كريم وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين .

فهرس المصادر والمراجع

- ابراهيم خليل بركة ابن تيمية وجهوده في التفسير - المكتب الاسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٤.

- ابراهيم محمد الباجوري شرح جوهرة التوحيد - تحقيق مجموعة من العلماء دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣.

- أحمد أحمد بدوي من بلاغة القرآن - دار النهضة مصر القاهرة ١٩٥٠.

- أحمد أمين ضحى الإسلام - مطبعة النهضة المصرية الطبعة السابعة بدون تاريخ .

- أحمد بن تيمية مقدمة في أصول التفسير تحقيق د. عدنان زررور دار القرآن الكريم .
الطبعة الأولى ١٩٧٣.

- أحمد بن تيمية الفرقان بين الحق والباطل تحقيق حسين غزال دار احياء العلوم بيروت ١٩٨٣.

- أحمد بن تيمية الايمان خرّج أحاديثه ناصر الألباني دار المحمدي بيروت ١٩٨٦.

- أحمد بن تيمية مجموع الفتاوى جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم مكتبة المعارف الرباط.

- أحمد بن تيمية الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان تعليق محمود فايد نشر رئاسة البحوث السعودية.

- أحمد بن حمد الخليلي الحق الدافع - بدون ذكر للطابع والسنة .

- أحمد بن حمد الخليلي جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل - مكتبة الاستقامة سلطنة عُمان الطبعة الأولى ١٩٨٤.

- أحمد بن حنبل - مسند الامام أحمد - مؤسسة قرطبة ١٩٧٨ .

- أحمد عطية - القاموس الاسلامي - مكتبة النهضة - مصر ١٩٦٣ .

- أحمد بن محمد البنا - اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر - تحقيق د/شعبان

- اسماعيل - مكتبة الكليات الأزهرية وعالم الكتب بالقاهرة / بيروت ١٩٨٧ .
- أحمد محمد صبحي - علم الكلام دراسة فلسفية لأداء الفرق الإسلامية - دار النهضة بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٥ .
- أحمد مسعود - منهج الخطيب الشربيني في التفسير - أطروحة ماجستير الجامعة الأردنية .
- أحمد مصطفى المراغي - تفسير المراغي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي . الطبعة الثالثة - ١٩٩٢ .
- أحمد الهانسي - جواهر البلاغة في (المعاني والبيان والبدع) - دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية عشر .
- الأزكوي - أبي جعفر محمد بن جعفر - الجامع - مطبعة عيسى البابي - مصر .
- الأسفرايني - العظفرت - التصنيف في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين - تحقيق محمد الكوثري الطبعة الأولى .
- الأشعري - أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - دار إحياء التراث - عني بتدقيق هلموت ديتز . الطبعة الثالثة .
- الأشعري أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري الإبانة عن أصول الديانة - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٥ .
- الألويسي - شهاب الدين أبي الفضل الألويسي - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٣ .
- الأنباري - عبد الرحمن بن محمد الأنباري - الانصاف في مسائل الخلاف - دار الفكر بيروت بدون تاريخ .
- الأمدي - سيف الدين أبي الحسن الإحكام في أصول الأحكام تحقيق سيد الجميلي دار الكتاب العربي ١٩٨٤ .
- الأيجي عضد الدين عبد الرحمن أحمد - المواقف عالم الكتب ، دون ذكر للطبعة والسنة

• الباقلائي - أبي بكر بن الطيب - اعجاز القرآن - تحقيق أحمد صقر - دار المعارف مصر
الطبعة الثالثة .

• الباقلائي الانصاف تحقيق محمد الكوثري ط ٢

• البغدادي - عبد القادر عمر البغدادي - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - تحقيق عبد
السلام هارون - الهيئة المصرية العامة - الطبعة الثانية - ١٩٧٩ .

• البغوي - أبي محمد الحسين بن سمود - معالم التنزيل - تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك
ومروان سوار - بيروت دار المعرفة - ١٩٨٦ .

• أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله - المواصم من القواصم - تحقيق محي الدين
الخطيب - دار اسامة بن زيد بيروت - بدون تاريخ .

• احكام القرآن تحقيق علي محمد البيجاوي دار الفكر بيروت ١٩٨٤ .

• بكير بن سعيد أعوش - درامات اسلامية في الأصول الإياضية - مطبعة البحث قسنطينة -
١٩٨٢ - الطبعة الثالثة .

• البيهقي - الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - السنن الكبرى - مكتبة الباز للنشر
والتوزيع عن طبعة الهند - ت ٤٥٨ .

• الأسماء والصفات تحقيق محمد زاهد الكوثري دار أحياء التراث .

• الترمذي - أبي عيسى محمد بن عيسى - سنن الترمذي تحقيق كمال يوسف الحوت - دار
الفكر بيروت .

• الجبوري - أبو اليقظان عطية الجبوري - درامات في التفسير ورجالة - دار الحرية
للطباعة بغداد - الطبعة الثانية ١٩٧٧ .

• الجصاص - أبي بكر أحمد بن علي الرازي - أحكام القرآن تحقيق محمد الصادق دار
أحياء التراث - بيروت - بدون تاريخ .

• أبو جعفر النحاس - محمد بن أحمد الصفار المرادي المعروف بأبي جعفر النحاس

- الناسخ والمنسوخ في القرآن - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى - ١٣٢٣ .
- الحرجاني عبد القاهر - اسرار البلاغة (في علم البيان) - محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت ١٩٧٨ .
- الحرجاني دلائل الإعجاز (في علم المعاني) محمد رشيد رضا دار المعرفة ١٩٧٨ .
- ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد النشر في القراءات العشر تصحيح علي محمد الضباع دار الفكر .
- ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد منجد المقيدين ومرشد الطالبين ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠ م .
- ابن الجزري طبقات القراء عن بشره ج برجستراسر الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .
- جمال أبو حسان ابن عاشور ومنهجه في التفسير أطروحة ماجستير بالجامعة الأردنية ١٩٩٢ .
- جميل بن عيسى السعدي العثماني - قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة ، وزارة التراث القومي والثقافة - عمان - ١٩٨٣ .
- جمال الدين القاسمي ، معاسن التأويل تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء التراث بيروت الطبعة الأولى ١٩٥٧ م .
- جودة محمد المهدي - الواحدى ومنهجه في التفسير - نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ١٩٧٨ .
- جولد سيهر - العقيدة والشريعة في الإسلام - نقله إلى العربية مجموعة من العلماء دار الكتب الحديثة - مصر الطبعة الثانية ت ١٩٢٠ م .
- جولد سيهر مذاهب التفسير الإسلامي نقله إلى العربية عبد الحليم النجار دار اقرأ بيروت . ١٩٨٥ .
- الجويني - امام الحرمين - الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد - تحقيق د/ محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر ١٩٥٠ .

- الجيطاني - أبو الطاهر إسماعيل بن موسى الجيطاني النفوسي - قاطر الخيرات - وزارة التراث القومي والثقافة - عُمان ١٩٨٣ .
- ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين البغدادي تليس ابليس دار الفكر ١٣٦٨ هـ .
- الحاكم النيسابوري - أبو عبد الله النيسابوري - المستدرک علی الصحیحین في الحديث مكتبة النصر الحديثة .
- ابن حجر - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني فتح الباری بشرح صحيح البخاري - تحقيق مجموعة من العلماء - دار الريان للتراث - المكتبة السلفية - الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .
- ابن حجر العسقلاني تهذيب التهذيب - دار الفكر بيروت ١٩٨٤ م .
- ابن حجر العسقلاني الإصابة في تميز الصحابة وهاشمه الاستيعاب - لابن عبد البر - دار احياء التراث العربي ، تقريب التهذيب تحقيق محمد عوامه دار البشائر بيروت ١٩٨٦ .
- ابن حزم - أحمد بن حزم الظاهري - الفصل في الملل والأهواء والنحل - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٥ .
- ابن حزم المحلى - مكتبة الجمهورية العربية مصر .
- حسن ابراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي الطبعة السابعة ١٩٦٤ .
- حسنين محمد مخلوف ، صفوة البيان لمعاني القرآن دار الفكر .
- أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف البحر المحييط دار احياء التراث ، بيروت الطبعة الثانية .
- ابن خالوية - مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع - عني ينشره ج برجستراسبرج برجستراسر دار الهجرة دون تاريخ .
- ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان تحقيق احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٨ م .

- مخطوطة الحديثي موقف النجاة في الاحتجاج بالحديث الشريف - وزارة الثقافة بغداد دار الرشيد للنشر ١٩٨٦ .
- ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والمعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٥٩ .
- الخطيب البغدادي أحمد بن علي الكفاية في علم الرواية دائرة المعارف العثمانية .
- خميس بن سعد الرستاق منهج الطالبين وبلاغ الراغبين تحقيق سالم بن حمد الحارثي - وزارة التراث العماني مطبعة الباني مصر دون تاريخ .
- خير الدين الزركلي الإعلام دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤ .
- الخياط أبو الحسن المعتزلي الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد تحقيق د . نبوخ دار الندوة الإسلامية بيروت ١٩٨٨ .
- الدارمي أبو محمد عبد الرحمن ت سنن الدارمي دار الكتب العلمية بيروت .
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني سنن أبي داود مطبعة الباني مصر .
- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد طبقات المشايخ بالمغرب تحقيق ابراهيم طلاي مطبعة البحث الجزائر .
- الداودي محمد بن علي بن أحمد الداودي طبقات المفسرين مكتبة وهبه القاهرة .
- الذهبي تميم الدين محمد بن أحمد تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تحقيق عيد السلام تدمري دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٩٨٧ .
- الذهبي سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون مؤسسة الرسالة بيروت .
- الذهبي تذكرة الحفاظ دار المعارف العثمانية الهند ١٩٠٧ .
- الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد ت المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد سيد كيلاني . دار المعرفة بيروت .
- الأصفهاني مقدمة جامع التفسير تحقيق د. أحمد حسن فرحات دار الندوة .

• الربيع بن حبيب الأزدي الجامع الصحيح مسند الربيع تحقيق الشيخ يوسف الوارجلاني ، مكتبة الثقافة .

• مرجب محمد عبد الحليم الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة مكتبة العلوم مسقط ١٩٩٠ .

• رمضان عبد التواب فصول في فقه العربية مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثانية .

• الزركشي بدر الدين محمد عبدالله البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار التراث القاهرة .

• أبو زكريا يحيى بن أبي بكر سير الأئمة وأخبارهم تحقيق اسماعيل العربي دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

• زكي مبارك التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق دار الجبل بيروت .

• الزمخشري محمود بن عمر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل رتبته مصطفى حسين أحمد دار الكتاب العربي ١٩٨٦ .

• سالم البيهنساوي الحكم وقضية تكفير المسلم دار البحوث العلمية الكويت ، دار البشير عمان الطبعة الثالثة ١٩٨٥ .

• سالم بن حمود شامس السيابي ، إزالة الوعناء عن اتباع أبي الشعثاء تحقيق د. سيدة اسماعيل مطابع سجل العرب القاهرة ١٩٧٩ .

• سالم السيابي أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج تحقيق سيدة اسماعيل وزارة التراث القومي عمان .

• السيكلي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب طبقات الشافعية الكبرى تحقيق محمود الطناحي وعبد الرحمن الحلو مطبعة البابي ١٣٨٣ .

• أبو السعود محمد بن محمد العمادي ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم دار احياء التراث العربي بيروت .

• سيد قطب في ظلال القرآن دار احياء التراث بيروت الطبعة السابعة ١٩٧١ .

- التصوير الفني في القرآن دار الشروق بيروت الطبعة الخامسة ١٩٧٩.
- ابن سلام الإيباضي الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إيباضية تحقيق رف. شفار تر، ومسلم بن يعقوب دار اقرأ بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- سليمان الباروني النفوسي مختصر تاريخ الإيباضية مكتبة الضامري مسقط عمان الطبعة الرابعة بدون تاريخ.
- سليمان بن عمر النعجلي حاشية الجمل على الجلالين المسمى (الفتوحات الإلهية) مطبعة مصطفى الباجي.
- سليمان بن داود بن يوسف الخوارج هم أنصار الإمام علي دار البعث الجزائر ١٩٨٣.
- السهمي تاريخ جرجان علم الكتب بيروت ١٩٨١.
- السيوطي جلال الدين السيوطي الدر المنثور في التفسير المأثور دار الفكر الطبعة الأولى.
- السيوطي المزهر في علوم اللغة تحقيق علي الباجوري وآخرين مطبعة الحلبي مصر.
- السيوطي تفسير الجلالين وبهامشه أسباب النزول دار الفكر بيروت.
- السيوطي الاتقان في علوم القرآن مكتبة الثقافة بيروت ١٩٧٣.
- السيوطي بقية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة تحقيق محمد أبي الفضل دار الفكر بيروت الشافعي محمد بن إدريس الأم دار الشعب.
- الشنقيطي محمد الأمين ت (١٣٩٣ هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الإفتاء الرياض السعودية ١٩٨٣.
- الشوكاني محمد علي الشوكاني إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول.
- الشوكاني نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار دار الفكر العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.
- الشهرستاني أبو الفتح محمد عبد الكريم الملل والنحل تحقيق محمد سيد كيلاني بيروت ١٩٦١.

- ابن أبي شيبة أبي بكر عبدالله بن محمد ت (٢٣٥ هـ) مصنف بن أبي شيبة ضبط كمال يوسف الحوت .
- صابر طبعية الإباضية عقيدة ومذهبها دار الجيل بيروت ١٩٨٦ .
- صدقي سليم محمد دراسة نقدية لتفسير الخازن أطروحة ماجستير بالجامعة الأردنية .
- الصفاقسي علي النوري غيث النفع في القراءات طبع بهامش مراجع القارئ المبتدي دار الفكر بيروت ١٩٧١ .
- صالح بن أحمد الصوافي الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة وزارة التراث القومي عمان ١٩٨٣ .
- ابن الصغير - القرن الثالث الهجري - أخبار الأئمة الرسميين تحقيق محمد ناصر ابراهيم النجار دار الغرب الإسلامي . ١٩٨٦ .
- الصاوي أحمد الصاوي المالكي حاشية العلامة الصاوي على الجلالين دار إحياء الكتب العربية مصر .
- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ١٦٦ معجم الطبراني الكبير تحقيق حمدي السلفي بغلاد مطبعة الأمة وزارة الأوقاف .
- الطبري أبو جعفر جامع البيان في تفسير القرآن دار الجيل بيروت ١٩٨٧ تاريخ الأمم والملوك المطبعة الحسينية القاهرة ١٣٣٦ هـ .
- الطوسي محمد بن الحسين الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد مطبعة الآداب نجف الإشراف ١٩٧٩ .
- عائشة عبد الرحمن الإعجاز النبائي ومسائل ابن الأزرق دار المعارف ١٩٧١ .
- عادل نويهض - معجم اعلام الجزالو حتى منتصف القرن العشرين - المكتب التجاري بيروت ١٩٧١ .
- معجم المفسرين عن صدر الإسلام حتى العصر الحاضر قدم له الشيخ حسن خالد مؤسسة نويض ١٩٨٣ .

- عبد العزيز المجنوب الصراع المذهبي بالقرينة إلى قيام الدولة الزيدية تقديم علي الشيباني
الدار التونسية للنشر ١٩٧٥.

- عبد الفتاح لاشين صفاء الكلمة دار المريخ بالرياض ١٩٨٣ م.

- المكبري ابو البقاء عبد الله بن الحسين املاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب
والقراءات في جميع القرآن دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٩.

- عبد الكريم الخطيب التفسير القرآني للقرآن دار الفكر العربي.

- عبد الله بن حمد السالمي مشارك أنوار العقول علق عليه وصححه الشيخ أحمد الخليلي
الطبعة الثانية ١٩٧٨.

- عبد الله السالمي شرح الجامع الصحيح مسند الربيع مكتبة الاستقامة عمان.

- عبد الله محمد الفماري بدع التفاسير مكتبة القاهرة مصر الطبعة الأولى ١٩٦٥.

- عبد المجيد حمودة المدارس الكلامية بأفريقيا إلى ظهور الأشعرية مطبعة العرب تونس
١٩٨٦ م.

- عبد المجيد عبد السلام المحتسب اتجاهات التفسير في العصر الحديث دار الفكر بيروت
١٩٧٣.

- أبو عبدة عمر بن المشي ميجاز القرآن تحقيق محمد فؤاد مزين ، مؤسسة الرسالة بيروت
١٩٨١.

- العجلوني اسماعيل بن محمد كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر على السنة الناس
تصحیح أحمد القلاش مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣.

- عدون جهلان الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد اظقيش مكتبة
الضامري عمان ١٩٩١ م.

- عدون قشار اللمعة المضيئة في تاريخ الإباضية مكتبة الضامري عمان ١٩٩٠.

- عفت محمد الشرقاوي الفكر الديني في مواجهة العصر دار العودة بيروت الطبعة الثانية
١٩٧٩.

- ابن عقيل بهاء الدين عبدالله ت (٧٦٩هـ) شرح ابن عقيل تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية التجارية الكبرى مصر الطبعة ١٤ (١٩٦٥) .
- ابن عطية ابو محمد عبد الحق الأندلسي المحرر الوحيد في تفسير الكتاب العزيز تحقيق مجموعه من العلماء الدوحة ١٩٧٩ الطبعة الأولى ١٩٧٧ .
- علي شواخ الحق - معجم مصنفات القرآن الكريم - دار الرياض ١٩٨٣ .
- أبو علي الفارسي الحسن عبد الغفار ت ٢٧٧ الحجج للقرآن السبعة مجموعة من العلماء دار المأمون للتراث ٢٨٣ الطبعة الأولى ١٩٨٧ .
- علي مصطفى الغرابي تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام غير المسلمين مكتبة الأنجلوا العربية الطبعة الثانية ١٩٨٥ .
- علي يحيى معمر الإباضية في مركب التاريخ الحلقة الأولى مكتبة وهيئة الطبعة الأولى .
- علي معمر الإباضية مذهب إسلامي معتدل قدم له أحمد السيابي .
- علي معمر الإباضية بين الفرق الإسلامية كتاب في المقالات في القديم والحديث المطبعة العربية مسقط ١٩٨٧ .
- معمار الطالبي آراء الخوارج الكلامية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٧٨ .
- معمر بالحاج محمد صالح دراسة في الفكر الإباضي الطبعة الأولى ١٩٨٦ .
- ابن العماد الحنبلي عبد الحي شذرات الذهب في أخبار من ذهب تحقيق لجنة إحياء التراث العربي بيروت دار الآفاق الجديد دون تاريخ .
- عوده خليل أبو عوده بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين دار البشير عمان الاردن ١٩٩٠ .
- عوض محمد خليفات نشأة الحركة الإباضية ١٩٧٨ .
- النظم الاجتماعية والتربوية عن الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان نشر برعم من الجامعة الاردنية ١٩٨٢م .

- عيسى اليمسعيدي نبذة عن حياة الشيخ قطب الأئمة مجله جبرين العدد العاشر ١٤١٢ هـ .
- حفّاد سزكين تاريخ التراث العربي - جامعه محمد بن سعود السعوديه .
- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر بيروت ١٩٧٩ .
- غاروق عمر - العباسيون الأوائل - مطبعة جامعة بغداد ١٩٧٧ م .
- التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين دار أقرأ بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ .
- الفخر الرازي محمد فخر الدين ت ٦٠٤ الفتح الكبير دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة .
- الفراء ابي زكريا يحيى بن زياد معاني القرآن تحقيق محمد علي النجار ، وأحمد يوسف نجاني عالم الكتب بيروت ١٩٨٣ .
- ابي الفرج الاصفهاني الأغانى دار الثقافة بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٨ .
- الفردبيل - الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١ .
- فضل حسن عباس - البلاغة فونتها وأفانها دار الفرقان الطبعة الاولى ١٩٨٥ .
- فضل عباس لطائف الحنان وروائع البيان في دهوى الزيادة في القرآن، دار النور للطباعة بيروت الطبعة الأولى المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز بحث على آله كتابه .
- فضل عباس اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا اطروحه دكتوراه في التفسير بجامعة الأزهر ١٩٧٢ .
- فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي - منهج المدرسه العقلية الحديثه في التفسير - مؤسسه الرسالة الرياض الطبعة الأولى ١٩٨١ .
- فهد الرومي اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر السعوديه الطبعة الاولى ١٩٨٦ .

- الفيروز آبادي مجدد الدين محمد بن يعقوب القاموس المحيط المؤسسة العربية للطباعة بيروت .

- ابن قدامة المقدسي ابو محمد عبد الله بن أحمد المغني تعليق محمد رشيد رضا الطبعة الثالثة ١٣٦٧ .

- القرطبي ابو عبد الله محمد الانصاري - الجامع لاحكام القرآن - دار احياء التراث العربي بيروت ١٩٨٥ .

- القصبي محمود زلط - القرطبي ومنهجه في التفسير دار الانصار مصر ١٩٧٩ .

- القلھاني ابي سعيد محمد الازدي القلھاني الفروق الاسلاميه من خلال الكشف والبيان حققه وقدم محمد عبد الجليل مركز الدراسات تونس ١٩٨٤ .

- الكتاني محمد بن جعفر الرساله المستطرفه لبيان مشهور كتب السنه المشرفه دار الكتب العلميه بيروت .

- ابن كثير ابو الفداء الدمشقي ت ٧٧٤هـ البدایة والنهاية تحقيق مجموعه من العلماء دار الكتاب تفسير القرآن العظيم مكتبة دار التراث القاهرة دون تاريخ .

- ابن كثير الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث تأليف احمد محمد شاكر دار الكتب بدون تاريخ .

- الكرمانی محمود بن حمزة الكرمانی اسرار التكرار في القرآن تحقيق عبد الفادر عطية دار الاعتصام الطبعة الثانية ١٩٨٦ .

- الكليني ابي جعفر محمد بن يعقوب الرازي الأصول من الكافي تعليق علي اكبر الغفاري الطبعة الرابعة دار صعب ودار التعاون بيروت ١٤٠١هـ .

- ابن ماجه ابي عبد الله القزويني مسند ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر بيروت .

- مالك بن أنس الموطأ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة الثقافية بيروت ١٩٨٨ .

- محسن عبد الحميد تطور تفسير القرآن قراءة جديدة وزارة التعليم جامعة بغداد ١٩٨٩.
- محمد أطفيش هميان الزاد إلى دار المعاد وزارة التراث القومي والثقافة عُمان .
- محمد أطفيش الذهب الخالص المنور بالعلم القالض تحقيق أبو اسحاق الطبعة الثانية ١٩٨٠.
- محمد أطفيش كتاب الرسم مطبعة عيسى الياباني الحلبي مصر ١٩٨٤ .
- محمد أطفيش شرح النيل وشفاء العليل المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٣ .
- محمد أطفيش جامع الشمل دار الجيل بيروت .
- محمد أطفيش شامل الاصل والفرع ١٩٨٤ .
- محمد أطفيش وفاء الضمانه بأداء الامانه في فن الحديث الطبعة الثانية ١٩٨٨ .
- محمد أطفيش الجنة في وصف الجنة وزارة الثقافة مسقط .
- محمد أطفيش شرح لامه الافعال وزارة الثقافة مسقط .
- محمد ابراهيم شريف بحوث في تفسير القرآن الكريم وتاريخه . اتجاهاته . مناهجه الطبعة الثانية ١٩٨٦ م.
- محمد حسن الامام الشوكاني مفسراً دار الشروق للنشر بيروت ١٤٠٦ هـ .
- محمد حسن عواد تناوب حروف الجر دار القرنان للنشر عمان .
- محمد الحسناري الفاصله في القرآن السكتب الاسلامي دار عمّار عمان - الاردن ١٩٨٦ .
- محمد حسين الذهبي . التفسير والمفسرون دار أحياء التراث بيروت .
- محمد الذهبي الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن . دار الاعتصام الطبعة الثانية ١٩٧٨ م.
- محمد الذهبي الاسرائيليات في التفسير والحديث مكتبة وهبه القاهرة ١٩٩٠ .
- محمد الخضر حسين بلاغة القرآن جمعه وحققه علي الرضا التونسي ١٩٧١ .

- دراسات في العربية وتاريخها الكتاب الاسلامي دمشق الطبعة الثانية ١٩٦٠ .
- محمد رشيد رضا تفسير المنار الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ١٩٧٢ .
- محمد أبو زهره أصول الفقه دار الفكر القاهرة ١٩٥٧ .
- محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية جميعه الدراسات الاسلاميه مطبعه المدني بدون تاريخ .
- محمد بن شماس البطائني سلاسل في الأصول والفروع والادب وزارة التراث القومي سلطنة عُمان .
- محمد صالح الجابري النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس الدار العربية للكتاب ١٩٨٣ .
- محمد الظاهر عاشور التجوير والتوير الدار التونسية للنشر تونس بدون تاريخ .
- محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لالفاظ القرآن دار الفحاء .
- محمد الفاضل بن عاشور التفسير ورجاله دار الكتب الشرقية تونس ١٩٧٢ .
- محمد عبد العظيم الزرقاني مناهل العرفان في علوم القرآن دار احباء الكتب العربية القاهرة الطبعة الثالثة .
- محمد عبدالله دراز النبا العظيم دار القلم الكويت الطبعة الثانية ١٩٧٠ .
- محمد علي دبور تاريخ المغرب الكبير دار احياء الكتب القاهرة ١٩٦٤ .
- محمد عماره تيارات الفكر الاسلامي دار المستقبل العربي الطبعة الاولى ١٩٨٣ .
- محمد عيسى موسى الرياضيه في اعمال المستشرق البولوني تادوز ليفيكي مجله عالم الكتب السعوديه عدد ١ / رجب ١٤٠٤ هـ .
- محمد محمد أبو شهيه ٢٢٢ الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير مكتبة السنه القاهرة الطبعة الرابعه ١٤٠٨ هـ .
- محمد محمد مخلوف ٢٢٣ شجرة النور الزكية في طبقات المالكيه دار الكتاب العربي

بيروت محمد ناصر الدين الألباني ٢٢٤ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٩ هـ .

- صحيح الجامع الصغير المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .

- محي الدين بلناجي دراسات في التفسير وأصوله مكتبة الهلال الطبعة الأولى ١٩٨٧ .

- مصطفى إبراهيم المشني مدرسة التفسير في الإنذلس مؤسسه الرسالة الطبعة الأولى ١٩٨٦

- مصطفى زيد السبع في القرآن دار الفكر .

- مصطفى الصاوي الجويني منهج الزمخشري في تفسير القرآن دار المعارف مصر الطبعة الثانية .

- مصطفى الشكعة إسلام بلا مذاهب الدار المصرية اللبنانية ١٩٨٧ .

- مصطفى محمد الحديدي الطير اتجاه التفسير في العصر الحديث منذ عهد الإمام محمد عبده إلى مشروع التفسير الوسيط سلسلة البحوث الإسلامية السنة السابعة عدد ١٠ ، ١٩٧٥ .

- مكّي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعلاها وحججها تحقيق محي الدين رمضان مؤسسه الرسالة الطبعة الثانية ١٩٨١ .

- الملطي أبو الحسين محمد بن أحمد ٣٧٧ التهيه والرد على أهل الأهواء والبدع تعليق محمد زاهد الكوثري مكتبة المشني بغداد، والمعارف بيروت ١٩٦٨

- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد لسان العرب دار صادر بيروت .

- مهدي المخزومي مدرسه الكوفه ومنهجها في دراسة النحو مكتبة الباني الحلبي مصر ١٩٥٨ .

- الميداني أحمد بن محمد مجمع الأمثال تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم القاهرة الباني الحلبي ١٩٧٨ .

٤٤٠٢٩٤

- ناصر الدين سعدوني بوعليلي الجزائر في التاريخ العثماني دار الثقافة الجزائر ١٩٨٤ .

- ابن النديم محمد بن اسحاق ٣٨٥ الفهرست تحقيق ناصر عباس عثمان دار قطري بن الفجاءه الطبعة الاولى ١٨٥.
- النسائي مصنف النسائي يشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي دار احياء التراث العربي بيروت .
- النووي ابو زكريا يحيى شرف الدين صحيح مسلم بشرح النووي دار احياء التراث العربي ١٩٨٤.
- نور الدين العثري منهج النقد في علوم الحديث دار الفكر دمشق ١٩٨١.
- النسابوري نضام الدين الحسن بن محمد غرائب القرآن ووعائب الفرقان دار الجيل بيروت على هامش تفسير الطبري .
- أسباب النزول دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨.
- ابن هشام ابي محمد عبدالله جمال الدين ٧٦١ مغني اللبيب عن كتب الاغاريب تحقيق ووازن المبارك ومحمد علي حمدالله دار الفكر الطبعة الثالثة ١٩٧٢.
- أوضح المسالك الى الفقه ابن مالك محمد محي الدين عبد الحميد دار احياء التراث العربي الطبعة الخامسة ١٩٦٦ .
- أبو هلال العسكري الفروق في اللغة دار الأناق الطبعة الثالثة بيروت ١٩٨٣.
- هنري ماسية مستشرق الاسلام ترجمه بهيج شعبان ، منشورات عويدات الطبعة الاولى ١٩٦٠.
- هرد بن محكم الهواري (القرن الثالث) تفسير كتاب الله العزيز تحقيق وتعليق بالحاج بن سعيد شريفى دار الغرب الاسلامي بيروت الطبعة الاولى ١٩٩٠.
- الهيثمي أحمد بن سجر ٩٧٤ المواعظ المحفوفة في الرد على أهل البدع والزندقة مكتبة الحقيقة ١٩٩٠ .
- وهبه الزحيلي الفقه الاسلامي وادلته دار الفكر دمشق ١٩٨٤.

- ياقوت الحموي أبو عبدالله معجم البلدان دار صادر بيروت دون تاريخ .
- يحيى بن سلام التصارييف تفسير القرآن مما اشتهرت اسماؤه وتصرفت معانيه تحقيق هند نسلي الشركة التونسية للتوزيع .
- يحيى هويدي تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الأفريقية مكتبة النهضة .
- يوسف عبد الرحمن أنفرت القرطبي المفسر سيره ومنهجه دار القلم الكويت الطبعة الأولى ١٩٨٢ .
- يوسف الورجلاني أبي يعقوب الدليل والبرهان تحقيق الشيخ سالم الحارثي مطبعة عمان .
- يوليوس فلهوزن (مستشرق) أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

ABSTRACT

The style of :

Al - sheikh Mohamunad Itfeish in his explanation " Tayseer Al - Taf sir"

prepared by :

Monhammad Mustafa Al- Khawaja supervised by :

Dr. Ahmad Fareed .

The style of AL-Sheikh Mohammad Itfeish is a scientific, methodical study of the life of one of explanation figures in the thirteenth and fourteenth H.centuries.

1- His book of explanation is called " Tayseer AL-Tafsir " .

This study gave an outlined idea about the sheikh's belief, who belongs to the abadhie school . It aimed to explain the main outlines from the beginning through his abstract methodical point of view .

This study revealed important sides of AL-Sheikh's life which gave more information about him , his character , his morals, his writings, and what he did of thoughtful works, educational and struggler for serving his religion and belief.

It contained an outlined show of AL-Abadhieh explanations along their history up till now; and gave more information about it, its authors and the way they dealt with " Kuran" in explanation and clarification.

It tried to show the trend which the classifier of this explana-

tion followed, the style he accepted, and to know his position through the two types of explanation : preferable and reasonable, and the trial to combine them. The major characteristic of AL-Sheikh's method is inspection and the broadness of matters he discussed.

This study revealed also the effect upon him of those explainers who preceeded him . How he dealt with them, what are the mistakes which were recorded against him and what are the fields which he surpassed in .

This study concentrated on the thoughtful rule which he started from , in treating all the matters which he dealt , and to liberate his opinious, and the extent of his dependence upon the context of the Holy Kuran .

This study ended that the sheikh is a collective explainer, a critic man of letters, a rebellious politician, a social reformer and a convertor for his belief that didn't make him sometimes a complete objective .

His explanation indicates his wide knowledge and the depth of his knowledge in different sciences.

In spite of that his style in writing was not easy to be read regarding the content and shape.

It doesn't fit different levels of readers . The class that can get use of that , are those who are specialized in this field .